

الشريعة الإسماعيلية

[رؤية من الداخل]

تأليف

علوي طه الجبل

دار الأمل

القاهرة

رقم الايداع: ٢٠٠٢/١٥٦٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله المتفرد بالربوبية ، المستحق وحده للألوهية ، لا شريك له في صفات الكمال والجلال ، أحمده سبحانه هو خالق الأعيان والأفعال ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد : ٩] .

سبحانه العظيم الحليم ، له في خلقه سنن لا تتبدل ، لا ظلم فيها ولا جهل ، وهو العليم الحكيم ، ومن سننه أن عاقبة الظلم الزوال ، وأعظم الظلم الشرك مع الله ذى الجلال والكمال ، ويتبعه ظلم الشعوب في خيانة الدين والدماء والأحوال ؛ ليكون في ذلك الزوال عبرة للمعتبرين ، وتذكرة للمؤمنين .

والصلاة والسلام الأكملان الأجلان على عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه وخليته ، نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذى لا نبي بعده إلى يوم الدين .

وعلى آله الأطهار الأخيار ، وصحابته الأبرار والتابعين من أئمة الدين ، ومن تبعهم بإحسان غير مبدل ولا مغير ولا منحرف عن سبيل المؤمنين .

أما بعد :

فمما لا شك فيه عند جميع العقلاء أن النفس جبلت على حب من أحسن إليها ، وقد سمعنا عن طائفة البهرة فى اليمن الكرم ، وحسن السمى فى المظهر ، كما سمعنا أنهم قاموا بعمارة مساجدهم القديمة ، وتعبيد بعض الطرق المؤدية إليها ، ولا شك أنه قد يستفيد من هذه الطرق كثير من الناس .

ومما قامت به هذه الطائفة أنها أنعشت التجارة فى اليمن ، ويرهن ذلك بعضهم بتلك الحركة الحية فى باب السلام بصنعاء .

وبينما أنا معجب بهذه الإنجازات التى قدمتها هذه الطائفة لنفع الناس ، سمعت بعض الكلام الذى يسىء إلى هذه الطائفة ، حيث وقعت فى يدي ورفات مكتوب عليها : « فتوى علماء اليمن فى البهرة » ، صدرت حديثاً فى هذا العام ١٤٢٣ هـ ، فسارعت فى قراءتها على لهف .

فإذا بى أجد فى السطور الأولى من الفتوى : أن هذه الطائفة « البهرة » من

فرقة الباطنية التي حكى العلماء الإجماع على أنهم كفار بعيدون عن الدين الإسلامي ، وغير ذلك مما تضمنته الفتوى .

فوقع في قلبي أن كلام العلماء لن يأت من فراغ ، فهم الموقعون عن الله ورسوله ، فتتبع التاريخ ، فوجدت أن هذه الطائفة قد كفرها علماء المسلمين أجمعون على مرور التاريخ ، فجمعت من علماء اليمن خاصة هذه النقولات وقد رتبها زمنياً :

[١] قال العلامة الحمادى ت (٤٥٦ هـ) في كتابه « كشف أسرار الباطنية » : [هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم] .

[٢] وقال الإمام أحمد بن سليمان ت (٥٦٦ هـ) في كتابه « الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية » ، وهي مخطوطة .

في ص ٦ من المخطوطة [وأما الفصل الثانى ، وهو الإبانة عن كفرهم ، فالذى يدل على ذلك إجماع المسلمين ، فلا يعرف عن أحد من أرباب المذاهب وعلماء الإسلام ، أنه توقف عن تكفيرهم ، ولا شك في إلحادهم وزندقتهم] .

وقال ص ٨ : [ولا خلاف بين الأمة أن الإسماعيلية مشركون ... ولا خلاف بين الأمة أن الإسماعيلية ليسوا من أهل الإسلام ... ولا خلاف بين العلماء في كون الإسماعيلية مرتدين ... ولا خلاف بين الأمة في أن الإسماعيلية مشركون ، فهم في ذلك وغيره أسوأ حالاً من اليهود والنصارى] .

وقال في ص ٩ : [ولا خلاف بين المسلمين أن حال الإسماعيلية أسوأ حالاً من المجوس ...] .

[٣] وقال العلامة مؤرخ اليمن : نشوان الحميرى ت (٥٧٣) هـ في شرحه لرسالته « الحور العين » (ص ٢٥٣ - ٢٥٤) ، وهو يبين مذهب الإسماعيلية القرامطة : [والقرامطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة] .

[٤] وقال العلامة المؤرخ عمر بن سمرة الجعدى ت (٥٨٦) هـ في « طبقات فقهاء اليمن » ص ٧٥ - ٧٦ : [ثم لحق اليمن كله آخر المئة الثالثة أو أكثر المئة الرابعة ففتنان عظيمتان : فتنة القرامطة ... فملك المخلاف اليمنى على بن الفضل لعنه الله] ، ثم ذكر الشعر الكفرى الطويل الذى فيه ادعاؤه للنبوة ، وتحليله

للمحرمات ، وإلغاؤه للفرائض والواجبات ، وقال : [والشعر طويل ، وكله تحليل لمحرمات الشرع والاستهانة بها ...] ، ثم ذكر دخول أبي سعيد الجنابي القرمطي مكة سنة ٣١٧ هـ ، وقتله للحجاج ، وإهاتته للكعبة ، واستحلاله الحرم والمحرمات ، وذكر شعراً له منه :

فلو كان هذا البيت لله ربنا
لصب علينا النار من فوقنا صباً

[٥] وقال الإمام عبد الله بن حمزة ت (٦١٤) هـ كما في « المجموع المنصوري » (٣١١/١) : [وإلى مثل ذلك ذهب الباطنية الملاحدة ؛ وكفرها بذلك جميع الزيدية وكافة الأمة] .

[٦] وقال المؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد ت (٧٤٣) هـ في كتابه « بهجة الزمن » ص ٥٤ : [فلما صار ابن فضل هناك - أي عليّ بن الفضل بصنعاء - أظهر دينه الخبيث ومذهبه القبيح ، وارتكب محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان يؤذن في محطته : نشهد أن عليّ بن فضل رسول الله] .

[٧] وقال علامة اليمن ومفخرة الزمن الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير ت (٨٤٠) هـ في كتابه « إشار الحق على الخلق » ص ١٢٩ : [وأفحش ذلك وأشهره مذهب القرامطة الباطنية في تأويل الأسماء الحسنى - ثم قال - وقد جعلوا تأويلها كلها : إمام الزمان ، وهو المسمى الله ، والمراد بلا إله إلا الله ! ، وقد تواتر هذا عنهم ، وأنا ممن وقف عليه فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم ، وخزائنها ، ومعاقلهم التي دخلت عليهم عنوة ... ثم قال : فكما أن كل مسلم يعلم أن هذا كفر صريح - ثم قال - : وافق ذلك مذهب القرامطة ، ومذهب أسلافهم من المشركين في إنكارهم الرحمن ، ونص القرآن في الرد عليهم في ذلك بالصدع بالحق فيه ...] .

[٨] وقال الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ت (٨٤٠) هـ في مقدمة كتابه « البحر الزخار » ص ٤١ : [والباطنية في الحقيقة خارجون عن الإسلام ؛ لكن انتحلوه ظاهراً فعدوا في فرقه ، ولا يكاد يعرف مذهبهم لتسترهم ، وإحداثهم كل وقت مذهباً ...] .

وقال في البحر (٤٢/٣) في كتابه النكاح : [مسألة : «ى» - أي قول

الإمام يحيى بن حمزة - وتحرم الباطنية والمنجمة والمعطلة والفلسفية والملحدة والزندقية لتصريحهم بالكفر [.

[٩] وقال العلامة يحيى بن أبى بكر اليماني ت (٨٩٣) هـ فى « غربال الزمان » ص ٢٤٩ : [وابتدأ ظهور القرامطة بسواد الكوفة ، وهم خوارج زنادقة مارقون من الدين] .

[١٠] وقال العلامة صالح بن مهدي المقبل ت (١١٠٨) هـ فى « المنار » (١٥٠/٢) : [وأقول : ومن أحق ما يحرق ويمحق كفر نحلة ابن عربى وما شابهها من الإسماعيلية وغيرهم ، ولا أحب إلينا من ذلك ، ولا أثر منه ، ولكننا لا نقدر على ذلك ، منعنا منه هذه الحيوانات من المنتظمين فى سلوكهم فى الزندقة ، أو الشاكين فى دين الحق] .

وقال فى كتابه « العلم الشامخ » ص ٣١٦ : [فقد استبان لك أيها الناظر مراد هؤلاء المخذولين الباطنية الملبسين واستنادهم وذهابهم إلى هذه المقالة بمجرد الزندقة ، ثم قال ص ٣١٧ : [كما لا يتأول للباطنية والنصارى والفلاسفة إلا من كان منهم] .
- وقال قبل هذا الكلام الأخير - : [آمنا بالله ونفينا عنه كل شريك ، وتبرأنا إليه من هذا الكفر البواح ، وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

[١١] وقال العلامة أحمد الشرفى - وهو من علماء القرن الحادى عشر الهجرى - فى كتابه « شرح الأساس الكبير » (١٤٣/١) : [والباطنية فى الحقيقة خارجون عن الإسلام ...] .

[١٢] وذكر القاضى إسماعيل الأكوغ - حفظه الله - فى كتابه « هجر العلم » (١٠١٤/٢) فى ترجمة أحمد بن عبد الله الصمد أن صاحب كتاب « أخبار الزيدية » يروى عن شيخه محمد بن إبراهيم بن رفاذ أنه وجد صاحب الترجمة يحكم ما يوافق مذهب الإسماعيلية مع أن عقيدته مخالفة لما يحكم ، فأنكر عليه ؛ وقال : [سبحان الله ! تقضى بشيء لا يجوز فى اعتقادك ... فأجاب : ويحك أخاف على رأسى !! ، فقال له : ويحك أتخاف على شبر منك من السيف ، وتسمح بمجميعك للنار؟! فهت وتخير] .

[١٣] ونقل القاضى محمد بن على الأكوغ - رحمه الله - فى « مقدمة

كتاب الحمادى » ص ١٨ : [أن الإمام المتوكل أحمد بن الإمام المنصور على نازل معقل شبام حراز للباطنية ، واستولى عليه ، وأوصل كتبهم إلى حضرة الإمام شيخ الإسلام / محمد بن عليّ الشوكاني واطلع عليها ، فقال لما رآها : ما على الأرض كفر أشد من كفرهم ...] .

[١٤] وقال العلامة القاضى حسين بن أحمد العرشى فى كتابه « بلوغ المرام » ص ٢١ : [اعلم أن الباطنية أخزاهم الله تعالى أضمر على الإسلام من عبدة الأوثان ، وسموا بها لأنهم يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام ، ويختفون حتى تمكنهم الوثنية ، وإظهار الكفر وهم ملاحدة بالإجماع ، ويسمون « بالإسماعيلية » ؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، و « بالعبدية » لدعائهم إلى عبيد الله بن ميمون القداح ، الذى نسبته الباطنية إلى ما يزعمون من الأئمة المستورين ... والآن يسمون « شيعة » ... حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحق ، والدخول إلى دهاليز الكفر إلا بإظهار المحبة والتشيع ...] .

ومما لفت انتباهى ما ذكره القاضى العرشى فى كتابه « بلوغ المرام » ص ٢٢ وهو قوله : [وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم ، وأعلنوا كفرهم ، فإن غلبوا ولم تساعدهم الأيام ، كمنوا كما تكمن الحية فى جحرها ، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة ...] .

وهذه حقيقة وجدتها فى أكثر من كتاب من كتب الفرق ، وكتب التاريخ ، ووجدت الواقع التاريخى شاهد لهذا .

فيجب على أبناء اليمن جميعاً حكماً ومحكوماً ، أن يغاروا على دينهم ووطنهم ، والسعيد من اعطز بغيره .

اللهم احفظ لنا ديننا واحفظ بلادنا من كل كيد ومكره .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات.....	٣
المقدمة.....	١٠
مدخل إلى البحث.....	١٧
الإسماعيلية كما يرويها التاريخ.....	١٧
انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية.....	٢٣
انقسام المستعلية إلى داودية وسليمانية.....	٢٤
البهرة (الداودية) والمكارمة (السليمانية) في اليمن.....	٢٥
١- الفرق بينهما.....	٢٥
٢- عدد كل من الطائفتين ومراكز تجمعهما.....	٢٦
الطائفة البهريّة الداودية.....	٢٨
أ- عددها وأماكن تواجدها في الأقطار الإسلامية.....	٢٨
ب- المهنة التي اشتهرت بها :.....	٢٩
الزعامة الحالية لطائفة البهرة الداودية.....	٣٠
أ- الأصول التي تنتمي إليها عائلة محمد برهان الدين.....	٣٠
ب- انتقال الزعامة البهريّة من اليمن إلى الهند.....	٣٢
ج- الدخل السنوي للسلطان محمد برهان الدين وأسرته.....	٣٢

الفصل الأول

الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني والديني

أولاً: الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني.....	٣٧
١- الزعامة الداودية وأحلام الدولة.....	٣٧
٢- الحركات المشبوهة للإسماعيلية في اليمن.....	٣٩

- ٤٤..... أولاً: عدم اعتراف الطائفة بالنظام القائم.....
- ٤٥..... ثانياً: التخطيط للاستيلاء على مواقع استراتيجية حصينة.....
- ٥٠..... وثيقة رقم (١).....
- ٥٣..... وثيقة رقم (٢) بلاغ وتحذير.....
- ٥٦..... وثيقة رقم (٣).....
- ٥٩..... وثيقة رقم (٤).....
- ٦١..... وثيقة رقم (٥).....
- ٦٣..... وثيقة رقم (٦).....
- ٦٥..... وثيقة رقم (٧).....
- ٦٧..... وثيقة رقم (٨).....
- ٦٩..... وثيقة رقم (٩).....
- ٧١..... ثالثاً: تخنيس البهرة الدود.....
- ٧١..... رابعاً: التدفق المتزايد إلى اليمن دون سبب عقائدي.....
- ٧٣..... خامساً: تشكيل المليشيات المدربة.....
- ٧٣..... سادساً: الترويج لظهور الإمام المستتر من اليمن.....
- ٧٥..... سابعاً: اعترفات نائب نائب حول خطر البهرة على اليمن.....
- ٧٦..... ثامناً: إنشاء تنظيمات سرية.....
- ٧٨..... تاسعاً: عدم احترام سيادة الدولة وقوانين البلاد.....
- ٧٩..... وثيقة رقم (١٠).....
- ٨١..... عاشراً: تمهيد أتباع الطائفة في اليمن.....
- ٨٢..... أحد عشر: زيارات أعضاء من حزب الفيض إلى إسرائيل.....
- ٨٥..... اثنا عشر: التنسيق مع القوى العلمانية في البلاد.....
- ٨٦..... ثلاثة عشر: تهريب الأطفال إلى الهند.....
- ٨٩..... وثيقة رقم (١١) صورة لضمان تجاري للدارسين على حسابهم.....
- ٩٠..... أربعة عشر: نظامهم المالي وأثره على الاقتصاد الوطني.....

- أ- ضريبة الصلاة ٩٠
- ب- ضريبة الحج والتنقل ٩١
- وثيقة رقم (١٢) ٩٢
- ج- ضريبة السلام على الإمام ٩٤
- وثيقة رقم (١٣) ٩٦
- د- ضريبة دفن المتوفى ٩٧
- هـ- ضرائب ورسوم اجتماعية ودينية أخرى ٩٧
- و- ضريبة الخمس ٩٨
- وثيقة رقم (١٤) ١٠٠
- ثانياً: الإسماعيلية من منظور الولاء الديني ١٠١
- ١- الإمام ومفهوم العبادة وأركان الإسلام في المذهب الإسماعيلي ١٠١
- أ- مفهوم الشهادتين ١٠٢
- ب- مفهوم الصلاة ١٠٣
- ج- مفهوم الزكاة ١٠٥
- د- مفهوم الصوم ١٠٥
- هـ- مفهوم الحج ١٠٥
- ٢- الإمام ومفهوم العقيدة في المذهب الإسماعيلي ١٠٨
- أ- معنى الشرك ١٠٨
- ب - معنى الأسماء الحسنى ١٠٨
- ج - معنى القرآن والآيات ١٠٩
- د - معنى الصراط ١٠٩
- هـ- معنى البيت الحرام ١٠٩
- و- معنى الحق ١٠٩
- ز- معنى الجنة ١١٠
- ح- معنى جهنم ١١٠

- ٣- إحلال الإمام محل الله في صفات القدرة ١١٠
- صور من مظاهر التأله البهري على الواقع ١١٥
- ٤- الإسماعيلية لا تقيم الجمعة ولا تدفن موتاها في مقابر المسلمين ١٢١
- وثيقة رقم (١٥) ١٢٣
- ٥- التبرؤ من المجتمع الإسلامي المحيط ١٢٤

الفصل الثاني

الإسماعيلية

مشاهد من واقع الإنسانية المعذبة

- أولاً: ممارسات النائب المفوض من قبل السلطان مع أفراد الطائفة ١٣١
- ثانياً:- من مظاهر التمرد الجماعي من أبناء الطائفة على سلطة المذهب ١٣٤
- ١- حركات التمرد في الهند ١٣٤
- حقائق وأسرار يذيعها التائبون حول سلطة المذهب ١٣٩
- وثيقة رقم (١٦) ١٤٠
- ٢- حركة التمرد في اليمن ١٤٦
- توقيع محضر بدخول البهرة في المذهب الزيدي ١٤٧
- وثيقة رقم (١٧) ١٤٧
- من مظاهر التحرر الفردي في اليمن ١٥٠
- أ- الشيخ/ حسن النائب ١٥١
- وثيقة رقم (١٨) ١٥٣
- وقوف بعض الأسر مع حسن النائب ١٥٥
- وثيقة رقم (١٩) ١٥٦
- وقوف المنتفعين إلى جانب السلطان ضد النائب وأنصاره ١٥٨
- وثيقة رقم (٢٠) ١٥٩
- المرسوم السطاني باعلان القطيعة ضد المارقين ١٦٣

- وثيقة رقم (٢١) ١٦٤
- وثيقة رقم (٢٢) ١٦٩
- ب - الشيخ/ غالب علي محسن العقابي وخروجه من المذهب ١٧١
- وثيقة رقم (٢٣) ١٧٥
- الشيخ غالب يتولى معركة الفضح الباطني ١٧٩
- وثيقة رقم (٢٤) ١٨٢
- وثيقة رقم (٢٥) ١٨٥
- وقوف مشايخ حراز إلى جانب الشيخ ٢٠٣
- وثيقة رقم (٢٦) ٢٠٤
- فتوى الإمام يحيى بن حميد الدين بتكفير هذه الطائفة ٢٠٧
- وثيقة رقم (٢٧) ٢٠٧

الفصل الثالث

قواعد الفكر التدميري الإسماعيلي

في ضوء العقل والنقل

- أولاً: القول بباطن القرآن ٢١٤
- أ- إلغاء العقل وطرق الاستدلال العلمية في التأويل الباطني ٢١٤
- ب- الأهداف التدميرية من وراء هذا التأويل ٢١٥
- ج : دحض فكرة التأويل الباطن ٢٢٦
- د- مناقشة أدلة الباطنيين على وجود ما يسمى بالتأويل الباطن ٢٣٢
- هـ - من غرائب التأويل الباطني وتناقضاته ٢٣٦
- ثانياً: تكفير الصحابة والتشكيك في عدالتهم ٢٤٥
- أ- مخالفة الباطنيين لصريح القرآن والسنة في موقفهم من الصحابة ٢٤٧
- ب - الرد على الشيعة الغلاة في موضوع الصحابة ٢٥٥
- ج - مناقشة موضوع الخلافة ٢٦٥

- د- مناقشة أدلة الشيعة في مبدأ الحق السياسي لآل البيت ٢٧٤
- ثالثاً: القول بعصمة الإمام ٢٨٢
- أ- الأهداف الباطنية من وراء مبدأ العصمة ٢٨٤
- ب- الواقع الباطني يناقض مبدأ العصمة المزعومة ٢٨٧
- ١- اضطراب العقائد الباطنية وتناقضاتها ٢٨٧
- ٢- توالد الحركات الباطنية وتمزقها ٢٨٧
- ج- شروط العصمة التي وضعها الباطنيون لا تنطبق على أئمتهم ٢٨٩
- د- الرد على أدلة الباطنية في مبدأ العصمة ٢٩٣
- رابعاً: القول باستتار الأئمة (الغيبية والرجعة) ٢٩٥
- أ - الدوافع الحقيقية وراء ظهور فكرة الاستتار ٢٩٥
- ب - فكرة استتار الأئمة في ضوء العقل وحقائق الواقع ٢٩٧
- خامساً: التحلي بلبوس حب آل البيت ٣٠٤
- أ- مواقف الخذلان الباطني لآل البيت عبر التاريخ ٣٠٥
- ١- مواقفهم مع الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٣٠٦
- ٢- موقفهم مع الحسن بن علي (رضي الله عنه) ٣١٠
- ٣- موقفهم مع الحسين بن علي (رضي الله عنه) ٣١١
- ٤- موقفهم مع زيد بن علي (رضي الله عنه) ٣١٩
- ب- الأصول الحقيقية لغلاة الشيعة في الكوفة ٣٢١
- ج- : خلو الممالك الباطنية من زعامة بني هاشم ٣٢٢
- د- الهاشميون ينفون نسب الفاطميين إلى آل البيت ٣٢٥
- (المحضر الهاشمي في نسب الفاطميين) ٣٢٦
- هـ : الأصول الحقيقية لأبرز زعماء الإسماعيلية بعد (عبيد الله) ٣٢٧
- و- التاريخ الملحمي لآل البيت ضد الباطنية في اليمن ٣٣٢
- سادساً: فرض سياسة التجهيل والإقصاء ضد أتباع الطائفة ٣٣٨
- أ- أسلوب التمثيل لاستدراج العوام ٣٣٨

- ب- سلاح الدعاية ٣٤٠
- ج- أسلوب العزل الفكري ٣٤٣
- د- أسلوب العزل الوجداني ٣٤٤
- هـ- أسلوب التقية ٣٤٥
- و- أسلوب المغالطة وتزييف الحقائق ٣٤٧
- خلاصة الفكر الإسماعيلي ومصدره ٣٥٠
- أولاً: تأثيره بالفلسفات الوثنية القديمة ٣٥٠
- ثانياً: دور الفرس وفلاسفة العجم في صياغته ٣٥٣
- ثالثاً: من مظاهر الاختلاف العقائدي بين الإسماعيلية والإسلام ٣٥٩
- رابعاً: مخالفتهم الصريحة لنصوص القرآن والسنة ٣٦٢

المراجع والملاحق وأصول الوثائق

- مسرد المراجع / من الكتب الإسماعيلية ٣٦٨
- مراجع لمؤلفين شيعة من الهادوية والإثنا عشرية الإمامية ٣٧٠
- مراجع أخرى ٣٧١
- (ملحق الكتاب) ٣٧٢
- ملف أصول الوثائق والصور ٣٧٢

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله جزيل الحمد على عظيم التوفيق وكمال التأييد، وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين وبعد:-

في البداية أشير إلى أن مجال تناول هذا الكتاب لم يخرج عن معنى الباطنية بمفهومها الشامل، وهي التي تشمل الإمامية الاثنا عشرية إلى جانب الإسماعيلية، باعتبار واحدية الأسس التي تجمع بينها، إلا أن منطلق البحث قد جاء من الباطنية الإسماعيلية، وأن الرؤية التي خرجت من الداخل وسمحت بتسجيل مشاهد من المجتمع الإسماعيلي في فصول هذا الكتاب، قد جاءت عبر فصيل واحد من الفرق الإسماعيلية وكما سيتضح ذلك تالياً.

وأنا إذ أقوم بتأليف هذا الكتاب، أدرك جيداً أن موضوع الإسماعيلية أصبح كدراسة ميداناً مأهولاً بعشرات الكتب، ومطروحاً بدراسات كثيرة سبقت هذا الكتاب بما هو مفيد وجميل.

ولكني أزعم -رغم ذلك- أن هذا الكتاب يمتلك مبررات وجوده، إلى جانب ما كتب عن الحركة الإسماعيلية في الفكر والتنظيم، كإضافة نوعية تكتسب قيمتها من واقع الحركة المعاصرة، وكذا من خلال العرض وأسلوب المعالجة، ففي هذا البحث من عناصر الجدّة في الشكل والمضمون، ومن ابتداع الأساليب في التناول والطرح، ما يجعله بذلك محاولة غير مسبوقه -حسبما أعتقد- يتجلى ذلك أكثر فيما لو عرفنا طبيعة ونوع الرسائل، والكتابات، والمؤلفات التي سبقت هذا الكتاب، والتي يعود عمرها إلى بداية ظهور الإسماعيلية كدولة وحركة مؤثرة في

المجتمع الإسلامي، وحتى الزمن المعاصر، ويمكن القول: إن الدراسات حول الإسماعيلية، قد تعددت أنماطها بتعدد واختلاف الظروف والمراحل التي ظهرت فيها.

- فمنها ما جاء على شكل دراسات ورسائل صغيرة، وكان مصدرها الوحيد في التأليف حول الإسماعيلية هو مجرد السماع، واستقاء المعلومات عن طريق الأخبار المنقولة شفاهاً، ولذلك سهل على الإسماعيليين إنكارها ورمي أصحابها بالجهل والتحامل، وقد ظلت مثل هذه الكتابات في العصر القديم، مصدر شك للناس وعرضة للطعن فيها، لأنها غير موثقة بأدلة مادية كافية، ويدخل ضمن هذا النمط - إذا ما استثنينا حجة الإسلام الغزالي فيما كتبه عن الإسماعيلية وعقائدها، والحمادي والعلوي والديلمي من اليمن - يدخل ضمن هذا النمط أناس لا تتضمن كتبهم غير معلومات ضئيلة لا تصلح أن تكون مصدراً مهماً يعتمد عليه، نظراً لقصور المعلومات فيها واضطرابها وتركيزها على جوانب معينة لا تمس جوهر الفكر الإسماعيلي وأصل محوره وعقيدته.

- تجربة أخرى في مجال الكتابة حول العقائد الإسماعيلية اعتمدت على المعاشة، والإنخراط في صفوف الطائفة الإسماعيلية، ثم خرجت بمعلومات تمثل جزءاً من عقائد الإسماعيلية، ويعتبر "محمد بن مالك الحمادي اليماني" النموذج في ذلك يضاف إليه "الشريف يوسف الحسيني" كما ذكره الديلمي في كتابه "قواعد عقائد آل محمد".

- وهناك المؤلفات التي اهتمت برصد أطوار نشوء الحركات الإسماعيلية، ومراحل ارتقائها، وأسماء فرقها والفرق بين بعضها البعض (ومن أصحاب هذا النوع: البغدادي صاحب كتاب "الفرق بين الفرق"، وكتاب "الملل والنحل" للشهرستاني على هامش "الفصل" لابن حزم وغيرهم.

وفي العصر الحديث نجد أمامنا قسمين ممن كتب في العقائد الإسماعيلية :

الأول: وهم المنتمون إلى الطوائف الإسماعيلية من مثل: مصطفى غالب، وعارف تامر، وحسين الهمداني، وحسن الأعظمي، أو متعاطف معهم كالمستشرق الروسي "أيوانوف"، وهؤلاء أصحاب مواقف محددة ومعروفة، وهي الوقوف التام إلى جانب الفكر الإسماعيلي والوقوف في وجه خصومه ومنتقديه.

الثاني: وهم الذين سجلوا خطوه متقدمة في إطار البحث العلمي المتأني حول العقائد الإسماعيلية وأصحاب المحاولات الجادة، التي لا تخلوا من غزارة فكر وعمق نظر، غير أنهم -والحق يقال- لم يصلوا إلى كنه الحقائق المستورة وأصل الأفكار المخفية في العقائد الإسماعيلية، ولذلك اتسمت كتاباتهم بالخلط بين ما هو حق وبين ما هو باطل.

وأبرز من يصادفنا في النمط الحديث هو الدكتور/ محمد كامل حسين، وغيره من المؤلفين الذين عنينوا بكتابة التاريخ الفاطمي، وتوقفوا عند مجرد كيل المديح للفاطميين وتبرير مساوئهم دون الأخذ في الاعتبار الممارسات الوثنية التي أدخلها الفاطميون معهم إلى مصر.

- وتبقى أفضل دراسة موسوعية في هذا المجال وهي التي قام بها "إحسان إلهي ظهير" في كتابه "الإسماعيلية مذاهب وعقائد" والتي تجاوزت عدد صفحاته (٧٠٠) صفحة، وأهم سمات هذا الكتاب المرجعي الهام تكمن في كثرة المراجع السرية التي حصل عليها صاحبه من كتب الإسماعيليين، والتي كان الوصول إليها وإلى عهد قريب يساوي الوصول إلى مدارات الفضاء البعيدة.

هذا بالإضافة إلى طول النفس الذي تحلى به هذا المؤلف، من خلال الجهد الذي بذله في التثبت من حقائق تأريخية كثيرة دأب الإسماعيليون على نفيها أو المغالطة فيها.

إلا أن إحسان ظهير - رحمه الله - الذي حظي بهذا الكم الكافي من كتب الإسماعيلية، كأنه لم يجد أهم من إفراغ صفحات الكتاب لاختزال الفكر الإسماعيلي فيها بالاقتباسات المطولة التي تم غربلتها من مجموع تلك الكتب الإسماعيلية الهامة.

وهذا يعني أن خطوات مهمة أخرى بقيت غير مطروقة من قبل المنشغلين بالحركات الإسماعيلية، وهي ما دفعت بي إلى التفكير في ارتياد هذا الميدان المأهول بعشرات الكتب، والذي يفتقر في نفس الوقت إلى إنجاز نواحي غير مكتملة فيه وإلى طرق مجالات أخرى غير مسبوقة من ذي قبل، فكان هذا الكتاب الذي جاء بالخصائص الجديدة التالية:

أولاً: يعتبر هذا الكتاب، قريب في طبيعته من "علم المقارن"، فقد اختيرت مواضيعه بشكل عام بحيث تؤدي إلى تحديد مكان الإسماعيلية في الفكر والتنظيم، من الإسلام عقيدة وشريعة.

وقد اجتهدت في حشد الأدلة النقلية والعقلية والمادية المحسوسة لتوضيح قرُب أو بعد هذا الفكر من الإسلام الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد جاء الفصل الأول منه بعنوان "الإسماعيلية من منظور الولاء والبراء" بينما تضمن المبحث الثالث منه محاولة جادة لنسف الأفكار التدميرية في الفكر الباطني بشكل عام والإسماعيلية على وجه أخص.

وهذا الأسلوب في التناول - في حدود ما أعلم - جديد على هذا الميدان إذ لم تكن الدراسات السابقة تتجاوز أكثر من نشر أسرار الباطنية، وتعرية أفكارها

المنحرفة، ثم إصدار الفتاوى الجاهزة، وتفصيل أثواب الغي والارتداد على أتباعها، وتحديد مواقعهم من الجنة والنار: (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) (الأحزاب: ٢٥).

وإن كان هذا الأسلوب يعتبر منهجاً بحد ذاته إلا أنه ومن منطلق الشعور بالمسئولية يلزم أن نقف من هذه الحركة بعد نشر معايها موقف الناصح الأمين الذي يبين الحق من الباطل.

ثانياً: يتسم هذا الكتاب باختلافه عن أسلوب الخطاب التقليدي عند الحديث عن الإسماعيلية والذي كان معنياً أكثر بمخاطبة ذهن المتلقي من غير الإسماعيليين، أما الفرد الإسماعيلي فلا مكان له، ولا يمثل أحد أهداف الكتابة والتأليف باعتباره -عندهم- عدواً وكفى ولا يستحق أدنى واجب.

بينما يعد هذا الكتاب هدية مجانية مقدمة من إنسان مشفق ومحب، إلى كل المخدوعين من أتباع الإسماعيلية، والباطنية بشكل عام، فقد حاولنا في الفصل الأخير أن نستنطق نوازع الخير في الإنسان الباطني الضحية.

وأن نحث قدراته على التفكير في التفريق بين ما هو صح وما هو خطأ، ونرغبه في إعادة النظر حول فلسفة الحياة، والكون، ومسلمات الدين، والعقيدة التي جاءته مشوهة، وأن يستعين لذلك بالتخلص أولاً من عقدة الانهزام، تجاه ذاته الحرة، والمستقلة والتحلل من فكرة التبعية المطلقة، إلا لله وحده صاحب الكمال المطلق.

ولم نبخل في توضيح معالم الباطل في الفكر الإسماعيلي، وبما أمدنا الله من الأدلة التي أرجو أن تصيب غرضها.

فقد كان الفرد الإسماعيلي هو هدفنا بادئ ذي بدء، غير أن ذلك لم يخل دون التحذير من الإسماعيلية بشكل عام كخطر قادم وواقع متربص غير مأمونة العواقب ولا غني عن اتخاذ أسباب الحيطة والحذر منها، ولا سيما في بمننا الحبيب.

أي أن الكتاب تناول الإسماعيلية من ناحيتها الدينية ومختلف نظم حياتها وذلك عبر إحدى أهم فرقها وهي طائفة البهرة الداودية، ومن ناحيتها الدينية أيضاً وذلك من خلال الحديث عن الفكر الإسماعيلي بشكل عام.

ثالثاً: يختص هذا الكتاب، بموضوع جديد، ومثير، تجده ممثلاً بالفصل الثاني منه، وهو "الإسماعيلية البهرة (مشاهد من واقع الإنسانية المعذبة)" وقد تضمن رصد، وتسجيل، ونقل حقائق مثيرة (معاصرة من داخل المجتمع الإسماعيلي كأدلة حيّة وعملية) على الفكر الإسماعيلي المنحرف، وقد شمل تفصيلات عكست جوانب كثيرة من داخل المجتمع الإسماعيلي وقضاياه، كما تطرق إلى جوانب تتصل بالعميقة، والعبادة، والشريعة، والسلوك.

رابعاً: شمل هذا الكتاب من الوثائق المعاصرة السرية والمثيرة، ما لم تتوفر لكثير من المؤلفين في هذا الموضوع، وتعتبر لكثرتها إضافة خطيرة إلى جانب المؤلفات الإسماعيلية، وترجمة عملية صادقة تؤكد بالواقع الملموس حقيقة الانحراف السلوكي والاعتقادي في الملة الإسماعيلية، التي تزعم انتماءها إلى منهج الإسلام.

خامساً: اعتمد الكتاب على المراجع الإسماعيلية بصورة أساسية، وقد مثلت كتب القوم ومصادرهم ونشراهم ووثائقهم الخاصة، نسبة تصل بالمقارنة مع المراجع الأخرى إلى أكثر من ٨٠%، فقد كانت الحقائق هي التي تتكلم، وبقي دورنا عند مجرد الترتيب والتعقيب واستقراء الشواهد وعرضها بطريقة تؤدي الغرض من تأليف هذا الكتاب.

وفي الختام لا يفوتني أن أشير إلى أن من بواعث تأليف هذا الكتاب هو التزايد الملحوظ لنشاط الحركة البهريّة في اليمن، والبهرة الهنود، والأجانب بشكل خاص، فقد كان من دافع الحرص الأخوي تجاه أفراد الطائفة في اليمن وجهورها

المخدوعين والاستشعار بواجبي تجاه وطني وعقيدتي أن قمت بعبء المسؤولية في صياغة هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود.

وأعد هذا الكتاب أيضاً استجابة مبدئية لرغبة كوكبة من العلماء الناصحين، وتحقيق رغبتهم تحقق لي الشرف لأنهم أهلاً للطاعة المبصرة، ولأنهم أحرص الناس على مستقبل الوطن الغالي وسلامة عقيدته، أو هكذا يجب أن يكونوا.

أما منتهى المرام وغاية القصد من هذا الكتاب، فهو بعد رضا الله تعالى هو تحقيق ثمرة الإصلاح العقدي لدى أفراد الطائفة الإسماعيلية، وأن يأتي اليوم الذي يصبح فيه هذا الكتاب عندهم مقتنى غالي جدير بالحفاوة والاهتمام.

أقول هذا رغم علمي الأكيد بما سيسببه وجود مثل هذا الكتاب من ضيق شديد لشريحة المنتفعين من أبناء الطائفة، وأنه ربما أثمر عن ردود أفعال معاكسة، سوف تبقى في كل الأحوال في غير صالحهم وخيرهم .

والله حسبي وهو من وراء القصد والمهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

مدخل إلى البحث

الإسماعيلية كما يرويها التاريخ :

جاءت كردة فعل مدمرة.. كانت من القوة بمستوى حجم الخسارة التي اعتقد أتباع المجوسية، وسدنة النار (المقدسة)، وذوي الامتيازات الساسانية أنهم منيوا بها، فقد بسط الإسلام رداه.. وسقطت الدولة الفارسية تحت سنابك خيل المسلمين.. ولم يكن الفشل في صدّ الزحف الإسلامي كافياً للتسليم بالأمر الواقع، والقبول عن رضی بسيادة العهد الجديد؛ بل عز على الكثير من أتباع المجوسية، والمسكونين بها جس الدم الساساني أن يشهدوا هذا الانكسار الحاد لدولتهم الفتية، ولصالح بدو الصحراء الذين كانوا إلى عهد قريب يعيشون على الهامش.

إذن كان لابد من الانتقام، ولكن بطريقة هي أبلغ في المكر والدهاء، وبأسلوب أقدر على التأثير من المواجهات العسكرية ونزال الفرسان، الذي انتهى وإلى الأبد... فكانت الحركة الباطنية.

على أن مبدأ الانتقام هذا لم يكن حكراً على ثلة من الفرس الموتورين والمدبرين الأذكياء، بل لقد ظهر لليهود أدوارهم المعروفة، بدءاً "بعبد الله بن سبأ" الذي ظهرت الأفكار الباطنية الأولى على يديه، وبقيت على مدار التاريخ أدوارهم الخفية، وأصابعهم التي تنسج خيوط المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين.

هاهي الفتوحات الإسلامية تنهى مهمتها في بلاد فارس، ويطردهم اليهود من حصون خيبر، وبقي من بقي في كنف الإسلام على دينه، ومنهم من أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، حيث بقيت تضمّر في طياتها من الحقد ما لا تبديه من الرضى والتسليم، وما برحت فكرة الثأر تنمو في زوايا النفوس المريضة والعقول

المخططة، وتبحث لها عن أخطر المداخل الكفيلة بالنفاذ إلى صفوف المسلمين لبعثتها، ثم النفاذ إلى سر قوتهم وهو الإسلام لتشويش معالمة وهذ أركانها، ثم محوه من الوجود إن استطاعوا، وياله من تفكير بالغ الخطورة والدهاء.

لقد أدركت تلك الفلول المتآمرة والحاكمة على الإسلام ألا أنسب لتحقيق مخططها من استغلال عاطفة الحب الكبير، والولاء الذي لا يوصف تجاه آل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم من عامة المسلمين، وهو الولاء الذي ما إن فطنت إليه تلك الرموز حتى جعلت منه ميدانها الحصب لبذر الشقاق والفتنة من خلاله بين المسلمين، حيث بادرت إلى التحلّي بلبوس آل البيت، والتقمص برداء التشيع، وعلى هذا المنوال سار عبد الله بن سبأ، لتثمر حركته عن أعظم فتنة في تاريخ المسلمين، تلك هي الفتنة الكبرى التي مثلت أحد أهداف طلائع الحركة الباطنية وهو شق صفوف المسلمين.

أما الهدف الثاني: فقد ظهر على لسان عبدالله بن سبأ عندما وقف ذات يوم والإمام علي - كرم الله وجهه - يخطب على المنبر، فقال مخاطباً الإمام: "أنت أنت"، فقال الإمام: ويحك ما أنا، فقال "أنت الله"، فلعنه عليّ وهمّ بقتله، ولكن بتدخل من أصحابه سيّره إلى المدائن ونفاه هناك ثم تسير الأيام وتصادفنا طلائع باطنية أخرى على الطريق منضوية تحت راية التشيع، لا لتكثير سوادها، أو حباً في آل البيت، ولكن بهدف استثمارها والانحراف بها عن طريق الاعتدال، وثمة دواعي كثيرة تسمح بهذا الانحراف فقد سار حب آل البيت يتسع في النفوس عمقاً، ويمتد في رقعة الأرض طويلاً، ولكنه الحب المجنون الذي يفضي إلى الانحراف في الغالب، فالشيعة العراقيون الذين تكررت مواقفهم الخذلانية تجاه آل البيت يجدون في

مغالاتهم نحو آل البيت عزاء يعرضهم عن تلك المواقف الإلهامية، وعدم الانتصار لهم بما فيه الكفاية.

وهناك رعايا الدولة الفارسية المندثرة، الذين لم يستطيعوا التخلص من فكرة قداسة الشخصيات التي بقيت عالقة في أذهانهم منذ عهد الأسرة الساسانية، والتي كانوا يعتقدون أنه يجري في عروقها الدم الإلهي المقدس، فكان أن سهل عندهم نتيجةً لهذه الرواسب إضفاء القدسية على آل بيت الرسول -عليه وعليهم الصلاة والتسليم- أضف إلى ذلك الجانب الاعتقادي الذي يجعل من حب الرسول وآل بيته شرطاً بصحة إيمان الفرد وسلامة عقيدته..

كل هذه العوامل ساعدت على تدرج مراحل النظرة إلى آل البيت، من بشر عاديين إلى أنبياء معصومين، ثم آلهة يمشون على الأرض.

ونجد على رأس أولئك الغلاة بعد ابن سبأ وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام: المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي ادعى أن علي يعلم الغيب وأنه يوحى إليه... الخ. وفي عهد محمد الباقر -عليه الرضوان- ظهر من الغلاة الباطنيين من أمثال: سعيد العجلي، وبيان بن سمعان، وأبي منصور العجلي، وغيرهم، يظهرون أنهم من شيعه الإمام علي -وهو منهم برئ- حيث جعلوا منه الإله الواحد القهار، كما وصفوا أنفسهم بالإمامة وأحياناً بالرسالة، وأباحوا المحرمات، وأتوا بالمنكرات وعطلوا الشرائع.

وظل الخوس يوصي بعضهم بعضاً ضد الإسلام، ويروجون لهذا الهدم العقائدي، ويقودون حركة التشيع إلى طريق الانحراف.

وفي عهد جعفر الصادق عليه السلام -ظهر أبو الخطاب الأجدع مولى بني أسد، ظهر بلبوس الأشياع المحيين للإمام جعفر، وانظم إلى حلقتة، ولازمه طويلاً حتى

شاع في الناس أنه حصل على ثقة الصادق، وبلغ منه منزله، فاستغل هذا الاعتقاد السائد وخرج بين الناس يروي باسم الصادق أحاديث الشرك والضلال، وينسب ذلك إلى الإمام وهو منها برئ، حيث بادر الإمام جعفر الصادق بنفي كل ما نسب إليه هذا المارق، ولعنه بين الناس.. غير أن أفكار أبي الخطاب تجاوزت حدود السيطرة، وانتشرت في الناس كانتشار النار في الهشيم، ولاقت هوى لا يقاوم لدى غلاة الشيعة، إلى أن تم محاصرة فتنة تأليه الإمام عليّ بواسطة جنود الخليفة العباسي الثاني: جعفر المنصور، ولم يكن قتل أبي الخطاب مع سبعين من أتباعه وصلبهم وحرقتهم على عهد المنصور ليضع نهاية للفتنة، فها هو "ميمون القداح الأهوازي الديصاني" الجوسسي الأصل يتزعم المسيرة بعد أبي الخطاب، وذلك بعد أن يكون إسماعيل بن جعفر الصادق قد التاثر أفكاره بالأفكار الخطابية وسقط في برائتها، فتأخذ الدعوة الباطنية بذلك منحى خطيراً، ويتسمّى فصيل منها باسم "الإسماعيلية" نسبة إلى إسماعيل بن جعفر، وهي التي اعتبرته الوريث الشرعي في الإمامة بعد أبيه.. ولقد تزعم ميمون القداح هذه الفرقة وانتهج أسلوباً جديداً في الدعوة إلى مذهبه وتمرير مخططات الانحراف والزيغ، حيث نبجده يعمد إلى أسلوب التخفي، وحشد الأنصار لدعوته بأسلوب الخديعة والمكر.

فقد أحكم الخطة مع ابنه عبد الله الذي لا يقل عنه مكرًا أو دهاءً، وبدءاً معاً يؤسسان لدولتهم المستقبلية الإسماعيلية، ولقد جعلوا من ولاية آل البيت سبيلاً للسيطرة والنفوذ، حيث زعم ميمون القداح أن إسماعيل بن جعفر الذي توفي في عهد أبيه لم يمّت حقيقة ولكنه استتر واختفى عن الأنظار، وبقي هو نائباً عنه يدعو إلى ولاية وإمامة إسماعيل إلى حين عودته من جديد، ثم هلك ميمون دون أن يجد لدعوته صدى بحيث ينجح في استقطاب أكبر عدد من الأتباع ليبيّن من خلاصهم دولته.

ثم ورثه ابنه "عبدالله" وادعى أنه كفيل "محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق" وحكم باستتاره كذلك، وذهب إلى مكة يدعو إلى ولاية محمد بن إسماعيل، وهو إنما يدعو لنفسه ويمهد لأبنائه من بعده، ولكنه وجد أن دعوى النيابة عن الإمام المستور لم تثمر معه فنزل (بأهله) هناك، وزعم أنه من سلالة عقيل بن أبي طالب كخطوة أولى ليصبح حفيده من بعده من أبناء الحسين بن علي، وكما سنرى.

وبعد عبد الله بن ميمون جاء ابنه "أحمد" الذي وجد أباه قد وضع أمامه أسس الفكر الإسماعيلي واللبنات الأولى لقيام الدولة القداحية، فاضطلع أحمد بدوره ينشر الدعوة إلى الأمصار، فأرسل "حسين الأهوازي" إلى سواد الكوفة، فاستطاع الأخير إقناع "حمدان بن الأشعث قرمط" ليتم على يديه تأسيس أول دولة إسماعيلية في السواد، ويظهر إلى جانبه بعد ذلك "سعيد الجنابي"، وابنه طاهر في البحرين والإحساء والقطيف وبقي هؤلاء على ولائهم لأبناء ميمون، ثم جاء بعد أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ابنه الحسين بن أحمد الذي واصل مشوار أبيه في طريق بناء الدولة القداحية، فاستطاع الحسين أن يتصيد فرائسه ويتمكن من إقناع "أبي القاسم الحسن بن رستم بن حوشب"، و"علي بن الفضل اليماني" للدخول في الدعوة الإسماعيلية وإرسالهما بعد ذلك إلى اليمن لتقوم على أيديهما الدولة الإسماعيلية الأولى في جنوب الجزيرة العربية.

كما وجه رجلاً آخر إلى المغرب العربي يدعى أبو عبد الله الحسين، وذلك لاستصلاح الأرض السبور هناك، وتمهيداً لبذر الفكر الإسماعيلي وتهيتها لقيام الدولة القداحية عليها، وبعد الحسين بن أحمد القداحي ظهر ابنه "سعيد بن الحسين" فنزل هذا بمدينة من الشام تسمى "السلمية"، وهناك ادعى سعيد أنه من أبناء جعفر الصادق من فرع محمد بن إسماعيل بن جعفر، وبعد أن استقر له هذا النسب

الفاطمي قرر سعيد الخروج إلى اليمن لاستلام الدولة الإسماعيلية هناك التي كانت تنتظر قدومه، ولكن بلغه أن علي بن الفضل قد فك ارتباطه ونقض عهده به ودخل في صراع مع رفيقه "ابن حوشب"، فغير سعيد من اتجاهه ومضى قاصداً المغرب التي أصبحت مشبعة بالفكر الإسماعيلي ومهيأة لاستقباله فنزل منها في منطقة تسمى "سجلماسة"، وهرع إليه أبو عبيد الله الداعي مع حشد عظيم من أنصاره، واستقبلوا سعيد بن الحسين على أنه "المهدي المنتظر كما أوهمهم هو بذلك وأصبح يعرف بعبيد الله المهدي، وفي المغرب تأسست على يديه الدولة الفاطمية، واستقر هناك مع ابنه القائم الذي استلم الحكم من بعده، وجاء بعد القائم ابنه "المنصور"، ثم استطاع معد بن المنصور "العز لدين الله" أن ينقل الدولة الفاطمية إلى مصر. ويأتي بعده ابنه نزار "العزير بالله" ثم ابن العزيز "الحاكم بأمر الله"، ثم "الظاهر ابن الحاكم" ثم ابنه "المستنصر" أبو تميم.

ثم جاء ابنه "المستعلي" الذي اغتصب الحكم من أخيه الأكبر "نزار" وتسبب ذلك في انقسام الإسماعيلية الفاطمية إلى "مستعلية" و"نزارية" فأثبتت الإسماعيلية في اليمن في عهد الصليحيين ولاءها للمستعلي بن الأمر، ثم ولي بعد المستعلي إمامة الإسماعيلية ابنه الملقب "بالآمر".

وهكذا انتهى دور ظهور الأئمة الإسماعيلية في الدولة الفاطمية أو القداحية بالأصح، الذي بدأ منذ تولي المهدي الحكم في المغرب عام ٢٩٧هـ إلى أن قتل الأمر بن المستعلي عام ٥٢٤هـ، الذي لم يترك وراءه عقباً على أصح الروايات^(١). وقد تولى بعد الأمر "عبد المجيد الفاطمي" الذي مثل آخر أيام الدولة الفاطمية في مصر.

(١) راجع كتاب "الإسماعيلية عقائد ومذاهب" لإحسان إلهي ظهير، و"الصليحيون" للدكتور: حسين الهمداني الحرازي.

انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية :

كانت الحركة الإسماعيلية إلى زمن وفاة الإمام الفاطمي: المستنصر أبو نعيم معد بن الظاهر الإمام السابع عام ٤٨٧هـ ممثلة في فصلين اثنين، دولة القرامطة في سواد الكوفة والإحساء والبحرين، بعد أن أهدت ارتباطها وولاءها للدولة الفاطمية في مصر، ودولة الفاطميين في مصر يتبعهم في الولاء العقائدي والسياسي دولة الصليحيين في اليمن، التي تأسست على يد: علي بن محمد الصليحي عام ٤٣٩هـ حتى ٥٣٢هـ، ثم لما توفي المستنصر بن معد، قام الوزير "أفضل شاهنشاه" وأجلس ابن "المستنصر" الأصغر "أحمد" على عرش البلاد ولقبه بالمستعلي، وأحضر إليه "نزاراً" و"عبدالله" و"إسماعيل" أولاد المستنصر، فلما حضروا وشاهدوا أخاهم أحمد وكان أصغرهم قد جلس على تخت الخلافة أنفوا من ذلك، فأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض، وقال لهم: تقدموا وقبلوا الأرض لله تعالى ولمولانا المستعلي وبايعوه، فهو الذي نص عليه الإمام المستنصر قبل وفاته للخلافة بعده، فامتنعوا من ذلك^(١).

ورأى نزار الأخ الأكبر أن الخلافة قد اغتصبت منه لاسيما أن أباه المستنصر قد نص عليه وكتب له بذلك، ولا يجوز عندهم الإمامة لغير المنصوص عليه، وحارب الأفضل نزاراً ومن يواليه وقبض على أفتكين ونزار، وأرسلهما إلى المستعلي فقتل أفتكين بيده وبني علي أخيه حائطاً، وهو تحتته إلى الآن^(٢).

ومن هنا انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى قسمين: قسم أيد الأخ الأكبر "نزار" المنصوص عليه بالخلافة وعلى رأسهم/ الحسن بن صباح فسموا بـ"النزارية"، وقسم ثبت على إمامة المستعلي وسموا بـ"المستعلية" ومنهم الصليحيون في اليمن، ثم

(١) نقلًا عن "الإسماعيلية عقائد ومذاهب" إحسان إلهي ظهير (ص: ١٥٨).

(٢) نفس المصدر السابق (ص: ١٥٩).

انتهت الخلافة إلى ابنه علي المنصور الملقب "بالآمر بأحكام الله" سنة (٤٩٥هـ) فقتل بعد ٢٩ سنة من خلافته دون أن يترك عقباً على قول أكثر المؤرخين.

بينما تقول المستعلية في اليمن إنه ولد له ولد وسماه "الطيب" وكناه بأبي القاسم وأرسل الأمر بذلك سجلاً إلى الملكة الحرة "أروى بنت أحمد الصليحي" ملكة اليمن والداعي ذؤيب، ويقولون: إن الطيب قد استتر خوفاً من عبد المجيد ابن عم أبيه الذي استأثر بالخلافة دونه، وتعتقد الإسماعيلية المستعلية البهرية أن "الطيب ابن الأمر" لا يزال مستتراً منذ ذلك الحين، وأنهم يعيشون دور الستر وإلى أن يجين زمان ظهوره.. وقد جعلوا له نواباً [أئمة مطلقين] يقومون نيابة عنه بزعامة الطائفة، وزعامتهم غير وراثية وغير مشروطة بنسب آل البيت في المذهب الإسماعيلي.

وكان أول من تقلد هذا المنصب هو الإمام المطلق الداعي "الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني" عام (٥٢٠هـ) في اليمن على عهد السيدة أروى بنت أحمد الصليحي التي أعلنت استقلالها عن الدولة الفاطمية المصرية إبان تولي الحافظ عبد المجيد الخلافة في مصر، والذي مثل آخر دور الظهور في الدعوة الإسماعيلية.

انقسام المستعلية إلى داودية وسليمانية :

ثم تعاقب الأئمة المطلقون بعد "الذؤيب" حتى كان الإمام السادس والعشرين "قطب شاه".

وبعده انشطرت الإسماعيلية المستعلية إلى شطرين: فمنهم من أيد الإمام المطلق داهود قطب شاه، واعتبروه الإمام الشرعي رقم (٢٧) فسموا بـ "الداودية" "البهرة"، ومنهم من قال بإمامة "سليمان بن حسن" واعتبروه الإمام المطلق رقم (٢٧)، وسموا بـ "السليمانية" (المكارمة).

البهرة (الداودية) والمكارمة (السليمانية) في اليمن

١ - الفرق بينهما:

اشتهرت الإسماعيلية في اليمن باسم "المكارمة"^(١) بصفة عامة، وصار الناس لا يميزون بين "البهرة" الداودية وبين "السليمانية" المكارمة، بل غالباً ما يطلقون اسم المكارمة ويريدون به طائفة "البهرة" ذات الزعامة الهندية، والأمر ليس كذلك، فالمكارمة السليمانية مرتبطة بالزعامة الدينية المتواجدة حالياً في (نجران)، واسم "المكارمة" لا وجود له في التأريخ الإسماعيلي في حدود ما أعلم؛ بل عرف هذا الفصيل "بالسليمانية" في جميع التواريخ وهم يتركزون في اليمن بشرقي حراز إلى جانب إخوانهم البهرة الدّود، ولهم تواجد في أماكن أخرى، كما سيأتي.

غير أن عددهم أقل من الدّود البهرة، وشوكتهم ضعيفة نسبياً، ولا يختلفون عن إخوانهم الدّود في الثراء والتجارة، وقد تجد بعض الكتاب يطلق اسم (البهرة) على كل من الدّود والسليمانيين على السواء (وفي هذا الكتاب المقصود به الدّود لا غير)، وقد ظهرت بين الفصيلين عداوة تنظيمية لاسيما في الآونة الأخيرة.

فالمكارمة الذين لم يعرف عنهم القيام بالطقوس الشركية علناً أمام الأضرحة والسجود للإمام كما يفعله الدّود، يشعرون بالضيق والحرج الكبير من المجتمع الذي يسخط لتلك الشركيات ولا يعرف سوى اسم المكارمة مع أنهم بريئون من

(١) سمت السليمانية البهرية في اليمن باسم المكارمة، ثم أصبح هذا الاسم يطلق على كل من الدّود والسليمانيين، وهذه النسبة تعود إلى المكرم زوج الملكة أروى .

ذلك، ولذلك فالتقطعة بين المكارمة والدود شبه قائمة، واللحن بينهم متبادل، وباستثناء هذا فالجميع على منبع واحد وعقيدة مشتركة، ولا فرق بين الطائفتين.

٢ - عدد كل من الطائفتين ومراكز تجمعهما :

ويقدر عدد الطائفتين في حراز بنحو "٧٥٠٠" نسمة تقريباً أي ١٠,٥% من إجمالي عدد سكان مديرية حراز البالغ نحو "٧٠,٠٠٠" سبعين ألف نسمة تقريباً، بناءً على تعداد الجمهورية لعام ١٩٩٤م.

منهم حوالي "٦٥٠٠" في شرق حراز: "٤٥٠٠" منهم دود بهرة، و"٢٠٠٠" منهم مكارمة سليمانية أو بهرة سليمانية، كما يطلق عليهم في التأريخ الإسماعيلي.

بالإضافة إلى "١٠٠٠" نسمة من المكارمة متواجدة في قرية "المزانعة" من بلاد الثلث وبعض القرى من قبيلة "هوزن"، وقسم من المزانعة من أعالي عزلة لهاب ومن عزلة هوزن تذكر (بيت المقلد، قرية الأمير بعض سكان قرن الدهور).

وتقع حراز على بعد (١١٠) كيلومتر من العاصمة صنعاء غرباً.

وللمكارمة بعض القرى في صعفان مثل: "قرية الرباط الأعلى" و"الكمة القوطاري" و"الموجم"، وعزبة "عراس" من قضاء يريم، وفي (يام) شمال اليمن.

ويضاف للدود حصن "طيبة" من قبيلة همدان شمال العاصمة صنعاء، وبني مكرم، وبني مونس (الغيل) الذي ينتمي إليها حاتم بن إبراهيم الحامدي المدفون في شرقي حراز في قرية (الخطيب).

وللدود تمركز ملحوظ في بعض عواصم المدن: كصنعاء وعدن وتعز والحديدة ففي عدن شارع خاص باسم "البهرة"، وفي صنعاء: شارع السلام وبعض الحارات في نقم، وجبله بمحافظة إب، وفي زبيد، وعزبة مراض وحوث بهمدان، ولهم تواجد

في بعض المحافظات الجنوبية إلا أن عددهم هناك لا يزال غير معروف، ويصل إجمالي الإسماعيلية في اليمن على التحقيق نحواً من أربعين ألف نسمة .

وللإسماعيلية في بعض المدن مساجد مستقلة سرية على شكل بيوت لا يدخلها سواهم ولا يهتدي إليها غيرهم، كما لهم مراكز تدريس، مثل: مدرسة الدعوة في مناخة، وفيها قرابة ١٣٠ طالباً حالياً، ومدرسة بيت الدعوة في الحطيب، والمدرسة البهرية في صنعاء ولها فروع.

الطائفة البهرية الداودية

أ- عددها وأماكن تواجدتها في الأقطار الإسلامية :

وهي مدار بحثنا في هذا الكتاب، خصوصاً ما يتعلق بالجانب التنظيمي منها، أما الجانب العقائدي والفكري فلا فرق بين (الدود البهرة) و(المكارمة السليمانية) إلا ما كان من تقديس الأضرحة والسجود للزعماء، فالمكارمة كما نعلم يخالفون الداودية في ذلك، حسب ما أشرنا.

وكلمة "بهرة" جاءت من الكلمة الجوجارتية الهندية -فهرو- وتعني التجارة، أو مأخوذة من "بهارات" التي اشتغلوا بها في بداية تجارتهم، وتتواجد هذه الطائفة في غير اليمن: في الهند، وهم الآن منتشرون في حوالي (٥٠٠) قرية ومدينة هندية، ومراكزهم الرئيسية هناك في "بومباي" و"جوجارت" و"مهرا شاترا" و"وراجستران" و"تاميلاندو" و"سورت"، وأماكن من باكستان.

ولها مجاميع في الخليج العربي، ومصر، والعراق، وسوريا، ويوجد حوالي (٣٠٠٠) فرد منهم يعيشون في الغربية ومنتشرون في شمال أفريقيا، وبريطانيا، وسيلان، وبعض البلاد العربية التي يعملون بها^(١)، وقد فتحت هذه الطائفة باب الدعوة إلى المذهب في آسيا وأفريقيا، ولهم دعاة نشطون من الهند والبلاد العربية، ومقرات دعوية عديدة.

(١) من بحث بعنوان "أضواء على طائفة البهرة المكارمة الباطنية" لعبد الله الراشد، نشر في مجلة النور اليمنية

عدد (٥٦) السنة السادسة نوفمبر ١٩٩٥م.

أما عددها الإجمالي فليس هناك إحصائية دقيقة بذلك، ولكنهم في حدود عشرة ملايين تقريباً، وإذا أضيف إليهم الفرق الإسماعيلية الأخرى في العالم فإن الرقم سيكون أكبر.

ب- المهنة التي اشتهرت بها :

وقد اتجهت هذه الطائفة إلى الاشتغال في التجارة، والاستثمار العقاري والصناعي، والتركيز على الصرافة وغيرها من المجالات ذات العائد المضمون والربح الغزير، مما جعلها من أكثر الطوائف الإسماعيلية غنى، إن لم تكن هي أغناها على الإطلاق، ولهم تأثير ملموس في اقتصاد البلدان المتواجدة فيها.

الزعامة الحالية لطائفة البهرة الداودية

أ- الأصول التي تنتمي إليها عائلة محمد برهان الدين :

يعتبر الدكتور: محمد برهان الدين الإمام المطلق الثاني والخمسين، صاحب الزعامة الحالية لطائفة البهرة ومقر إقامته مع أسرته في مدينة "بومباي" في الهند. وترجع البداية الأولى لدخول الدعوة الإسماعيلية إلى الهند إلى نهاية القرن الثالث الهجري عندما أرسل أبو القاسم حسن بن حوشب: ابن أخيه "الهيثم" من اليمن داعياً إلى السند والهند، وبقيت تنمو تدريجياً حتى انظم إليها أهل "ملتان" و"كجرات" البنجاب.

وذكر المؤرخ الإسماعيلي: عماد الدين إدريس في كتابه "عيون الأخبار" أن الخليفة المعز (الفاطمي) أرسل إلى الهند داعياً تمكن من تحويل عدد كبير من الجوسية، ولكنه سمح لهم بإبقاء بعض معتقداتهم الغير إسلامية^(١).

أما عائلة السلطان الحالي "محمد برهان الدين" فهي تنحدر من سلالة أحد ملوك الهند ويدعى "تارمل"، وكان يعكف على عبادة "الفيل" وقد دخل الدعوة الإسماعيلية البهريّة في مطلع القرن السادس الهجري على يد الدعاة اليمنيين "أبي عبد الله الكوكباني" و"أبي أحمد الصنعاني".

وهذا موجود في تأريخ العائلة لطاهر سيف الدين والد محمد برهان الدين. ويشير د: حسين الهمداني الحرازي الإسماعيلي في كتابه "الصليحيون" إلى أن دخول "تارمل" في الدعوة الإسماعيلية كان على يد مولاي عبدالله العربي وزميله

(١) نقلا عن "الصليحيون في اليمن" (ص: ٢٢٣) ط. دار المختار للطباعة والنشر لكتابه الإسماعيلي د/حسين بن فيض الله الهمداني البعيري

الهنديين بالم نأت (مولاي أحمد)، ودوب نأت (مولاي نور الدين) وأنه كان وزيراً، لا ملكاً؛ حيث يقول: "ويروى أن الدعاة الثلاثة وصلوا إلى الساحل الغربي من غجرات الهند بمينا كمبايت".

وتسرب "عبدالله العربي" في المزارع والبساتين والقرى في تستر شديد، وتعلم اللغة المحلية المسماة "بالكجراتية" حتى تمكن أن يقنع مضيضة الفلاح "كاكا أكيل" (العم وحيد) وامرأته "كاكا أكيلي" (العمة وحيدة)، ثم كاهن المعبد ذا النفوذ الكبير، ثم الوزير "تارمل"، ثم عاهل ولاية "فتن" (الملك) "سد هراج جيسنغ بن بهارمل" ببطلان عبادة الأوثان، وقبل هؤلاء دعوته إلى الإسلام فانتشرت الدعوة في كثير من بلدان كرات^(١)

وفي عهد "ظاهر سيف الدين" تم تصميم شجرة العائلة، وظهر في أولها الوزير "تارمل" جد العائلة، ثم نجله "فخر الدين" الذي قتل، والذي مدحه حفيده "ظاهر سيف الدين" في ديوانهم الشعري الصغير "زهرة بركات الأقرم الأنيق" بقوله:

سلام عليك أبا فخر دين الإله أبا وجدنا الأبحدا
سلام عليك ابن "تارمل" لذي أمل نيله مجتدا^(٢)

وقد ذكر محمد حسن الأعظمي (الإسماعيلي) في هامش كتاب "الدعائم" أن أسرة محمد برهان الدين ليست من أئمة آل البيت^(٣)، غير أن أتباعه اليوم رأوا أن

(١) انظر: "الصليحيون في اليمن" (ص: ٢٢٥).

(٢) من المجموعة الشعرية المدحية للطائفة البهريّة "زهرة بركات الأقرم الأنيقة" (ص: ٣٨).

(٣) انظر: كتاب "دعائم الإسلام" لمؤلفه الفاطمي القاضي النعمان في هامش (ص: ٢٢) لمحققه محمد حسن الأعظمي المتخرج من جامعة سورت الهندية الإسماعيلية.

من مقتضيات عمق المحبة أن ينسبوه إلى الشجرة العلوية يقول عنه نائبه في اليمن سلمان أكبر: إنه "داعي فاطمي وسيد هاشمي"^(١).

ب- انتقال الزعامة البهريّة من اليمن إلى الهند :

انتقلت زعامة طائفة "البهرة" الداودية من اليمن إلى الهند عام (٩٤٤هـ) بعد ضعف الإسماعيلية في بلاد اليمن إلى عائلة "تارمل"، وقد انتقلت من الداعي "محمد عز الدين" في اليمن إلى أول داعي هندي هو "يوسف نجم الدين" وهو الداعي رقم (٢٤) في سلسلة دعاة الداودية، ومع الزمن أصبحت نيابة الإمام "المستتر" "الطيب ابن الأمر" - كما يزعمون - حكراً على أبناء "تارمل"، ثم مالبثوا أن ادعوا لأنفسهم العصمة، وأهم الناطقون باسم الله وكلامهم مقدم على كلام القرآن والحديث الشريف، ثم ذهبوا إلى أبعد من ذلك حتى وصلوا إلى وثنية جدهم "تارمل" وعلى نحو ما ستجد في الفصول التالية من هذا الكتاب.

وقد بقيت نزعة التسلط والاستبداد متجذرة في هذه الأسرة من عهد جدهم الوزير، وعاشت معهم الوثنية الهندية بكل مظاهرها نظراً لتسامح الدعاة الإسماعيليين معها، لأنها لم تكن تشكّل فرقاً كبيراً مع المذهب الذي تم استقاء بعض فلسفاته من العقائد الهندية، لذا كان يكفيهم من الهنود الوثنيين مجرد الولاء الظاهر للدعوة.

ج- الدخل السنوي للسلطان محمد برهان الدين وأسرته :

يعتبر "محمد برهان الدين" من كبار الأثرياء في الهند، إذ يقدر دخله في العام الواحد بنحو (٢٢٠) مليون دولار على أضعف تقدير، ومن خلال ما يفرضه على

(١) من مقابلة صحفية أجرته معه صحيفة "الناس" المحلية العدد (٦٠) في ١٣/٨/٢٠٠١ م.

أفراد طائفته من الأتاوات الضخمة، استطاع شراء وإنشاء أكثر من عشرين مصنعاً كبيراً في الهند وباكستان وغيرهما، وله فنادق ضخمة، مثل: فندق (أمبيسدر أتييل)، وفندق (سند زهاوس) بومبي، واشترى مشروع المياه الغازية - كوكا كولا- في بومباي.

"ويتاجر مع أفراد عائلته بالذهب الذي يهربونه من أفريقيا وسيلان، حيث استطاعوا تهريب ملايين الجواهرات والأحجار الكريمة" (١).

ولمحمد برهان الدين أرصدة ضخمة في البنوك الأجنبية، حيث إنه يقر التعامل بالربا المحرم في الإسلام على عكس ما يحاولون الترويج له في الصحف اليوم، من ابتعادهم عن الربا أو التعامل بنظامه.

(١) راجع البحث المنشور لعبدالله الراشد في مجلة النور اليمنية عدد (٥٦) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية، وقد كانت تقديرات الكاتب معتمدة على تقارير الستينات.

الباب الأول

الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني والديني

أولاً: الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني :

- ١- الزعامة الداودية وأحلام الدولة.
- ٢- الحركات المشوهة للإسماعيلية في اليمن.

ثانياً: الإسماعيلية من منظور الولاء الديني :

- ١- الإمام ومفهوم العبادة وأركان الإسلام في المذهب الإسماعيلي.
- ٢- الإمام ومفهوم العقيدة في المذهب الإسماعيلي.
- ٣- إحلال الإمام محل الله في صفات القدرة.
- صور من مظاهر التأله البهري على الواقع.
- ٤- الإسماعيلية لا تقيم الجمعة ولا تدفن موتاهم في مقابر المسلمين.
- ٥- التبرؤ من المجتمع الإسلامي المحيط.

الفصل الأول

الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني والديني

أولاً: الإسماعيلية من منظور الولاء الوطني

١- الزعامة الداودية وأحلام الدولة :

ظهرت الحركة الإسماعيلية منذ ولادتها الأولى وهي مسكونة بمحس السلطة وطموح الزعامة، حتى استطاعت أن تشغل مسافة قرنين من الزمن في سياق التاريخ السياسي الإسلامي على وجه التقريب، ووجدت لها إمارات في اليمن، ومصر، والخليج العربي، وسواد الكوفة، وغيرها، وعلى مراحل متقاربة..

ولقد تعهد الخلفاء المسلمون على إزالة هذه النبتة، فتم لهم ذلك، ولكن بعد دفاع أسطوري مريّر من قبل تلك الدويلات الإسماعيلية التي كانت ترى في وجودها كقوة غاية مبدئية لا بد منها لهدم الدولة الإسلامية وتقويض أركانها.

ورغم ما حل بهذه الطائفة من عوامل الضعف والشتات، إلا أن هاجس الدولة والسيطرة بقي قوياً وعلى درجة واحدة من الثبات، وهم يرون أن الضعف بالغ ما بلغ لا يجب أن يكون مبرراً لإنهاء فكرة قيام الدولة، فقد بدأوا من لا شيء وأنشأوا دول، هذه ناحية.

الناحية الثانية: أن دوام التفكير في هذا الشأن في رأيهم قد أسفر في العصر الحديث عن قيام دُول باطنية، وكانت بدايتها مجرد طموحات، ثم عمل هادئ وصبور.

من هنا نجد الزعامة الهندية لطائفة "البهرة" تتصرف في أشياء كثيرة كما لو كانت دولة مستقلة، أو ترتب لقيام دولة ستظهر في المستقبل القريب لها كل مقومات السلطة والحكم . وهذا ما نلاحظه من خلال الحقائق الآتية:

أولاً: يطلق محمد برهان الدين على نفسه اسم (السلطان) ويصر على تسمية أبنائه (بالشاة زادة) أي: الأمراء، وبناته بـ"الشاة زادي" أي: الأميرات، ويسمي مبعوثه الهندي الذي ينوب عنه في إدارة شئون أتباعه في الأقطار الأخرى (بالأمير)، ودار إقامته بدار الإمارة، أما نظرة السلطان إلى اليمن فقد نصت^(١) رسالة الوزارة السيفية إلى أتباع الطائفة في اليمن على اعتباره (منصور اليمن) .

ثانياً: يؤكد الداعي محمد برهان الدين عند زيارته للدول الإسلامية على ضرورة مقابلة رئيس الدولة وكبار الحكومة، وقد كان الاستعمار البريطاني يستقبل والده بواحد وعشرين طلقة مدفع كما يستقبل الملوك والرؤساء.

كما يصر الداعي على أن تصحبه المواكب الضخمة وسيارات الرئاسة في البلد المضيف والموسيقى العسكرية التي تعزف بالنشيد البهري الخاص.

ثالثاً: أنشأ الداعي حكومة يرأسها رئيس وزراء وتضم: وزراء المالية، والداخلية، والخارجية، والإعلام، والعلاقات العامة، وتمارس الحكومة عدة صلاحيات على أفراد الطائفة، وفي المجالات التي يحددها الداعي^(٢).

(١) إحدى رسائل ما يسمى بالوزارة اليمنية إلى أتباع الطائفة في اليمن .

(٢) نفس المصدر السابق .

رابعاً: "لهم علم خاص، وقوات مسلحة خاصة مدربة تدريباً عسكرياً، وقد ظهرت في الصور الفوتغرافية: مراسيم رفع العلم الخاص بهم في بعض حصون اليمن^(٢)."

خامساً: لهم دستور خاص تم إرسال نسخة منه إلى اليمن في السبعينات، وفيه تلميحات واضحة عن قيام دولتهم في اليمن كما ستجد تالياً.

٢- الحركات المشبوهة للإسماعيلية في اليمن :

تعد اليمن قبلة الأطماع الإسماعيلية منذ نشأتها الأولى، ويرونها الآن مجمع شتاتهم ومحط رحالهم الأخير، لأنها بنظرهم الأم التي احتضنت دعوتهم عند ميلادها الأول في القرنين الثالث والرابع الهجري، ومن اليمن انطلقت إلى الهند والسند والمغرب العربي ومنه إلى مصر.

ومن اليمن ستظهر مرة ثانية مولد الدولة الإسماعيلية الجديدة، دليل ذلك عندهم قوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) (الأنبياء: ١٠٤)، وقول الرسول ﷺ "الإيمان يمان والحكمة يمانية" ويزيدون "والكعبة يمانية" فهي أرض الميعاد التي سيظهر منها الإمام المستتر الذي آن أوان ظهوره، ومنها يظهر القائم الذي هو دليل يوم القيامة والذي سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وترجع أول محاولة للدعاة الهنود في السيطرة على اليمن إلى مطلع القرن العاشر الهجري، وذلك مع بداية انتقال الزعامة البهريّة إلى الهند على يد "يوسف نجم الدين" الذي دخل اليمن من الخوخة وتوغل منها إلى همدان.

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) جميع الأدلة والصور تجدها في ملف الوثائق لحماية الكتاب .

وقد كان يأمل أن يصل امتداد السيطرة الباطنية في اليمن، بعد علي بن الفضل، وابن حوشب، والصليحيين، وأن تعود اليمن على يديه مركز الانطلاق الباطني وبوابة الفتح الإسماعيلي إلى بقية الأقطار العربية والإسلامية، وقد اعتمد على المال وسبائك الذهب والفضة واستعان إلى جانب أتباعه "بالشراكسة" الأتراك، الذين كانوا متفقيين على إنهاء حكم الأئمة من آل البيت في اليمن، وقد مدّهم بما يلزم من العدة والعتاد، وصار الباطنيون اليمنيون وراء الهندي صفاً واحداً، فبدأ يخوض بهم أشرس المعارك من مدينة الخوخة حتى تمكن من السيطرة على جبال حراز المنيعية، فجعل منها مصدر الانطلاق للزحف على بقية المناطق، واستطاع بالمال والتحالف الأجنبي والعمالة من الداخل أن يواصل انتصاراته ضد الإمام "شرف الدين"، ومضى في تخريب القلاع والحصون حتى وصل إلى همدان فسيطر على حصونها واستقر منها في حصن طيبة، وقد عمل أثناء حروبه في اليمن على تهريب الكتب الباطنية إلى الهند، وكذلك السيوف والدروع والتحف الثمينة والنادرة، حتى قيل: إن حملها تجاوز ألف ظهر من الإبل، واستولى على حراز وهدان نحواً من عشرين عاماً.

هذا فيما يتصل بدور الهنود الإسماعيليين في اليمن، وستناول في الفصل الثالث من هذا الكتاب: الحركة السياسية والعقائدية للباطنية في اليمن، والرصيد الجهادي لأئمة آل البيت في مواجهتها والحد من نفوذها منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى آخر مراحل الحكم الإمامي في اليمن.

وقد ذكر المؤرخ اليمني "يحيى بن الحسين" في كتابه "غاية الأمان في أخبار القطر السيماني" في سياق حديثه عن حروب الإمام شرف الدين ضد الباطنية قوله: "ودخلت سنة (٩٤٤هـ) وفيها وجه الإمام شرف الدين ولده "شمس الدين" إلى

جهة حراز فاستفتحتها وأخذ حصونها: كشياب، ومسار، وغيرها، وكان أهل تلك الجهات ثلاث فرق: فرقة زيدية، وفرقة شافعية، وفرقة باطنية^(١)، فلما فتح شمس الدين حصن شبام وجد فيه من كتب هذه الفرقة الثالثة جملة مستكثره، فأرسل بما إلى أبيه، وكانت مشتملة على كثير من أقوالهم الباطنية وزخارفهم العاطلة الدالة على فساد مذهبهم، وبطلان معتقدتهم، ولقد حكى بعضهم أن كتاباً صغيراً من كتبهم وقع في يده وإذا فيه تصريح بتحليل ما حرم الله من نكاح المحرمات^(٢).

وقد وجد الباطنيون أن الأئمة لهم بالمرصاد، وأدرك الزعماء الهنود أن من الصعب الاستمرار في المحاولة مع حكم الأئمة في اليمن، فقد كان هؤلاء الأئمة - والحق يقال - على وعي تام بالخطر الباطني وما يكتنفه تواجدهم في اليمن من تهديد مستمر لمستقبل اليمن السياسي والفكري، ولم يكن هؤلاء الأئمة - رغم كونهم من آل البيت - منخدعين بشعارات الحب الباطني لآل البيت، لأنهم قد جربوا هذه الشعارات، وذاقوا مرارة هذا الحب الذي عاد عليهم بالآلام، وتجاوزهم بما يحمله من بريق الآمال الخادعة.

(١) يفهم البعض في اليمن أن قضاء حراز كله باطنية أو ما يسموه: (المكارمة) وليس الأمر كذلك، فقضاء حراز الذي يعتبر من أوسع المديرية في الجمهورية والذي يحده محافظة المحويت وناحية باجل غرباً، وريمة جنوباً، والحيمتين شرقاً، وشمالاً جزء من المحويت وتتبعه عدة عزل (وباستثناء عزلتين في شرقي حراز) فإن جميع عزل المديرية تعتنق المذهب الشافعي والزيدي مثل عزل: [مسار، والأغمور، وبنى مرج، وبنى خطاب، وهوزن، وبلاد الثلث، والمجره، وحصبان، ولهاب، وبنى إسماعيل.. وأكثر سكان مدينة مناخة، وأخرى بالإضافة إلى = ناحية صعقان باستثناء بعض الفرق كما سبق] وقد سبقت الإشارة إلى قرى الإسماعيلية ومحل تواجدها في حراز وغيره وهي في حراز تتركز في الشرق منه على بعد ٧ كم من مدينة مناخة ومناخفة للحيمة الخارجية .

(٢) (ج-٢ ص: ٦٨٣) تحقيق سعيد عاشور دار الكتب العربي .

من أجل ذلك فقد كانت الثورة المباركة التي أنهت حكم الإمامة في اليمن بعد اشتداد فساد بيت حميد الدين وتسلطهم، كانت في نظر الباطنيين بمثابة النافذة التي سمحت بدخول وميض الآمال إلى نفوسهم المهرومة فأحيتها من جديد، لاعتقادهم أن طبيعة النظام الجمهوري لا يقلقه التنوع الديني، وهذا يعني إنهاء حالة التركيز السياسي ضدّهم، وإنهاء تأريخ من الحصار التنظيمي والحركي الذي ضيق عليهم الخناق.

ولم تكف الثورة ترسو على أقدامها حتى كانت لهم تنظيماتهم الخاصة وتشكيلاتهم السرية المحرمة في الدستور، حيث استغلوا التسامح بعد الثورة المباركة التي حملت سياسة النظرة الواحدة لجميع فئات المجتمع، فجعلوا من هذا الهدف السامي وسيلة لتجاوز النظم والقوانين، ثم تعددت مجالات أنشطتهم ليصل إلى الجانب الاقتصادي، فصاروا يديرون الشركات ويتحكمون في بعض الموارد السلعية ويضاربون بالعمل الوطني، ولكن بطرق وأساليب لا ينقصها الذكاء واليقظة وبحيث تبعدهم عن دائرة الشبهة.

ثم جاءت الوحدة، ومثلما كانت حلم الجميع، كانت حلمهم أيضاً، حيث حملت معها روافد الفكر الاشتراكي الإسماعيلي، وإزالة الحدود ليلتقي الشطران وليتحد معها باطنيو الشمال بالجنوب فكان ذلك -عند الإسماعيلي- من معجزات المذهب وعلامة من علامة التمكين والاستخلاف، فهم يعتبرون الاشتراكيين تلاميذ أوفياء لمعتقداتهم، وامتداداً ثورياً للحركات القرمطية في التأريخ، وكان أن زاد الإسماعيليون من حركاتهم المشبوهة، وحصلوا على امتيازات إضافية خفية لا تدرك بالعين المجردة، وذلك بضغط من الاشتراكي الذي رأى فيهم قوته المالية، ورأوا فيه قوتهم السياسية، وكانت الديمقراطية بمثابة المعجزة الثالثة بالنسبة لهم، ودلالة على

اقتراب نهاية الدور وفترة الستر، ودنو (الوعد الحق)، فوسعوا تحت ظلها من أنشطتهم، وخرجوا من طور العمل الهادئ إلى الممارسة العلنية، وصاروا لا يخفون رغبتهم في السيطرة على الحصون المنيعه والجبال التي لعبوا من خلالها أدواراً تاريخية مشهودة، كما خرجوا يمارسون الطقوس الشركية تحت ضوء الشمس أمام جماهير الشعب، ويصرون الأشرطة ويوزعونها وذلك بهدف تطبيع الشعب على تلك المناظر التي تثيره وتستفز عقيدته، والقبول من ثم بالأمر الواقع، وكل من يعترض رفعوا في وجهه صوت الحرية وأشهروا ضده سوط الديمقراطية، وهددوه برعاية الدول الخارجية لحق الأقليات، ولا يلبث أدعياء التسامح من ذوي النظر المكفوف أن يعلنوا تأييدهم ويصفقوا بحماسة لتلك الممارسات المخلة بالسيادة، ويعتبرون ذلك انتصاراً للديمقراطية التي لا تغدو مفهومة - في نظرهم - إلا بوجود ممارسات تتجاوز إطار المعقول وحدود القوانين.

ولهم شخصيات متنفذة في المؤسسات العسكرية والمدنية، يعملون على توفير المسوغات لأعمالهم وفلسفة ممارساتهم المشبوهة، بحيث تبدو للمسؤولين ووجهة وعادية، وإذا لم ينفذ حشد المبررات أخرجوا السلاسل الذهبية والهدايا الثمينة فتنهار تحت بريقها بعض النفوس المريضة، فينتزعون منها ما شاءوا من التصريحات والتوجيهات اللازمة.

لذا وجب أن نتطرق لهذا الموضوع الهام الذي ربما كان المدافع الأهم لتأليف هذا الكتاب، وهو "الحركات المشبوهة للإسماعيلية في اليمن" والمتمثلة في النقاط الخطيرة الآتية:

أولاً: عدم اعتراف الطائفة بالنظام القائم :

ولقد أشار "محمد برهان الدين" في مقدمة "الدستور" إلى قرب انتهاء ما أسماه بسلطان الباطل في اليمن، وأن مؤشرات الانفراج قد لاحت، وأن الإمام المستتر قد أوعز إلى أبيه بذلك، حيث قال: "قد ادخر الله -عز وجل- للداعي الأجل سيدنا طاهر سيف الدين -رضوان الله عليه- في جزيرة اليمن من شأناته أعظم شأن، فرأى بما أمده ولي الله -سلام الله عليه- الإمام المستتر، من تأييد الإشراق اليمن بنظر اللطف والأشواق، حين علم أن الوقت لإنعاش المؤمنين قد آن أوانه، وأن الباطل سوف يزول عن قريب سلطانه، فأمر منصوصه الداعي الثاني والخمسين محمد برهان الدين بالسفر إلى اليمن، فبشر أهلها بوجود منصوصه فيهم. بما سيرهم من سعادات"^(١).

ولذلك فهم ينظرون إلى الدولة القائمة على أنها تمثل وضعاً غير طبيعي، ولا يعترفون برئيس الدولة ولا يسمحون بالإشارة إليه في رسائلهم واحتفالاتهم الخاصة، فقد لاحظنا في الفيلم الوثائقي^(٢) أن محمد برهان الدين منع نائبه الشيخ: غالب علي محسن من ذكر الأخ الرئيس: علي عبدالله صالح -حفظه الله- في خطابه وأسكته بإصرار وهو ضيف على الجمهورية اليمنية.

ولا يعترفون أيضاً بالنظام الحالي، وبدلاً من ذكر الجمهورية اليمنية يتحدثون عن شئ اسمه الجزيرة اليمنية، وكل رسائلهم الخاصة وأدبياتهم ووثائقهم لا تتحدث

(١) من الدستور البهري (ص: ٥) .

(٢) تورب على طائفة البهرة الداودية فيلم وثائقي خطير، يتضمن السجود المباشر على الأرض لمحمد برهان الدين من قبل أتباعه، وقد أثار ضجة كبيرة في اليمن عام ٩٢م ولا يزال يباع ومتداولاً في الأسواق، وقد قال لأتباعه: إن انتشار هذا الشريط يعد من معجزاته، (كلون من ألوان الخديعة) .

إلا عن جزيرتهم المملكة للسلطان "جزيرة اليمن" "أرض الميعاد" والبركة والنماء، وهذا هو الاسم الذي تركته الدولة الصليحية، والذي يأملون إعادة مجدها من جديد.

ويعتبر "مفضل محمد برهان الدين" هو ملك اليمن المنتظر في رسائلهم ولقاءهم الخاصة، وقد أثبتنا بعضاً من تلك الوثائق في هذا الكتاب ويسمونه "منصور اليمن" وهو لقب "ابن حوشب" الذي أسس الدولة الفاطمية في اليمن مع علي بن الفضل، وعند زيارته بصحبة والده إلى اليمن يرفعون علمهم الخاص في قمة حصن الحطيب، وهو علم أخضر يتم وضعه وسط التصفيق والهناف والزغاريد، وفي حصن الشارقة في حراز قام محمد برهان الدين بدفن علم أحمر وسط قارورة حتى يأتي ما يسمونه "بالقائم" الذي سيقوم بإخراجه ورفعته ومن ثم الانطلاق والسيطرة (انظر: في ملف الصور).

وهناك شعار فاطمي موجود في بعض الآثار الفاطمية يصنعونه في حرف الميم من كلمة "اليمن" ويرفعونه كرمز للحاكم والسيطره على اليمن، كل هذا موثق بالصور والوثائق.

وقد ظهرت لهم في اليمن حركات مشبوهة تنذر بعواقب غير متوقعة، إذا لم تتعامل معها الدولة من منطلق الشعور بالمسؤولية، وبما يضمن صون السيادة الوطنية من تلك المغامرات الخطيرة والمشبوهة.

ثانياً: التخطيط للاستيلاء على مواقع استراتيجية حصينة :

محاولتهم المتكررة للسيطرة على جبال حراز الحصينة، ومواقعها الاستراتيجية القريبة من ميناء الحديدية، والمطلة على خطوط المواصلات البرية الرئيسية من صنعاء

إلى الحديدية، تؤكد حقيقة الإعداد العسكري المعد والمبيت لدى طائفة البهرة في اليمن، نظراً لإصرار الطائفة على التمرکز في تلك الجبال العسكرية المنبوعة.

من تلك الجبال جبل "شيام" الذي يصل ارتفاعه عن سطح البحر إلى (٣٠٥٠) متر، وجبل "مسار" المنيع الذي منه انطلق علي بن محمد الصليحي ويصل ارتفاعه إلى نحو "٢٩٠٠" متر، وجبل حمضة، وجبل سعدان، وكذا جبل بني إسماعيل، وكل جبل يقع في عزلة مستقلة، أي في مناطق متباعدة عن بعضها.

وتتمثل تلك السيطرة من خلال محاولاتهم بناء قباب على قبور وهمية، وبناء مرافق جانبية حذاءها ومستوطنات للحراس والسدنة، في قمم تلك الجبال تمهيداً للسيطرة عليها، وهناك تقرير يشير إلى استخدام الطائفة اثنين من أمهر المصورين البريطانيين لتصوير الجبال المطلوبة أهمها جبال (عراس).

وآخر محاولة لهم كانت في شهر سبتمبر من عام ١٩٩٥م عند زيارة زعيم الطائفة السلطان محمد برهان الدين، حيث حاولوا الخروج إلى غرب مدينة مناخة بكامل معدات البناء، وكانت قبيلة مسار المعروفة بمواجهتها التاريخية لأطماع الباطنية منذ عهد الدولة الصليحية، قد علمت بما أزمع عليه سلطان البهرة من الخروج إلى الجبل، ووضع حجر الأساس للشروع في البناء الفوري لمزار على قمة الجبل، حيث كان قد سبقه مبعوثه إلى أعيان القبيلة بهدف الإغراء والمساومة بالهدايا الثمينة، والمشاريع الخدمية التي يمكن أن يستفيد منها أبناء مسار مقابل السماح بالبناء ومن ثم التحلي عن الحصن.

فكان أن استنفرت "عزلة مسار" جميع أبنائها وخرجت في حشد كبير بنية المقاومة ومواجهة الهنود، ومن صحبهم من أبناء الطائفة الإسماعيلية من شرقي حراز واستقرت في منطقة "عبري سهام" في منطقة متقدمة من الجبل في انتظار قدوم

طائفة البهرة من أجل إقناعها بعدم جدوى المحاولة لدخول الحصن، وإعلامها برفض مسار القاطع لمشروع بناء الضريح لاعتبارات كثيرة، وكان شرقي حراز مليء بالحجاج الزائرين الذين يصلون إلى قرابة أربعة عشر ألف رجل من البهرة، القادمين من أنحاء العالم ومن داخل البلاد، وقد حاول بعض المنتفعين من المرافقين للسلطان، إقناع أهل مسار المعسكرين بالتخلي عن فكرة المواجهة وإخلاء الطريق للبهرة من أجل الصعود إلى الجبل، والتفاوض على البناء بعد ذلك، ولكن لم تسفر تلك الوساطة عن نتيجة من شأنها وضع نهاية للصراع التاريخي على جبل مسار، الذي تمكن الباطنيون من السيطرة عليه ذات يوم.

على أن أهل مسار قد طلبوا وفداً من البهرة لتحديد مكان القبر ليتم تسليم رفاتهِ إليهم ودفنه في المكان الذي يحبون من بلادهم، غير أن طائفة البهرة لم تقبل بهذا العرض^(١).

ولما خابت آمال السلطان في الزيارة، وبناء المشروع على قمة "جبل مسار"، اتجهت الطائفة ليلاً إلى قمة "جبل شبام" منطقة عسكرية وهي قمة عالية لم يحدث وأن سكنت من قبل من حيث التواجد المدني، فبنوا عليها بناءً مستعجلاً كأساس لقبّة، ثم انسحبوا فجراً، غير أن البناء لم يعيش أكثر من ساعتين فقد تنبّهت قبيلة هوزن وبلاد الثلث إلى هذا الغزو الليلي، فأرسلت من يسوي البناء على الأرض وحراسة الموقع.

(١) لم ينجح الباطنيون إلى الآن في السيطرة على حصن مسار التاريخي والمنيع، ولكنهم نجحوا في إلحاق الأذى -كما بلغنا- بأعيان هذه المنطقة وشيخها (عمر) وتعريضهم لمطاردات الأتقم وإيداعهم السجون عن طريق مقاولات مالية يدفعها زعماء هذه الطائفة وبواسطة أتباع لهم في السلطة.

ومثل ذلك حدث في جبل حمضة، ولهم تطلع إلى جبال أخرى في اليمن، ولم يبق في حراز سوى جبل صعفان، وهم يعتقدون أن مسألته باتت مضمونة، إذ أن إخوانهم المكارمة السليمانية يتمركزون في أعلاه ممثلاً بقرية "الرباط الأعلى" التي تقع بالقرب من الموقع العسكري "متّوح".

وفي كل مرة يزور فيها البهرة اليمن، يصبح البهرة حديث الشارع اليمني، وأما في حراز فتظل المسألة أصعب حيث تتكرّر المواجهة مع البهرة، وتعدد صورها، فأما أبناء الطائفة: فيستغلون الإمكانيات المادية والصحف الموالية لهم في صنعاء لمهاجمة خصومهم والتحريض ضدهم، وأما مشايخ وأعيان حراز: فيلتزمون موقف الدفاع عن حصونهم، وقد يقومون بنفس الدرجة من النشاط الدعائي والإعلامي الذي يقوم به أتباع الطائفة، ولكن بدرجة أقل من حيث الإمكانيات، فيتوقف نشاطهم على رفع المذكرات لأصحاب السلطة، وجمع التوقيعات التي قد تصل إلى (٢٠٠) توقيع من مشايخ وأعيان المديرية، وربما تجاوز ذلك إلى إصدار البيانات، وإنزال القصائد الشعرية التي تتضمن التعريض بعقيدة البهرة وفضح نشاطها، ضمن ما أصبح يسمى (بصراع الجبال والحصون) المستمرة والمحمولة.

وفي الوثائق - الثلاث - التالية ما يدل على مرارات هذا الصراع القائم بين "قضاء" يشعر بالغبن وطائفة أصبحت سبباً في إلحاق الأذى بسمعته، حيث أصبح الحرازي يعني "المكرمي"^(١) في نظر اليمنيين أصبحت مصدراً لإزعاجه من خلال الإلحاح على التمرکز في أعالي الحصون كلما سنحت لها الفرصة.

(١) "مُكرمي" بضم الميم وفتح الراء .

الوثيقة التالية، مذكرة موجهة إلى وزير الدفاع، ووزير الأوقاف والإرشاد، مرفق بها ست ورق مشتملة على أكثر من (٢٠٠) إمضاء من أعيان حراز، تكشف ممارسات أتباع الطائفة في حراز، وعلى أثر المذكرة تشكلت لجان حكومية لتقصي الحقائق.

وثيقة رقم (١) (١)

صورة مع التحية للأخ: رئيس مجلس النواب.

.....: وزير الإدارة المحلية.

.....: وزير الداخلية.

.....: النائب العام.

.....: محافظ محافظة صنعاء.

.....: قائد الحرس الجمهوري.

.....: مدير عام المديرية.

.....: قائد منطقة حراز.

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: ٢٢/رمضان/١٤١٥هـ

الأخ: وزير الدفاع والأخ وزير الأوقاف والإرشاد المحترمين حياكم الله

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد:

نعيدكم الله أن نشيم فيكم برق الخلب وأن تعود آمالنا فيكم "كسراب بقية

يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً".

(١) انظر: ملف الوثائق الملحق في نهاية الكتاب والذي يشمل صور لجميع الوثائق الأصلية الواردة في الكتاب .

أجل بينما الدولة أعلى الله شأنها - تلملم الجراح من جراء حرب الانفصاليين وهي في حالة حوار من أجل مشكلة الحدود اليمنية السعودية، إذا بالهنود من طائفة "البهرة" يقومون باحتلال "جبل شبام" احتلال من طراز جديد - ينون فيه معبداً لإحياء الوثنية في القرن العشرين، مستغلين الظروف القائمة (وهذا بتعاون من قبل أصحابهم الإسماعيليين في شرقي حراز).

لقد سبق منهم الشروع في التحايل على التمرکز في هذا الجبل بدعوى بناء مسجد رأس الجبل، مع أن هذا الجبل موقع عسكري إستراتيجي هام، وهو ثالث جبل في الجزيرة العربية، وثاني جبل في اليمن من حيث الارتفاع، ولا يوجد هناك أي سكان.

وقد تعاطف معهم في طلبهم بعض ضعفاء النفوس من مسؤولي الدولة، الذين لم ينجحوا في بيع البلاد في أطرافها، ولما عرف الناس الغيورون على أوطانهم، قاموا لهدم ما كانوا قد بنوه تلك الطائفة في هذا الموقع العسكري الهام "شبام"، وأوقفوهم عند حدهم، لكن أبناء البهرة المذكورين وفي هذه الأيام بالذات والناس في مساجدهم معتكفون، عادوا من جديد لبناء القبة - أو المعبد الوثني، يا أمة ضحكت من جهلها الأمم - وللعلم فإن الدعم لبناء هذه القبة يأتي من أولئك الأعداء الذين كانوا يدعمون الانفصاليين، والذين فشلوا في الحرب المقدسة، فأصبحوا يتآمرون على البلاد من داخلها، يريدون السيطرة على جبالها، وأهمها جبل "شبام" المظل على عدة مديريات ومحافظات حتى ميناء الحديد.

وعليه فإن حراز بمشايخها وجميع أبنائها يستنكرون تمرکز الهنود على جبالها، بدعوى بناء القبة وإحياء الوثنية في القرن العشرين، وتستأذن من الدولة بحماية هذا الجبل وتسليمه لأبناء المنطقة، ولن تسمح لأي هندي تحت أي مبرر أن يتمركز

فوق رؤوس أبناء حراز، ونحملكم مسؤولية أي نتائج عكسية، لأن ضرر ذلك ينعكس على أبناء المنطقة قبل غيرها، ولا قوة إلا بالله ولكم تحياتنا.

إخوانكم: أبناء حراز

(التوقيعات)

وتضم عدد مائتين وخمسة

وثمانين توقيعاً من أبناء

المنطقة وكافة أعيانها.

(انظر ملف الوثائق)

الوثيقة التالية بيان تم تعميمه "باسم" أعيان حراز والجيل اليقظ.

وثيقة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ وتحذير

إلى كافة مسؤولي الدولة والحكومة، ومجلس النواب والعلماء، إلى كل من يهيمه مصير هذا الوطن وسلامة عقيدته، نرفع هذا البلاغ من منطقة حراز وذلك بدافع الشعور بالمسؤولية وإبراءً للذمة:

لقد ظلت منطقة حراز ولا زالت تمثل الهدف الاستراتيجي لأطماع الباطنية، وذلك منذ نهاية الدولة الصليحية التي انطلق مؤسسها من جبل مسار المنيع لسيط نفوذه وهيمنته على اليمن، وفرض مذهبه على سائر المذاهب، وبنفس أساليب المكر والدهاء نجد أحفاده اليوم يخططون وبخطوات بالغة الدقة والإحكام من أجل إعادة الهيمنة من جديد.

إن العقلاء والناهجين يدركون أهمية الاستفادة من دروس التاريخ، فهذا الصليحي بدأ في بناء حلمه الكبير وهو فرد أعزل في وسط مقاومة حاشدة من أبناء مسار، ولكنه بأسلوب الخديعة والمكر ظل يؤكد على براءة قصده ونقاء دعوته وخلوها من أطماع سياسية، في الوقت الذي ظل فيه يبحث عن التدخلات الأجنبية مقابل إخلاص العمالة والولاء، وقد نجح بالفعل في الحصول على حاجته من الرجال والعتاد من الدولة الفاطمية في مصر، ومن ثم بسط نفوذه على سائر اليمن وفرض مذهبه على معظم مَحَالِيفِهَا، إلى أن قبض الله بأئمة أعلام طهروا

اليمن من رجسهم عدا مجاميع قليلة، هي اليوم التي تعمل على تحقيق المعجزة الصليحية على يدها.

ومن هنا فإن الدرس البليغ الذي يجب الاستفادة منه هو أن إمكانيات أحفاد الصليحي اليوم لبناء حلمهم، تفوق إمكانيات الصليحي بما لا يقاس من الأموال والرجال والتنسيق الخارجي المشبوه.

إننا وبحكم معايشتنا لهذه الطائفة نمتلك من الأدلة والوثائق ما يكفي للتدليل على التنسيق المبكر مع إسرائيل منذ عقد الستينات من خلال الزيارات المتكررة للمدعو السلطان محمد برهان الدين إلى تل أبيب، والارتباط بالدوائر الاستعمارية والماسونية، وتكديس الأسلحة في شرقي حراز والمدن المختلفة، ومحاولة الاستيلاء على القلاع المنيعة في جبال حراز بحجة اكتشاف قبور لهم فيها، والازدياد المخيف للتواجد الأجنبي في المنطقة ممثلاً بالهنود أتباع الطائفة بحجة الحج والزيارة، وإغراق شخصيات من ذوي القوة والنفوذ في الدولة بالهدايا الخيالية والعملات الصعبة والسلاسل الذهبية بهدف الحصول على الاعتراف بشرعية ممارستهم المشبوهة (وقد نجحوا في هذا للأسف)، وكذا الإسهام في بناء ودعم الحزب الاشتراكي القائم على أكتافهم منذ ولادته ليكون أحد أهم أسباب التمكين.

إن بروتوكولات طائفة البهرة (الداودية) تنص على قيام دولة تنطلق من الخطيب بشرقي حراز بزعامة نجل السلطان محمد برهان الدين، حيث تقول: "وستنتهي الولاية من علي كرم الله وجهه إلى محمد برهان الدين المعبود في الهند عادة هو الإله الذي له كل شيء من صلاة وصوم وزكاة وحج وكل أركان الإسلام، ومنه إلى القيم ولده الذي سيبشر به، إنه تمام الدور من آدم عليه السلام وهو الموسوم بالعلي العظيم، عليّ القدر، سيد شباب أهل الجنة الذي سيملك الأرض

وتكون بداية منطلق دعوته وظهورها من الحطيب حراز^(١) فماذا يريد مسؤولونا أحياء الله موات ضمائرهم أكثر من هذا؟!

إن حركات مشبوهة بسيطة حدثت في مصر لهذه الطائفة، كانت كفيلة بإيقاظ الصحافة على مختلف اتجاهاتها لشن حملة من أجل إيقاف أتباع هذه الطائفة المشبوهة عند حدها.

لقد أوشكت هذه الطائفة بحجم تصرفاتها أن تتحول إلى أقلية تعبد بعضها بعضاً على الماء، وتعطي الولاية والبيعة في وضوح النهار لزعماء هنود، وتجمع الزكوات والجبايات لتذهب لصالح حسابات خاصة في الخارج لغير يمينين، كل هذا يتم في بلد ينص دستوره على وحدة العقيدة والاتجاه، فمتى يا سادة تلتقي الأقوال مع الأفعال، وأفتونا بربكم متى أباح الدستور بحق الاعتقاد الوثني والترويج له على الماء، وهل في الديمقراطية ما يعطي هذه الطائفة حق احتلال المواقع العسكرية المحرمة والخطيرة.

إن أكثر من ثلاثة عشر عزلة في حراز تفرع ناقوس الخطر، وتحذر الحكومة من مغبة التواطؤ مع عزلة شرقي حراز "دود ومكارمة" التي تحولت إلى بؤرة لوثنية جديدة: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ) (إبراهيم: ٥٢). وقد أعذر من أنذر، والله من وراء القصد،،

صادر عن/ أعيان حراز والجيل اليقظ

(١) ورد هذا ضمن رسالة تركها نائب سابق لهم هو الشيخ غالب علي محسن .

الوثيقة التالية قصيدة شعرية موقعه باسم "أبو عمر" وجدناها غير مؤرخة،
والراجح أن نشرها جاء مع زيارة محمد برهان الدين إلى اليمن عام ١٩٩٥م، قد
صورت المراسيم الخاصة لاستقباله من قبل أتباع الطائفة وأشارت إلى طموحه في
جبال حراز.

وثيقة رقم (٣)

دفن المهنود شريعةً أولى بأخرى ثانيه
ليست بملة أحمد كلا ولا نصرانيه
خبصوا الصلاة على الصيام وأصبحت (غوجانيه)
حملوا الدعوى وشيعوه على رؤوس ثمانيه
فتراه فوق رؤوسهم عجلًا يضج أنانيه
(فرعون) يخجل أن يدوس على الرؤوس علانيه
لكنه فوق الحمير يعيش دنيا ثانيه
عبدوا العجول وحققوا لإبليس كل أمانيه
سأظل أجزم أن من عبده غير يمانيه
أو أن بين عروقهم يجري دم القحطانيه
كلا ولا حب الرسول ودوحة العدنانيه
واقى يفتش في القلاع عن الرفات الفانيه
يرمي لتشديد الحصون وجعلها سلطانيه
أو ما كفى الهندي أن يحظى بأحلى غانيه؟
ويعود يرفل بالعطاء محملاً بالآنيه
يجبى ويملاً بيته ذهباً ودنيا دانيه

هذا الذي يجي الألف ويدعي الرهبانية
أو ما كفاه تآلهاً وتكالباً وزبانية
وبهائماً تركت ركائبها له بجانيه
هذي (حرازية) الحروف ونبضها (صعفانية)
ونصيحةً للداودي ودعوةً ربانية
إن كنت ترغب في النجاة فسل عن الإمكانية
سارع إلى ترك الضلال وحطه في ثانيه

أبو عمر

ولم تكن جبال حراز هي نهاية محط أنظار البهرة في اليمن، بل توجد حصون كثيرة يقصدها البهرة كمزارات منها حصن "بني داوود"، وحصن "ذمرمر" و"طيبة" في "همدان" و"عراس".

ولم تكن مشاكل البهرة قد توقفت مع أهل حراز وحسب، بل نجد صراع القبب والأضرحة يمتد مع البهرة الداودية إلى قبيلة همدان في حصن طيبة، فقد بقيت معركة البناء والمدمم للأضرحة مستمرة فيما بين القبيلة وأبناء الطائفة، ويتكرر مثل ذلك في مناطق أخرى كحوث وزبيد وعراس وغيرها.

وفي عام ١٩٨٤م استطاع أبناء الطائفة الحصول على ترخيص لما أسموه بإعادة بناء قبر لهم في مسجد غيل بني حامد، وذلك من وزير الأوقاف آنذاك، ولم يكن على علم بمغزى هذا السباق المحموم وراء إنشاء القباب هنا وهناك، وما تجره على الوطن والمواطنين من المشاكل والفتن الخطيرة، ولما علم عامل أوقاف همدان بهذا التصريح، بادر إلى تحذير الوزير من مغبة ذلك، وأطلعه على ملابسات الموضوع، وضرورة سحب التصريح فوراً، حتى لا يكون سبباً فيما لا يحمد عقباه، مما دفع بالوزير إلى أن يعقب على تصريحه بالتوجيه إلى أبناء الطائفة بما يلي:

وثيقة رقم (٤)

بسم الله

حياكم الله

الأخ الشيخ غالب والأخ خزيمه

لا داعي لعزمتكم إلى غيل بني حامد وكل الأخوة الواصلين من حراز وكذا المقيمين هنا لإعادة القبر، فقد وصل إلينا عامل أوقاف همدان، وأكد لنا أن الخروج إلى همدان سيؤدي إلى فتن لا يحمد عاقبتها، فليكن إعادة ما سبق تحريره منا بالنسبة لهذا وشبام حراز، فاعتمدوا هذا وسعالج الموضوع بالحكمة من لدينا والمسؤولية عليكم بعد هذا.

والسلام عليكم

م٨٤/٢/٢٩

علي السمان

وزير الأوقاف

ولم يكف زعماء البهرة في اليمن محاولاتهم الدؤبة لانتزاع تصاريح المختصين في الدولة من أجل السيطرة والبناء في أكثر من موقع حساس وخطير، فلم يتركوا باباً إلا طرقوه، ولا وسيلة إلا استخدموها، فإلى جانب الإغراءات الكثيرة، استخدموا في كثير من الأحيان أسلوب التدليس على بعض المختصين في جهاز الدولة، مستغلين جهلهم بطبيعة المناطق التي تهدف الطائفة إلى الاستحواذ عليها، كما استعملوا أسلوب المغالطة، فرموا طلبوا الترخيص لترميم قبة كذا، في مكان كذا، في حين عدم وجود قبة من الأساس في الموقع، أو بناء مسجد في مكان ما، بينما لا يوجد أي تواجد سكاني فيه.

وفي فبراير من عام ١٩٩٥م جاءت أوامر السلطان من الهند بضرورة انتزاع ترخيص للبناء في قمة جبل شبام حراز الإستراتيجي، فاستطاع نوابه بعد نضال الحصول على توصيات فردية ورسائل شخصية بالموافقة على ما أسموه: ترميم المسجد في هذه القمة، والحقيقة أنه لا صحة لوجود جامع فيه، وكل سكانه بعض أفراد من الحرس الجمهوري متمركزين فيه، فلما أرادوا الشروع في البناء منعهم مدير عام المنطقة، وعارضهم أهالي القرى المجاورة، فعاد أبناء الطائفة يتذمرون في وزارة الأوقاف، وفي وزارات أخرى غير ذات صلة بالموضوع، فاضطر وزير الأوقاف إلى تشكيل لجنة للإطلاع على طبيعة المكان ورفع تقرير بإمكانية البناء فيه من عدمه، وبعد نزول اللجنة ودراسة الموضوع خرجت بالتقرير التالي:

وثيقة رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية اليمنية

وزارة الأوقاف والإرشاد

الأخ الوزير

حفظكم الله

وبعد:

بحسب توجيهاتكم كان عزمنا إلى مناخة، قضاء حراز، وذلك لطيافة البناء الذي تم إحداثه من قبل طائفة البهرة فوق جبل شبام حراز، فقد كان خروجنا مساء السبت ٢٦ / رمضان، الموافق ١٩٩٥/٢/٢٥م فوصلنا إلى مناخة، والتقينا بالأخ مدير عام قضاء حراز وتعرفنا على أوليات القضية، وبعد صلاة فجر يوم أمس الأحد ٢٧ رمضان الموافق ١٩٩٥/٢/٢٦م توجهنا إلى رأس جبل شبام مكان النزاع، وبعد التعرف على البناء اتضح لنا ما يلي:-

أولاً: أن البناء حديث ولم يسبق له بناء قبل الآن.

ثانياً: أن المنطقة خالية من السكان فلا يوجد بناء حول المكان الذي يراد بناء المسجد فيه، لا قديم ولا حديث، اللهم إلا موقع عسكري يتبع الحرس الجمهوري مرتفع عن المكان المذكور يصعب على أفراد الصلاة في هذا المكان.

ثالثاً: أن المسجد المزمع إحداثه مساحته (٢٠ متراً عرضاً × ١٨ متراً طولاً) وبناء أساسه تم فوق قبر كانت قد هدمت قبته في عهد الإمام يحيى، ثم في عهد الإمام أحمد، حسب إفادة أبناء المنطقة.

رابعاً: يكتسب جبل شبام حراز الشامخ أهمية إستراتيجية وعسكرية كبيرة، فهو يطل على قضاء حراز، والحيمة الخارجيه، وقضاء ريمه، وآنس، ومحافظة الحديدة.

وعليه: فإننا لا نرى أي داعي أو مصلحة لإقامة مسجد في المنطقة المذكورة، لا سيما وهي منطقة خالية من السكان تماماً، وكأن الغرض من بنائه فوق ذلك القبر ليس إلا لاتخاذ معبداً لطائفة البهرة ومزاراً يقصده أبناء هذه الطائفة من أنحاء العالم، ثم التمكن من السيطرة على تلك البقعة الإستراتيجية، كما أن القبر ليس بحاجة إلى ترميم فهو سليم ولا يحتاج شيء.

وعليه: يرجى الإطلاع والتوجيه باللازم، وشكراً.

وتقبلوا خالص التحية،،

رئيس اللجنة

حمود علي ناصر السعيدى

عضو اللجنة

محمد محمد الحوض

وعلى ضوء هذا التقرير، ووجهت وزارة الأوقاف إلى الجهات ذات العلاقة مذكرات تتضمن نتائج تقرير اللجنة ورأي الوزارة في ذلك، وكانت إلى كل من وزير الإدارة المحلية، والنائب العام، ورئيس مجلس النواب، وقد جاءت كالتالي:-

وثيقه رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: ٤١٥

التاريخ: ١١/١٠/١٤١٥هـ

الموافق: ١٢/٣/١٩٩٥م

المحترم

الأخ / رئيس مجلس النواب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد:

تهدىكم وزارة الأوقاف والإرشاد تحياتها، ونتمنى لكم العون والتوفيق في عملكم، ونود إحاطتكم بأنه قد طال الأخذ والرد بخصوص المسجد الذي تزمع ببناءه طائفة البهرة الإسماعيلية بجبل شام حراز، مما جعل الوزارة تكلف لجنة بالنزول الميداني إلى موقع المسجد المقترح حتى تتكون صورة واضحة لدى الوزارة، والتي على أساسها يتم التعامل مع القضية، وقد كانت المطالبة قائمة على أساس ترميم مسجد قائم قديم، وأن المنطقة مأهولة بالسكان، وقد تبين لنا من خلال التقرير المرفوع من اللجنة الآتي:-

(١) أن المكان لا يوجد به مسجد قديم حتى يتم ترميمه، غاية ما في الأمر أن هناك قبراً صغيراً من المرجح أن يكون لأحد الجنود، إذ الموقع عسكري كما تدل عليه بعض المعالم وقد تشبثت به الطائفة المذكورة على أمل الإستيلاء على الموقع لأهميته.

(٢) لا يوجد أي ساكن في المكان المخصص للبناء - كما ادعوا في طلبهم والمساجد لا تبني إلا للصلاة فيها، لا من أجل الزينة أو المباهاة أو تحقيق أهداف أخرى.

(٣) إذا كان عندهم فضل مال، فهناك جهات كثيرة محتاجة لبناء مساجد ومزدحمة بالسكان، والوزارة مستعدة لأن تحدد لهم المكان وتساعدهم على تسهيل مهمتهم، وهي جهة اختصاص، ومع أن الجهة المتبنية لهذا المشروع (أجنبية).

(٤) رفعت مطالب كثيرة من المواطنين وكلها تطلب من الوزارة عدم السماح بالبناء في ذلك المكان لعدم الحاجة إليه، وأنه لا يراد به وجه الله، وإنما من أجل إحداث فتنة بين المواطنين.

والوزارة إذا توضح لكم حقيقة تلك المحاولات للبناء وما تخفي وراءها من أهداف، تأمل منكم إشعار جهتكم في المنطقة وفي العاصمة بالتعاون مع مسؤولي الوزارة، وعدم السماح بأي تجاوز من شأنه إحداث فتنة، ومرفق لكم صورة من التقرير ومطالب المواطنين.

والله من وراء القصد،

وزير الأوقاف والإرشاد

د. غالب عبدالكافي القرشي

وعند زيارة زعيم الطائفة لليمن السلطان محمد برهان الدين في سبتمبر عام ١٩٩٥م، عُنّف نوابه في اليمن لعدم إنشاء البناء في جبل شبام، وهدد بالغضب عليهم إن لم يتمكنوا من تنفيذ المشروع في مدة إقامته، فعاد هؤلاء النواب المحاوله خوفاً من سخط السلطان والغضب عليهم، واتجهوا هذه المرّة إلى وزارة الدفاع، وكتفوا من إلحاحهم وضغوطهم على الوزير عبدالملك السياني، غير أن الوزير الذي يعرف المنطقة جيداً رفض بشدة طلب هذه الطائفة، ووجه مذكرة إلى وزير الإدارة المحلية بوضع الاحتياجات الأمنية اللازمة لحماية الموقع من محاولة السيطرة الإسماعيلية فيما يلي نصها:

وثيقة رقم (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: ١٧٣ / ٣	الجمهورية اليمنية
التاريخ: ١٥/٤/١٩٩٥م	وزارة الدفاع
الموافق: ١٠/٩/١٩٩٥م	مكتب الوزير
المحترم.	الأخ / وزير الإدارة المحلية

غير خاف عليكم كثرة الإلحاح المتكرر لطائفة البهرة (فرقة من الإسماعيلية) والذي يهدف إلى تشييد مسجد في (قمة شبام-حراز)، مع العلم أنه لا يوجد في قمة الجبل أي قاطنين من السكان، ونعتقد أن هذا الإلحاح المتكرر ليس طابعه فعل خير الذي يقصد به وجه الله من خلال تعمير دور العبادة التي نشجع إنتشارها، وربما يكون وراء ذلك أهدافاً سياسية، والتأريخ الغابر للمنطقة (الموقع) خير شاهد على ذلك.

إن الموقع المختار الذي يراد تشييد المسجد عليه يمثل موقعاً عسكرياً ذو أهمية إستراتيجية وأمنية لحماية وتأمين الطريق الرئيسي، حاضراً ومستقبلاً، وكلما يمثل خطورة على الأمن لن نسمح بإقامته هذا من جهة، من جهة أخرى فوزارة الدفاع ليس من شأنها منح رخص بناء دور العبادة (المساجد)، لأن المعنى بذلك وزارة الأوقاف.

آمل أن يكون الجانب الأمني في الموقع المذكور واضحاً لديكم، لأن استتباب الأمن مسؤولية الجميع، وأداه تحقيقه مهمة القوات المسلحة.

وتقبلوا خالص التحية والتقدير،،

العميد الركن /

عبد الملك السياني

وزير الدفاع

فوجه وزير الإدارة المحلية بدوره إلى محافظ محافظة صنعاء المذكورة التالية:

وثيقة رقم (٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: م و ر د م ٤١٥/٩٥/٩٠

الجمهورية اليمنية

التاريخ: ١٠/٢/١٩٩٥م

وزارة الإدارة المحلية

مكتب الوزير

المحترم

الأخ / محافظ محافظة صنعاء

بعد التحية:

الموضوع/ تأمين قمة جبل شبام/ حراز

إشارة إلى الموضوع أعلاه .. وبناء على مذكرة الأخ/ وزير الدفاع برقم (١٩٢٠/١٧٣/٣) بتاريخ ١٠/٩/٩٥م المتضمنة إلحاح طائفة البهرة الهادف إلى تشييد مسجد على قمة جبل شبام حراز رغم عدم وجود سكان فيه، الأمر الذي يجعل الهدف غير مقصود به فعل الخير بتعمير دور العبادة، وأن الموضوع يكتنفه أهدافاً سياسية، كون التاريخ الغابر للموقع خير شاهد على ذلك .
بالإضافة إلى كون المكان المختار للمسجد موقعاً عسكرياً ذا أهمية إستراتيجية وأمنية لحماية المنطقة.

ونظراً لأن الجانب الأمني مسؤولية الجميع وكلما يمثل خطورة على الأمن يلزم منعه، حرصاً على المصلحة العامة.

عليه نحيل الموضوع إليكم لاتخاذ الإجراءات الأمنية والإدارية اللازمة من جانب محافظتكم.

مرفق بهذا صورة المذكرة.

وتقبلوا خالص تحياتنا،

أخوكم /

وزير الإدارة المحلية

محمد حسن دماج

٢/١٠/٩٥م

صوره مع التحية: لمكتب رئاسة الجمهورية.

.....: لرئاسة الوزراء .

..... للأخ: وزير الدفاع .

.....: وزير الداخلية .

.....: النائب العام .

.....: مدير عام مديرية حراز .

.....: مدير عام مديرية صعقان .

وفي تاريخ ١١/١٠/١٤١٥هـ، الموافق ١٢/٣/٩٥م، صدر أمر وزارة الأوقاف إلى كل من حاكم قضاء حراز ومدير المديرية، ومسؤول الأوقاف في حراز يمنع أبناء طائفة البهرة من البناء في الجبل، وتحمل هذه الجهات المسؤولية في حالة حدوث أي تجاوز لتوجيهات الوزارة، وكما تجدها في الوثيقة رقم (٩) :

وثيقة رقم (٩)

الأخ / القاضي حاكم منطقة حراز. الحفظ (٤٤٥)
الأخ / مدير المديرية . التاريخ: ٣٠/١١/١٤١٥هـ
الأخ / مسؤول الأوقاف . الموافق: ١٢/٣/١٩٥٥م
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد:

فقد تقدم إلى الوزارة طائفة البهرة الإسماعيلية بطلب السماح بترميم مسجد بجبل شام منطقة حراز، ونظراً للمعارضة الشديدة من المواطنين، وأنه لا صحة لما زعموه من وجود مسجد قديم، فقد كلفت الوزارة لجنة بالنزول الميداني إلى الموقع.

وقد تبين لنا عدم وجود مسجد قديم، اللهم إلا آثار قبر يرجح أن يكون لأحد الجنود، إذ الموقع عسكري كما هو واضح .

وأنه لا يوجد أي ساكن بجوار ذلك الموقع، وأن الأساس الذي تم وضعه لم يكن إلا من أجل بناء مسجد جديد في منطقة خالية من السكان، وبيوت الله لم تبني إلا من أجل العبادة والصلاة فيها .

وعليه: فلا حاجة إلى البناء في ذلك الموقع، وإذا كان عندهم فضل مال فالوزارة على استعداد لأن تسهل عملية البناء في المناطق المتاحة، وفق مخطط موضوع من قبلها .

لهذا يمنع البناء في ذلك الموقع منعاً باتاً كفاً للفتن ولعدم الحاجة إليها، وعليكم أن تتحملوا مسؤولية منع أي تجاوز خارج إطار المصلحة العامة، وعلم الجهات المختصة .

وفقنا الله وإياكم لكل خير،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وزير الأوقاف والإرشاد

د. غالب عبدالكافي القرشي

وتستمر قضية حرب الحصون والمساجد والأضرحة لا تهدأ قليلاً إلا لتشب من جديد، كلما زار الهنود اليمن وكان آخر زيارة لهم في صيف عام ٢٠٠٢م وكان التوجه هذه المرة إلى مسجد أروى في جبله من محافظة إب، ويعد هذا المسجد مع الكثير من المساجد الأثرية محط استهدافهم.

وكل مرة يزورون اليمن يتعمدون استفزاز سكان الأماكن التي يزورونها، وافتعال المشاكل معهم، وفي مسجد أروى تعمدوا هذه المرة وضع صنم على ضريح السيدة أروى، وقاموا بأداء طقوسهم التعبدية أمام الضريح والصنم.

وهنا ثار علماء المنطقة ومشايخها وحدثت معهم مشادة كادت تسفر عن ضحايا، وعلى إثرها توجه جمع من أعيان المنطقة إلى العاصمة صنعاء، بهدف الالتقاء ببعض المؤسسات الحكومية لشرح الموضوع، بعد أن أفاد الباطنيون أن كل تصرف يعملونه هو بموجب ترخيص من قبل الدولة، وبجمامية العساكر والأمن العام المرافق.

وفي هذه الزيارة أيضاً قصدوا الجامع الكبير بصنعاء الذي يدعون ملكيته أيضاً بدعوى أن الذي بناه هو الملكة أروى، وفيه قاموا مع سلطانهم بكل أنواع الشركات، وعندما نهامهم أحد رواد المسجد قام اثنان من أجلدتهم ولووا ذراعه بعنف، وجعل يتلوى بين أيديهم دون أن يجرواً أحد على تخليصه منهم.

ثالثاً: تجنيس البهرة الدود :

ومن الحركات المشبوهة لهذه الطائفة في اليمن: ازدياد حركة التجنيس للهنود البهرة، وشراء أراضٍ وعقارات ومحلات تجارية لهم في اليمن تحت أسماء مستعارة من بعض عملائهم في اليمن، وهناك عدد من الأسماء الهندية التي حصلت على الجنسية اليمنية، بمسوغات وحيل ماكرة .

رابعاً: التدفق المتزايد إلى اليمن دون سبب عقائدي :

ما سر الازدياد المضطرد لحجم الحجاج البهرة الوافدين إلى اليمن من جنسيات مختلفة، وفي موسم واحد، حيث يتدفقون ألوفاً إلى جبال حراز، لا سيما مع زيارة محمد برهان الدين، وفي استطلاع ميداني لإحدى الصحف التي تغطي أخبار الدود، جاء فيه: "١٤ ألف شخص من البهرة الإسماعيلية، ذكوراً وإناثاً، قدموا من أنحاء العالم لزيارة ضريح (حاتم الحضرات)، في قرية (الخطيب)، في مديرية حراز (٩٠ كم غرب العاصمة) وأماكن أخرى في اليمن، على رأسهم سلطان البهرة محمد برهان الدين في زيارته الثامنة لليمن"^(١)، لا سيما وأن هذا التدفق يأتي دون مسوغ عقائدي وجيه، لا سيما أن الداعي: حاتم بن إبراهيم الحامدي الذي يأتون باسم زيارته والطواف حول قبته، والتماس بركته، قد تم نقل تابوته من قرية "الخطيب"

(١) جريدة الشورى العدد (٣٣٠) الموافق ١٩٩٩/٩/٥ م.

بواسطة عامل حراز قبل الثورة إلى مكان مجهول، وإن كان الدكتور: حسين الحرازي الداودي يزعم في كتابه "الصليحيون" أن عامل حراز قد وضع تابوت الداعي "حاتم" في الجناح الشرقي من جامع صنعاء^(١) حيث قال: "وظل هذا العلامة الباحث حاتم الحامدي تتقدم به السن حتى توفي في حصن الحطيب في يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ست وتسعين وخمسمائه، وكان قبره تحت حصن الحطيب بحراز من بلاد البعابر يزوره الناس إلى وقت قريب ثم هدم فلا أثر له الآن^(٢)، والبالغ أن عامل حراز سابقاً نقل التابوت إلى صنعاء، ثم وضع التابوت في الجناح الشرقي من جامع صنعاء، وبعد الهدم وأخذ التابوت حملت الأحجار الرخامية التي كانت في الضريح لمصلحة جامع الرحمة بمناخة.^(٣)

فهذا أحد كتابهم المعاصرين ينفي بقاء رفات هذا الداعي في الحطيب حراز، فماذا وراء كل هذه الضجة وزيارة ضريح لا أثر لصاحبه، والقدم من كل أنحاء الدنيا إلى حيث الوهم الضائع، أليس ثمة لغز يحتاج إلى تبين، إن لم نقطع نحن بوجود أهداف إستراتيجية ومخطط مرسوم لهذه الطائفة!؟

إن إعادة بناء القبة في السبعينات بعد هدمها وأخذ رفات الداعي حاتم، تشير إلى أن الهدف ليس شخص الداعي، وأن الاستماتة على البناء في قمم الجبال ليس هو وجود أضرحة الدعاة فيها كما يزعمون، بل الهدف من ذلك كما يظهر هو

(١) وهذه خدعة المراد بها ادعاء ملكية الجامع الكبير للدود لأنهم يقولون أن التي قامت بتوسيعه هي الملكة أروى، ولذلك يحرصون على زيارته في كل زيارة يقوم بها السلطان إلى اليمن، وعند دخولهم الجامع الكبير يفرشون سجادة خاصة يمر عليه برهاتهم هذا حتى لا يتجس قدمه بالجامع بزعمهم، وفي كل خطوة يخطوها يجثوا أتباعه للتمسح فيها والتبرك بما أمام المصلين.

(٢) المرجح أن المؤلف كتب هذا في مطلع الخمسينات .

(٣) "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (ص: ٢٨٠، ٢٧٩) .

توفير المبررات التي تعطيهم حرية الحركة المشبوهة في اليمن، وكذا إثبات وجودهم التاريخي السياسي على أكثر من مكان فيها.

خامساً: تشكيل الميليشيات المدربة :

أشارت بعض التقارير المرفوعة من حراز، عند زيارة السلطان محمد برهان الدين في سبتمبر من عام ١٩٩٥م، إلى ظهور تشكيلات عسكرية من جنسيات مختلفة، وأنها تقوم بالتدريب العسكري ليلاً، ويتدربون على مختلف الأسلحة، وأن ضباطاً هنوداً وباكستانيين، وسعوديين يقومون في الليل بتدريب الجناح العسكري لحزب "الفيض الحاتمي" البهري، وهو ما يسمى "بشباب أهل الجنة"، وأن هؤلاء الشباب يتدربون ليلاً ونهاراً على أهداف وهمية .

وأن ملايين من الريالات قد أنفقت في شراء الأسلحة، وتم تخزينها في أماكن من شرقي حراز، وهذا ليس بغريب حيث ستجد أن (الجهاد) عندهم هو ركن الإسلام السابع، ولم يجاهدوا في حياتهم وتأريخهم سوى المسلمين وأبناء المسلمين، وهم يحاولون تحديد هذا المفهوم الآن (أي جهاد المناوئين لهم)، وذلك من خلال توزيع صور قديمة لمقاتليهم بالأسلحة وهم في طريقهم إلى قتال الأعداء من المسلمين.

سادساً: الترويج لظهور الإمام المستر من اليمن :

بدأ السلطان ورجال حاشيته يروجون بين أوساط أتباعهم فكرة خروج الإمام المستر من كهف الستر، واختيار اليمن كمركز لسلطته، لأنه سيخرج ملكاً لا داعياً، ويجرضون أتباعهم في اليمن على ضرورة توفير عوامل الظهور لهذا الإمام المستر، والتي تتمثل في مقومات الدولة كشرط أساسي، وممهّدات ضرورية للخروجه.

يقول الهندي محلم حكيم الدين في مقابلة صحفية عن ظهور إمامهم المستتر: يأتي أوان الظهور. بموجب أمر الله وحكمته، كما كان الستر بموجب أمر الله وحكمته، وعندئذ يظهر الإمام ويتسلم (الأمانة) التي أودعها دعائه الأوفياء الكرام والدعاة المطلقون النائبون عن الإمام^(١).

لذلك ستجد في ملف الصور محمد برهان الدين يدفن العلم الأحمر الذي سيرفعه إمامهم المستتر من جبال حراز التي انطلقوا منها أول مرة، يستدلون بقوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) (الأنبياء: ١٠٤) لذا تعد اليمن أهم مركز لهم من حيث تواجدهم القيادي، وتأتي في أهميتها قبل الهند وضمن تغطياتها لأنشطة البهرة، تقول جريدة سبتمبر: "اليمن تعد من أهم مراكز الطائفة، إذ تعتبر بلادنا والهند من أهم المراكز في العالم التي تتواجد فيها الطائفة الدينية، حيث إن اليمن والهند تعتبران مراكز قيادية للبهريين"^(٢).

ويقول نائب السلطان سلمان أكبر عن استتار إمامهم: (ولا يعني أن دعوة الإمام المستتر غير موجودة في اليمن، وإنما هي موجودة، وأتباعه دائماً موجودون هنا، أما الدعاة المطلقون فقد انتقلوا إلى الهند)^(٣).

وليت أن المستتر هو الذي انتقل إلى الهند، لأنه هو لب المعضلة ورأس الخطر، ثم يضيف: (الإمام موجود على وجه الأرض، وإنما في الستر تنتقل الإمامة من ولد إلى ولد، وهكذا تجري السلسلة)^(٤).

(١) الشورى العدد (٣٣٠).

(٢) سبتمبر العدد (٩٦٨) ٢٦/يوليو/٢٠٠١م.

(٣) في مقابلة له مع جريدة الناس العدد (٦٠) الموافق ١٣/٨/٢٠٠١م.

(٤) في مقابلة له مع جريدة الناس العدد (٦٠) الموافق ١٣/٨/٢٠٠١م.

ويضيف: (هم غير معروفين بين الناس، ولكن سيأتي وقت يظهر فيه على الناس)^(١).

وإذاً إمامهم المستتر يعشعش فينا حياً، وليست مسألة ظهوره على الناس وإعلان دعوته سوى مسألة وقت وملائمة ظروف.

سابعاً: اعترافات نائب نائب حول خطر البهرة على اليمن :

لقد ظل الشيخ: غالب علي محسن^(٢) يقدم نصحه لأتباع الطائفة قبل خروجه منها بضرورة التخلي عن طموح السيطرة في اليمن، وإحياء حلم الصليحية من جديد، وقد كان من أسباب خروجه من الطائفة غيرته الوطنية، من أطماع الزعامات الباطنية في اليمن، وقد ترك اعترافات سجلها بخط يده حول هذا الموضوع من ذلك قوله: "اليمن هو هدفهم الحقيقي أي: الباطنيين الذي يعتمدون ظهورهم وانطلاقهم منه، فبين الداعي في بيانه معنى قوله تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)(الأنبياء: ١٠٤) يعني أمرنا لا يظهر إلا من اليمن كما ظهر في القرن الثاني والثالث للهجرة على مدار عشرين سنة، ومن اليمن فتح المغرب ومصر.

وبالفعل فإن هاجس السلطة الإسماعيلية والتمركز في اليمن ليس وليد الساعة، بل يعود إلى بداية ظهور الحركة الإسماعيلية على يد أسرة القداح كما رأينا سابقاً.

وتركيز الباطنية على اليمن يعود إلى طبيعة العوامل الطبيعية الجغرافية التي تمتاز بوعورة مسالكها، وحصونها الإستراتيجية العسكرية المنيعة، التي توفر إمكانية التمرد، والقيام بحرب العصابات، والتمركز في القلاع الحصينة، هذه ناحية، أما

(١) في مقابلة له مع جريدة الناس العدد (٦٠) الموافق ١٣/٨/٢٠٠١م.

(٢) سنجد تفاصيل كثيرة ومثيرة عن قصة هذه الشخصية في الفصل القادم .

الناحية الثانية فإنهم يرون أن الشيعة في اليمن المعتدلين كانوا ولا يزالون في نظرهم رصيماً للدعوة الإمامية الباطنية، ورغم الحروب الدامية بين الإسماعيلية والهادوية في اليمن، إلا أن هناك نعمة بدأت تظهر في أوساط الإسماعيلية وهي أن محبي آل البيت في اليمن جميعهم لم يعد لهم من عدو سوى ما يسمى "بالوهابيين" والمنكرين لسلطة آل البيت - ﷺ - وأنه قد آن الأوان لرص الصفوف وتصفية الحسابات المذهبية والسياسية وإعادة الحق إلى أهله والإسماعيليون يعنون بذلك أئمتهم، ولذلك حذر الشيخ غالب علي محسن من هذه المخاطر والمؤامرات ضد اليمن .

وعن نجل السلطان "المفضل" يقول: "إنه القائم ولده الذي يبشر به، وهو (عندهم) تمام الدور من آدم ﷺ، وهو الموسوم بالعلي العظيم، عليّ القدر، سيد شباب أهل الجنة، الذي سيملك الأرض وتكون بداية منطلق دعوته وظهورها من الحطيب حراز".

ويضيف: "أسأل الله أن يجنب اليمن شروره [أي: سلطان البهرة]، فهو أمله ومقصده، وسيأتي اليوم الذي يعرف كل مسؤول وكل عالم مخلص لله - عز وجل - ولهذا الوطن كيف سيحدث فيه الفتن إذا غفلوها وتركوا له ولأتباعه وحاشيته التنقل".

ثامناً: إنشاء تنظيمات سرية :

قاموا بتشكيل التنظيمات السرية في شرقي حراز منذ عقد السبعينات، في الوقت الذي كان التنظيم الحزبي فيما كان يعرف بالجمهورية العربية اليمنية لا يزال ضمن قائمة المحرمات، لاسيما أن يكون وراء التشكيل أيادٍ خارجية، ونحن نجد أن الزعامة الهندية ممثلة بشخص السلطان قد تولت بنفسها إنشاء حزب (الفيض الحاتمي) وشباب أهل الجنة، (الجناح العسكري للحزب) وحددت الاختصاصات

وانتقلت الشخوص، ولا تزال هذه التشكيلات التي أصبحت مجرد أدوات منفذة، وسيف مسلط على أفراد الطائفة، لا تزال تدار من بمباي، فالسلطان صاحب الحق المطلق في التعيين والعزل للهيئة الإدارية، والتعديل أو الإضافة أو الإلغاء لللائحة التنظيمية لحزب الفيض والشباب، ويشرف مفضل بن السلطان على شباب أهل الجنة، وابن عمه مضر داوود وجمال الدين على حزب الفيض، وهناك تنظيم آخر يسمى "الجمعية السيفية" لطائفة البهرة في اليمن، والذي نجد من ضمن بنود لائحته: "ليس لواحد أن يغير أو يعزل أو يوقف عضو من أعضاء الجمعية، والاختيار التام في ذلك كله لسيدنا الداعي المطلق (ط.ع)^(١)، فله أن يغير أو يعزل أو يوقف أحداً من أعضاء الجمعية لسبب ما أو بدون سبب متى شاء ذلك، وإذا صدر الأمر الشريف من حضرته العالية في هذا الشأن فعلى كل الأعضاء أن ياتمر"^(٢) "يكون تعيين أعضاء الجمعية من جهة حضرة سيدنا الداعي المطلق (ط.ع) لمدة ثلاث سنين، وعند تمام هذه المدة يعينهم أو من يشأ منهم وغيرهم لمثل تلك المدة"^(٣).

ومثلما تم إنشاء هذه الجمعية بإرادة السلطان، فإن إلغائها يظل حقاً بيده أيضاً: "يفسخ سيدنا الداعي (ط.ع) الجمعية إذا رأى ذلك".

وواضح ما في هذا من تدخل سافر في شؤون البلاد الداخلية من قبل سلطان الهند. ولا شك أن قيام تشكيلات فئوية كهذه يجرمها الدستور، وليست لها شرعية قانونية في قانون الأحزاب الذي جاء بعد الوحدة وإقرار التعددية، فضلاً عن التحريم القاطع لكل أنواع الإرتمان والعمالة الخارجية لأي حزب .

(١) أي: أطال الله عمره .

(٢) نظام الجمعية السيفية للبهرة في اليمن (ص: ٢٠) .

(٣) نفسه (ص: ٢٠) .

وفي الجانب المالي نصت المذكرة المرسله من مجلس الوزراء السيقيه إلى اليمن بإنشاء شركة تسمى "الشركة الصليحية البرهانية" والمعروف في الدستور اليمني تحريمه للأنشطة الاستثمارية على أساس تنظيمي سري، فضلاً عن الارتباط المشبوه بالخارج ويعود ريع هذه الشركة على الأحزاب والجمعيات المؤسسة، ومواجهة احتياجاتها المختلفة .

تاسعاً: عدم احترام سيادة الدولة وقوانين البلاد :

تلك طريقة تعامل السلطان مع أفراد هذه الطائفة في اليمن، على قدر كبير من عدم الاكتراث بقوانين البلاد وسيادته واستقلاله إن لم نقل عدم الاعتراف فهو يتعامل معهم كإمارة مستقلة تتبع مباشرة سلطته في الهند، أو على أحسن تقدير كأقلية دينية وثنية ذات حقوق مستقلة، ولذلك نجد السلطان يرسل نائبه ليشكل إمارة في اليمن، ويقوم بمهمة الضبط، والربط، وحل القضايا، وإجراء عقود النكاح ... الخ .

لقد ظلت الكثير من ممارسات الزعامة الهندية في اليمن، مثار استغراب واستياء الحكومة اليمنية، ففي أبريل من عام ٧٧م، نجد الدكتور الهندي: يوسف نجم الدين، يرسل إلى مجلس الوزراء، برقية يعلمه فيها أنه أوصى طائفته في اليمن باحترام الحكومة اليمنية، والتفاعل الإيجابي معها، ويأمل من الحكومة أن تتعامل مع طائفته بالمثل، وأن زعامة الهند سوف تتعهد الطائفة بالرعاية، فأرسلت الخارجية اليمنية رسالة إلى المذكور تعبر عن استغرابها الشديد لما جاء في برقيته، حول طائفة البهرة في اليمن حيث جاء في الرسالة:

وثيقة رقم (١٠)

وزير الخارجية: الرقم:

الإدارة العامة للشئون الفنية التاريخ: ١٠/٤/١٩٧٧م

ملف: ٤٢/١/١٠

الأخ الدكتور/ يوسف نجم الدين المحترم

بعد التحية:

نفيدكم أن بركيتكم إلى مجلس الوزراء قوبلت بشيء من الاستغراب، إذ أن الأخوة اليمنيين البهرة مواطنون ولا يعتبرون جالية بحاجة لمن يقوم بإرشادهم في دينهم الحنيف، وهم يتمتعون بكل حقوقهم كاملة .

وكما تعلمون فاليمن بلد إسلامي حريص على حماية الإسلام ورعاية أبنائه من المؤثرات الخارجية .

وتقبلوا فائق الاحترام

عبد الله الأصبح

وزير الخارجية

وقد اعتاد أتباع الطائفة في اليمن أن تدار شؤونهم كلها من قبل الهنود المرسلين من السلطان، وليس لليمنيين من الأمر شيء إلا تنفيذ توجيهات قيادة (الإمارة) الهندية، وكل شيء هندي: "الزعيم هندي، ونائبه هندي، ومندوبه في اليمن هندي، والقائم بأمر الضرائب هندي، ومسؤول مقر الفيض الحائمي بصنعاء هندي، ومسؤول مدارس الدعوة الباطنية هندي"^(١) وأعطى نائب سلطان البهرة نفسه كامل الصلاحيات في قيادته لأتباع الطائفة في اليمن، فهو الحاكم والامر ورجل الدين، وله المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة بينهم، وينظرون إليه بعين التقديس والإكبار، لأنه معين من قبل السلطان، ويظل كلامه مسموعاً وأوامره مطاعة مهما كانت غريبة أو مجحفة، وله أن يدخل في أي بيت شاء، ودخوله في أي بيت يعني الشرف لصاحبها والبركة والكرامة، ويستطيع أن يلتقي بكل النساء دون حرج، لأنه الأب الأكبر الذي لا غنى عن بركته، وإذا التفته الفتاة صدفة وعلى رأسها حمل ألقته بحملها جانباً، وركعت أمامه، وعادت خطوات إلى الخلف أو تسلم عليه بالطريقة التقليدية التي يعرفها الآباء في اليمن من أبنائهم أو العلماء من العامة وهو تقبيل كلتا ركبتيه، ثم تضيف إلى ذلك بطريقتهم الخاصة وهو تقبيل يده ووضعها على عينيها ورأسها لالتماس البركة.

وللنائب حق معاقبة الأفراد وتأديبهم، أو إيقافهم في البيوت ومنعهم من حرية التحرك، وهو الذي يجري عقود النكاح ويوافق عليها، وهو في الخلاصة محل طاعة وانقياد أكثر من الدولة، وأكثر من الولد مع والده، بين أفراد الطائفة .

(١) من مقال صحفي نشر في جريدة الناس العدد (٦٢) بعنوان (البهرة .. مصالحهم في اليمن .. وسلطانهم في الهند) للكاتب عبد الخالق النقيب .

ومن الوثائق التي حصلنا عليها مذكرة مرفوعة من محافظ محافظة صنعاء سابقاً: عبدالسلام الحداد، رئيس مجلس القيادة والقائد العام للقوات المسلحة .

بتأريخ ١٩٥٧/٧/١٩م تتضمن خلاصة التقرير المطول عن هذه الطائفة من قبل لجنة تم تشكيلها من المحافظة والجهاز المركزي للأمن القومي (آنذاك)، بناء على توجيهات رئاسة الوزراء ومن ضمن ما ورد في تلك المذكرة:

"..وأوضح الأخ عامل حراز عندما وصل فجأة للتفاهم مع مندوب السلطان، وجد عدد من النساء شابات يخرجن من قبة الشيخ حاتم، وكان في القبة بعض البهرة [يقصد هنود]، ويقول: ب إن مثل هذه الزيارات تتكرر أسبوعياً كما علم .

كما عرض عقد الزواج قام به مندوب السلطان، وقد طلبت مندوب السلطان ومعه بعض أصحابه ومنعتهم منعاً باتاً من زيارات النساء للقبر، أو اجتماعه بمن على أية صورة، وفي أية مكان، كما أفهمته أن عقود الزواج من حق الحاكم الشرعي وحده، وأمرت عامل حراز بالرقابة على سلوك البهرة في الحطيب.

وللبهرة كتب منهجية خاصة غير منهج الحكومة يتم تدريسها للطلاب بعد العصر والمغرب، وفي هذه الفترة يتم محو ما قرأ الطالب في المنهج الرسمي، ولهم الآن مراكز تعليمية خاصة، مثل: مدرسة الدعوة في مناخة، ومدرسة بيت الدعوة في الحطيب، والمدرسة البهريّة في صنعاء ولها فروع، ومن كتبهم التي وصلت إلينا كتاب "ضوء التعليم" (الجزء: ٣، ٤) الصادر من "الدعوة الهادية الطيبة" دائرة التربية والتعليم .

عاشراً: تهديد أتباع الطائفة في اليمن :

يحرص زعماء الهنود وهم نواب السلطان في اليمن على تهديد كل مظاهر حياة أتباعهم اليمنيين من الزي إلى العادات اليمنية بأنواعها.

وقد بدأ الزي الهندي ينتشر بينهم رجالاً ونساءً، وعند زيارة السلطان إلى الخطيب تحرص النساء على لبس العباة الهندية مع كشف الوجه، كما يحرص الرجال على لبس غطاء الرأس المذهب مع الثوب، ويحرص السلطان على إزالة العادات اليمينية عن أتباعه بمختلفها، وتعد اللغة الهندية اللغة المقدسة عندهم، لأنها لغة المذهب، ولغة القيادة، وستلحظ التهديد في مدارسهم الخاصة، ومراكزهم الدعوية القائمة .

أحد عشر: زيارات أعضاء من حزب الفيض إلى إسرائيل :

أصبح من الثابت أن أعضاء بارزين من حزب الفيض الحاشمي كانوا على اتصال مباشر مع دولة إسرائيل، وأن زيارات عديدة قد تمت لهم إلى هناك منذ وقت مبكر، بجمعة السلطان محمد برهان الدين، وكانت زيارتهم تتم بالتنسيق مسبقاً، وبواسطة [مثلثات] معينة تقوم مقام تأشيرة الدخول، وكان يتم الختم على هذه المثلثات في مساجدهم الخاصة في مصر، وكانوا يدخلون عبر سيناء وميناء رفح والسويس، بعد التنسيق مع السفارة الإسرائيلية في مصر^(١).

ولمحمد برهان الدين مذكرات خاصة بزياراته إلى إسرائيل وتنقله في أماكن عدة من فلسطين: كالقدس بحجة الاطلاع على إسهاماته في ترميم المسجد الأقصى، والخليل لافتتاح الجامع الأنور الذي بني على نفقته، ونابلس للتبرك هناك بالجامع الفاطمي... الخ - تحتفظ بهذه المذكرات - وقد دخل إسرائيل عام ١٤٠١هـ - قرابة عشرة أفراد، وكان دخول الشيخ: غالب علي محسن مع محمد برهان الدين إلى إسرائيل في عام ١٩٨٥م، وهذا يدل بالتأكيد على أن هذه الطائفة تعيش في

(١) في عام ١٩٩٣م نشرت مجلة "روز اليوسف" المصرية في عددها (٣٣٦٩) تحقيقاً مطولاً عن البهرة في مصر بعنوان "البهرة من الجمالية إلى إسرائيل" ذكرت فيه حقائق مثيرة عن علاقة هذه الطائفة المبكرة بدولة إسرائيل كما أجرت مقابلات مع بعضهم تحدثوا فيها عن بداية علاقتهم بإسرائيل وقدمها .

ناحية من توجهات الأمة وثوابتها، لاسيما إذا ما عرفنا أن بعض هذه الزيارات قد حدثت في السبعينات والثمانينات، وهي الحقبة التي تمثل أوج الصراع والمقاطعة بين العرب وإسرائيل .

والآن وفي عهد الانحدار السياسي والمبدئي للأمة العربية والإسلامية، وتكريس خطة الإضعاف لمقومات الأمة، فإن اليمن بعد قيام الوحدة وظهور مؤشرات الإستقرار السياسي والاقتصادي فيها، ستظل في نظر إسرائيل ظاهرة تسير في عكس الإتجاه المؤدي إلى إحكام القبضة الاستعمارية على شعوب ودول المنطقة، فلا بد من القضاء على هذا الاستثناء، والبحث عن أدوات التدمير في اليمن، وبعد أن خسروا رهان الانفصال بواسطة الحزب الاشتراكي⁽¹⁾، فإن البديل المرشح للقيام بهذا الدور والذي لم يجرب بعد يمثل في الورقة المذهبية والدينية، والإسماعيليون الذين تجمعهم باليهود الكثير من ظروف التشابه، وعلاقة الود التاريخية، وتمائل النظرة نحو المسلمين، هم الأكثر احتمالاً لاستخدامهم في اللعبة القادمة ضد اليمن، وقد بدأت هذه الطائفة في اليمن تشيع بأن لها حقوقاً مصادرة، أهمها عدم تمكينها من استلام المواقع الإستراتيجية في اليمن، وأنها قد تضطر إلى الاستعانة بدول ومنظمات يهملها الانتصار لحقوق الأقليات (؟).

والجدير بالإشارة إلى أن طائفة البهرة في اليمن قد قامت بتوزيع مذكرات استعطافيه إلى السفارات والقنصليات الأجنبية تدعو فيها إلى إشعار حكوماتهم بممارسة الإضطهاد الديني ضدها وإثارة قضيتها في وسائل الإعلام، وقد لوحظ بالفعل اهتمام غير عادي بهذه الطائفة من قبل بعض السفارات الأجنبية والإعلام العالمي والمحلي.

(1) لا يزال أملهم كبيراً في عودة الحزب الاشتراكي كشريك أو كحاكم ليكون أول طريقهم إلى الفاطمية الجديدة في اليمن .

ولوحظ زيارات متكررة إلى الخطيب من قبل مسؤولي بعض السفارات الأجنبية ترافق مع زيارة الهنود لليمن، وحضور احتفالاتهم في مبنى الفيض الحائمي بصنعاء .

وبعد حادث مسار، وقع حادث جنائي استهدف بالرصاص إحدى الحافلات المرافقة لمحمد برهان الدين والتي ذكر أنها كانت تقل قنصل إحدى الدول الكبرى، وقد اعتبر أن هذا الحادث كان معمولاً من قبل الطائفة لاستغلال وجود القنصل في لفت أنظار واهتمام العالم نحوها فيما لو أصيب القنصل، والترويج لوجود اضطهاد وقمع ضدها، إلا أن العيارات النارية استقرت في أحد الهنود الحجاج يدعى "شاير حكيمو"، ولاشك أن أسهل ما يمكن أن تروج له هذه الطائفة هو وجود الإرهاب الديني والقمع الرسمي، وأما الإرهاب الديني فليس أيسر عندهم من التذليل عليه بمواقف أهل حراز الوطنية المتمثلة في منع هذه الطائفة من السيطرة على قمم الجبال المنيعه، والعمل المستمر والدؤب من أجل لفت أنظار المسؤولين في الدولة إلى ممارسات هذه الطائفة التي تتنافى مع عقيدة الأمة ومبادئها، وإطلاعهم على الحركات المشبوهة والتي تشكل تهديداً خطيراً يمس أمن الوطن وسلامة مستقبله، وهناك الكثير من الرسائل والبرقيات والشكاوى المرفوعة من أعيان حراز ومشايخها ضد هذه الطائفة التي ظهرت أطماعها منذ السبعينات، ونشطت في تحركاتها المشبوهة منذ بداية التسعينات، وبشكل غير مسبوق، لاسيما بعد امتداد التوسع "العبري" عبر البحر الأحمر، ووجود التسهيلات الأفريقية، التي تمنحها حرية النشاط الذي يثير مخاوف الدول المطلة على مستقبل أمنها، وسلامة وحدتها الوطنية من أي تدخل محتمل ضدها.

اثنا عشر: التنسيق مع القوى العلمانية في البلاد :

تجمع بين الطائفة الإسماعيلية والقوى العلمانية وبخاصة الحزب الاشتراكي رؤى وأفكار وفلسفة اجتماعية ونزعة ثورية مشتركة، لذلك ينظر الاشتراكيون إلى القرامطة كمثلهم الأعلى لأنهم سبقوهم في الأفكار الشمولية، والدعوة إلى المشاعية، وانتهاج أسلوب الإبادة والتدمير ضد خصومهم، والدعوة إلى التمرد، وتشوير الشعوب ضد أنظمتها ومعتقداتها وإحداث الاضطرابات والفوضى، إما باسم الدين أو باسم الانتصار للمظلومين، وفي ذلك يقول الاشتراكي الإسماعيلي مصطفى غالب: "كانت المدارس الباطنية وبخاصة الإسماعيلية والقرمطية منها تدعو إلى مبادئ اشتراكية متطرفة ترمي إلى إحداث ثورات شعبية وعمالية وزراعية وصناعية ضد الحكام والملاكين، والإقطاعيين الأثرياء"^(١).

ويتحدث عن الأفكار الإسماعيلية فيقول: "بالفعل يعتبر الإسماعيليون من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية، وأخذوا عنها الأفكار والنظريات الاشتراكية وطبقوها في مجتمعاتهم على أسس فلسفية عميقة الجذور"^(٢). من هنا فقد كان الإسماعيليون هم الطلائع الأولى في الحركات الثورية الاشتراكية المعاصرة في عالمنا العربي والإسلامي، وهم الذين عملوا على تلميع الشخصيات الإسماعيلية الثائرة على المجتمعات الإسلامية في التاريخ، مثل: حمدان بن قرمط، وطاهر الجنابي، وعلي بن الفضل، وغيرهم.

وفي اليمن لم تكن الحركة الماركسية بمنأى عن الأصابع الإسماعيلية الخفية، فقد كان لحضور الإسماعيلية في عدن وبعض المحافظات الجنوبية أثره الطبيعي في توليد

(١) من كتابه "الحركات الإسماعيلية" (ص: ٥٤).

(٢) نفسه (ص: ٥١).

وترويج الأفكار الإلحادية والشمولية، التي تلتقي في روحها مع الفلسفة الإسماعيلية المنحرفة، ولا يزال الحزب الاشتراكي هو الحليف الأكثر حماساً للإسماعيلية في اليمن، وتعتبر جريدة الحزب الرسمية "الثوري" هي لسان حال الإسماعيلية في اليمن، والصوت الناطق باسم الباطنية المنافحة عن ممارساتها المشبوهة، وطقوسها الوثنية التي أصبحت مثار سخط الشعب اليمني بأسره .

من هنا فالاشتراكي وبعض الرموز العلمانية تعتبر رصيماً مضموناً لصالح الأطماع الباطنية، وكذا من يقربون من صف الباطنية، كالروافض والجارودية وغيرها، ولقد ساعدت الحرب الانفصالية في اليمن وما صاحبها من تحالفات بين الحزب الاشتراكي مع القوى الباطنية وذات الإتجاه الباطني على تمييز الصف وإعطاء درس بليغ لما يجب أخذه من الحيلة والحذر، لاحتمال ظهور ما هو أخطر من حلف الانفصال في المستقبل .

يشير مصطفى غالب بالقول: "من المؤكد أن الحركة الإسماعيلية أصبحت مع دور الزمن وتطور أنظمتها ومعتقداتها حركة فكرية ثورية علمانية تهدف إلى قلب النظم .. وإلى تحقيق أهداف انقلابية في النظم والأفكار والمعتقدات"^(١)!

ثلاثة عشر: تهريب الأطفال إلى الهند :

تقوم الطائفة بانتقاء الأطفال الأذكياء والمبرزين في مدارسهم الابتدائية بين سن سبع سنوات إلى أحد عشر سنة، وتعمل على تهريبهم إلى الهند باسم منح دراسية، وتحت طرق وأساليب ملتوية، وهناك يتم إعدادهم إعداداً منهجياً خاصاً، ويستمرّون هناك حتى خروجهم من الجامعة السيفية، ويتزوج أحدهم هندية،

(١) "الحركات الإسماعيلية في الإسلام" (ص:١٠٧) ط. دار الكتاب العربي.

ويحصل على جواز هندي، ويمجني، وبمجيث يكون حر الحركة والتنقل، ويؤدي خدمات عامة وخاصة للطائفة في اليمن بصفته يمجي، وإذا تعرض لأي عرقلة من السلطات اليمنية لجأ إلى السفارة الهندية بصفته هندي وهكذا .

وهؤلاء الأطفال يتم تنشأهم على مفهوم أن أباهم وأمههم هو [الإمام] ولا طاعة لأحد غير الإمام، وبالتالي لا يهتمون بأهلهم ولا يعيرونهم أي إحترام، وإذا قابل أحدهم أباه وأمه قابله كواحد من الناس، حتى لا تكون طاعته على حساب مولاه الإمام الأب العقائدي الأول والأولى بالاحترام والطاعة .

وقد أشارت مجلة "النور" اليمنية عدد (٥٦) الصادرة في: ١١/١٩٩٥م إلى وجود تدريبات عسكرية في جامعة "سورت" البهرية، أي: أن هؤلاء الأطفال يتم إعدادهم إعداداً عسكرياً أيضاً، وقد أشار إلى ذلك الشيخ: غالب علي محسن الذي خرج من الطائفة وترك معلومات عن ذلك .

وقد بدأ المؤهلون منهم -وهم كثير- يترددون سنوياً إلى اليمن، ولكل منهم دور خاص كجمع الزكوات والتذوق... الخ .

ومنهم من يقوم بمسؤولية الوعظ الديني أو بالأصح تجديد عهد الولاء والطاعة للسلطان والمذهب، وأخذ العهود والأيمان بكتمان أسرار المذهب .

ومنهم من يهتم بغرس الحقد والكراهية في قلوب النساء، ويذهب إلى كل منزل يختلي بمن شاء من النساء، ويستغلون عواطفهن فيحرضوهن على مراقبة أزواجهن، ومدى التزامهم بتعاليم المذهب، ويكون للمرأة السلطة الكاملة في البيت لأنها أكثر إيماناً وحباً للسلطان وأكثر عاطفة .

ومنهم الذي يتابع توجيهات السلطان، ومدى تطبيقها في اليمن، ومنهم الذي يهتم بالاتصال بذوي السلطة والنفوذ لبناء علاقات خاصة من أجل قضايا عامة

وهذا ما أفاض الشيخ المرحوم غالب علي محسن في الحديث حوله في مذكراته عند خروجه من المذهب، وكما ستجد بعضاً منها تالياً .

ثم يعودون بتقارير وافية كافية إلى السلطان ونجله، الذين يقومون بدراستها وفحصها وإصدار أوامرههم وتعليماتهم على ضوءها إلى أفراد الطائفة ونوابهم في اليمن .

وكما ترى في الوثيقة التالية، مستوى العمر، وصورة الشخصية لأحد الدارسين في الهند من بداية السبعينات، وطرق التحايل في تهريبهم .

وثيقة رقم (١١)

صورة لضمان تجاري للدارسين على حسابهم^(١)

اسم الطالب / أحمد علي محمد النجار .

الصف: منقول من رابع إلى خامس عام ١٩٧٠ م .

العمر: أحد عشر عاماً .

بلد المنحة: الهند .

الضامن / محمد عبدالله الحماسي

تعميد مدير الأمن العام

مقدم / عبد الله علي الحيمي

(١) انظر صورة أصل الضمان في ملف الوثائق بنهاية الكتاب .

أربعة عشر: نظامهم المالي وأثره على الاقتصاد الوطني :

ابتدعت الزعامة الداودية طرائف شتى لجمع الجبايات من أفراد الطائفة، وتعددت أبواب الموارد بصورة مدهشة، قل أن تجد لها نظيراً في كل التشريعات، فقد حرصت هذه الزعامة على استغلال مختلف المظاهر الاجتماعية، والطبوس الدينية لتكون مصادر دخل وجلب الأموال الغزيرة التي تصب غالباً في خانة مصالحها الخاصة. ومعظم تلك الالتزامات المالية التي يفرضها الداعي على أفراد طائفته لا يقرها الشرع الإسلامي، ولا علاقة لها بالنظام المالي في الإسلام، ولم يسمع بمثلها في تأريخ الأمة الإسلامية كلها، أما ما يسلمونه للدولة فهو عندهم نظير الجزية ويسمونه "بالغرم"، فهو عندهم باطل ويدخل في باب "التقية" لأنهم مجبرون على ذلك، ونذكر من تلك الموارد الضريبية التي تسلم للإمام ما يلي:-

أ- ضريبة الصلاة:

يجب على كل فرد من أفراد الطائفة، أن يشتري تذكرة خاصة بصلاة العيد، يصدرها مكتب الداعي، وتختلف قيمتها في الصف الأول عنها في الصف الأخير، فالتذكرة في الصف الأول خلف "الملاجي" الدكتور/ محمد برهان الدين تكلفه ١٠٠٠ روبية، و ٨٠٠ روبية في الصف الثاني، و ٦٠٠ روبية في الصف الثالث، وكما ابتعد عن "الملاجي" خف الحمل على جيبه، وفي الصف الأخير يتراوح ثمن التذكرة ما بين ٥ بيزات إلى ١٠٠ بيزة^(١).

هذا فيما يخص أفراد الطائفة بالهند مع سلطاتها، وقس على هذا أتباع الطائفة في الأمصار مع نواب السلطان ودعائه وأبوابه .

(١) راجع كتاب "الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونفائض التوحيد" ص: ٢١٠ لخالد محمد علي الحاج ط
إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م .

أما في بقية السنة فعلى كل مصلي يرتاد بيوت العبادة أن يدفع مبلغاً رمزياً يسمى النجوى- يستلمه النائب من السدنة والصناديق المعدة لذلك .

ب- ضريبة الحج والتنقل:

توجد لطائفة البهرة مزارات عدة، منها مزارات خاصة بهم، ومنها مزارات مشتركة مع كل الشيعة مثل مقام ضريح الإمام علي -كرم الله وجهه- في العراق، وضريح الحسين وشهداء كربلاء، ومثل ضريح رأس الحسين والسيدة زينب بنت علي في مصر، وضريح جعفر بن أبي طالب -عليه السلام- في الأردن، ومقصورة حاتم بن إبراهيم الحامدي في اليمن، وروضة "طاهر سيف الدين" سيفي محل" في الهند، ومزارات في فلسطين وغيرها .

وعلى كل بهري مخلص أن يزور أو بالأحرى أن يحج إلى كل هذه الأضرحة، ويحضون أتباعهم على القيام بهذه الزيارات، وبعد ذلك على كل من يرغب في الزيارة أن يستأذن أولاً من الزعامة ويدفع آلاف الدولارات مقابل السماح له بذلك، وهناك ضريبة التبرك بالضريح، والصلاة له .

وفي ٢٥ فبراير من عام ١٩٨٩م رفع أحد أعيان الطائفة البارزين في اليمن وهو الشيخ راشد بن راشد الخطيب رسالة إلى وزارة الداخلية يشكو فيها من طريقة استغلال الزعامة الهندية لقبه حاتم الحامدي بهدف استثمارها وتحويلها إلى مصدر جباية، بالإضافة إلى ما يمارسه السلطان ونوابه من مصادرة لأراضي سكان الخطيب بحجة أن الخطيب كله أرض مقدسة وهي وقف على صاحب الحضرات والبركات (حاتم)، ولا تزال مشكلة مصادرة أراضي أهل الخطيب باقية حتى الآن، وإليك رسالة الشيخ: راشد، والموافقة عنه وعن أهالي قرية الخطيب .

وثيقة رقم (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ وكيل وزارة الداخلية لشئون الأرض المحترم حياكم الله:

وبعد: نرفع إليكم قضيتنا، راجين منكم الأخذ بما بعين الاعتبار حتى لا

تتفاقم الأمور أكثر فأكثر:

إذ أننا نحن أهالي محل الخطيب مقر قبر الداعي حاتم بن إبراهيم الحمداني، وذلك من عملاء الهنود الذين يمثلون الفيض الحاتمي باسم الهنود، فقد بنوا فندقاً ضخماً في أرض محلنا، وجعلوا من هذا القبر متجراً وارتزاقاً، على كل واحد أربعمائة دولار بدعوى أن هذه الفلوس للداعي، ومن عارضهم تعصبوا عليه باسم الدين والعقيدة.

وأصبحنا نحن أهالي الخطيب محرومين من كافة المصالح، ومعروضين للسجون والتعذيب بتحريض ومؤامرات من الأشخاص التالية أسماؤهم والذين يعتبرون أعضاء الفيض الحاتمي وهم:

علي حسن ثابت باب السلام تاجراً .

محمد القمادي تاجراً .

عبد الله الخدري باب السلام تاجراً .

طاهر غالب أحمد جرمة باب السلام تاجراً .

علي ناجي عبد الله، وأخيه محمد في شارع الزبيري "دنيا الرياضة".

والرائد علي الفقيه ويعمل في المطار، وموجود طالباً في الهند يتلقى التعليمات

هناك.

لذا المرجو من سيادتكم منع المذكورين من دخول أرضنا والتدخل في شئون
محلنا، كما أرجو ضبط ومنع المدعو طاهر علي محمد المعقابي مدير الفندق السياحي
التابع للهنود.

ونحن خارجون عن المسؤولية فيما لو حدث أي شيء بعد إبلاغكم ما يجري
في محلنا .

المقدم:

الشيخ: راشد بن راشد علي الخطيب

عنه، وعن أصحابه أهالي محل الخطيب^(١)

م ٨٩/١/١

وقد وجه وكيل الوزارة عبد الله علي السنحاني بما يلي:

الأخ: محافظ محافظة صنعاء عضو اللجنة الدائمة المحترم

بعد التحية:

يرجى التكرم بالاطلاع وإشعار مدير القضاء لبحث ما جاء في الشكوى،
واتخاذ إجراءاتكم، وموافاتنا بتقرير مفصل ليتم التوجيه على ضوءه .

وكيل الوزارة للشئون الأمنية

عقيد / عبد الله علي السنحاني

م ٨٩/١/٢

(١) وردتنا مثل هذه الوثائق عن طريق بعض الأخوة من أعيان شرقي حراز تحتفظ بأسمائهم، كل الشكر
والتقدير لهم، وهم من الله العون والتأييد .

وبدوره وجه المحافظ إلى مدير قضاء حراز بالآتي:

حياكم الله

الأخ: مدير قضاء حراز

(لتنفيذ توجيهات الأخ وكيل وزير الداخلية)

م ٨٩/١/٢

ومنذ ١٣ سنة لم يصل هذا التوجيه إلى نتيجة حتى الآن ولا تزال مشكلة أرض أهل الحطيب مصادرة تحت الضغط والتهديد، ومن طالب بحقه عوقب بالحرب الضروس حتى يسكت قهراً.

وعند حجهم إلى مكة المكرمة، فإن عليهم أن يزوروا أماكنهم الخاصة بهم "سيفي محل"، وهي في أكثر من مكان في السعودية، إلا أن دخول هذه المزارات لا يتم إلا بعد دفع الآلاف من الريالات، تسلم إلى مندوب الإمام الذي جاء لهذه المهمة الخاصة باستلام متحصلات الحج.

ج- ضريبة السلام على الإمام :

يتزاحم الأغنياء من أبناء الطائفة على الداعي للسلام عليه، ويتسابقون في الهبات النقدية من العملات الصعبة والعملية المحلية، ويأتي كل صاحب رأس مال يحمل في يديه كيس النقود ليضعه بين يدي الداعي حرزاً لممتلكاته من كل مكروه، وطمعاً في البركة والنماء، بفضل الداعي المنعم، ثم يؤدي السجودات العبودية، ويلثم الأكف والأقدام، ويترك الفرصة لغيره من الأثرياء لتقدم الهبات والنذور التي تصل النقدية منها إلى عشرات الآلاف من الريالات اليمنية، والآلاف من الدولارات.

أما الشريعة الوسطى والفقيرة، فهي تدخل على أحد أقرباء الداعي، بالنظر إلى قلة هباتها مقارنة بشريعة رؤوس الأموال الكثيرة ذات الوزن الثقيل .
والوثيقة التالية نموذج لكويون لسند استلام في باب ضريبة السلام بصورة
جماعية، ونموذج بصورة فردية.

وثيقة رقم (١٣)

السطر الأول والثالث والخامس كتبت بإحدى اللغات الهندية تسمى
(الغجراتيه)، وفيما يلي الترجمة الكاملة للسند الجماعي:

* يقدم المبلغ

في خدمة المولى الأجل، مأذون دعوة الحق، زاد الله علو مجده، شهر الله
المعظم، سنة ١٣٩٧هـ من قبل جميع المؤمنين في باب هدية السلام، وهو معروض
بالتمام (روبية انكيه).

الأسماء خلف الكوبون/ عهد سيدنا أطال الله عمره / تأريخ.

وهناك ما يسمى بمبة المجالس (وهي ضريبة تدفع لحضور المجالس الحسينية،
وهي المجالس الدينية الوحيدة عندهم، وفيها يتم البكاء على مقتل الحسين ﷺ في
كربلاء).

كوبون ير:

الكوبون

من موضع.....

في خدمة المولى الأجل، مأذون دعوة الحق، زاد الله علو مجده، شهر الله
المعظم، سنة ١٣٩٩هـ ما مؤمنين طرف سي في هدية السلام عرض قهياته
بالتمام رقم (روبية انكيه).

عرض كرون جبهون عهد سيدنا (ط.ع) تأريخ

كوبون نابشت ير:..... (كوبون للتبرع الجماعي)

مني آرذر كرنار نومكمل نام الي ايدريس:

.....
.....
(.....)

(كوبون للتبرع الفردي)

د- ضريبة دفن المتوفى:

لا تدفن جثة الميت منهم إلا بعد أن يدفع أقارب الميت ضريبة مقابل ذلك لمكتب الداعي الذي يراقب كل شئ ليأخذ الضرائب عن كل شئ. وبعد الدفع يصدر الداعي صك غفران - روكشيتي- لذلك الميت ويدفن معه في القبر، والصكوك عندهم عدة أنواع: فأقارب المتوفى الذين يدفعون أكثر من (خمسين ألف روبية) يحصلون على صك غفران - أو شقة من الدرجة الأولى في الجنة- أما من يدفع أقل من خمسين ألف روبية فيحصل على صك غفران - أو شقة من الدرجة الثانية- بعد ذلك تجمع أمتعة الميت الخاصة وتباع لصالح الطائفة في المساجد والمزادات^(١).

هـ- ضرائب ورسوم اجتماعية ودينية أخرى :

وهناك إلى جانب الزكاة والفقرة ضرائب أخرى كثيرة يعمل نائب الداعي على متابعتها وتحصيلها أولاً بأول، ل يتم ترحيلها إلى الداعي بالروبية أو الدولار الأمريكي.

(١) راجع كتاب "الحركات الإسماعيلية" (ص: ٥٤) لمصطفى غالب .

ومن أنواع تلك الجبايات: ما يسمى بالخمس، والصلة، والنجوى، وحق النفس، والحمل، والولادة، والختان، وحق التزويج (المزوّج والمزوّج)، وحق الولائم والعزاء، وكفارة الذنوب التي يرتكبوها في العام ليغفر لهم السلطان، ومنه ما يتمنى الشخص من الداعي (الحامدي) من التوفيق والرزق وخلافه، أو من (محمد برهان)، أو من (طاهر سيف الدين)^(١).

و- ضريبة الخمس:

وهي أهمها وأكثرها مورداً، وهي تقابل الزكاة في الإسلام، حيث يدفع كل تاجر وموظف وفلاح وعامل نسبة ٢٠% من كسبه الشهري أو اليومي لعامل الجباية الإسماعيلي^(٢).

وضريبة الخمس تشمل كل أصناف مدخول الفرد بدون استثناء، عيناً كان أو نقداً، حتى رغيغ الخبز ففيه الخمس كحق من حقوق الإمام، وقد أجمل مجلس الوزارة السيفية لطائفة البهرة بعضاً من هذه الأتاوات في إحدى رسائله إلى أتباع الطائفة في اليمن، حيث ورد في الصفحة السابعة منها: "يلزم على كل عائلة في كل موضع الدفع" للسهيل والبركة " شهرياً بالزام حسب استطاعتهم وحسب مستوى كسبهم على موجب الأقسام".

"وأمر سيدنا الداعي الأجل (ط.ع) أن يتدي أيضاً نظام اللوازم والتوابع التي تؤخذ من المؤمنين في كل مناسبة من المناسبات لترداد النعمات، وقد عين سيدنا الداعي الأجل (ط.ع) نظاماً لما يؤخذ من التوابع واللوازم والواجبات يؤديها

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية: سنة ١٣٩٨هـ العدد ٤١٧.

(٢) مزيد من الإيضاح شاهد الفيلم التصويري في مقابلة مع الشيخ/ غالب علي محسن

المؤمنون في جميع المناسبات وهذه المناسبات - كما أشرنا - تشمل المناسبات الاجتماعية والدينية بمختلف صورها.

وعن طريق "يوناتيد بنك" أو "البنك العربي" يتم تهريب حصيلة هذه الإيرادات إلى الخليج العربي، ومن أجل التمويه يضعون في هذه البنوك اعتمادات بسيطة باسم الطائفة، كدليل على أنها (أي: هذه الجبايات) تظل في صالح أبناء الطائفة، وهو مبلغ احتياطي لمواجهة أي استجواب يأتي من الحكومة، يقول نائب السلطان في اليمن: (كل فرد يتبرع بقدر معين من كل شهر)^(١).

وفي مقابلة صحفية معه حاول السلطان محمد برهان الدين تبرير هذه الضريبة الشهرية، وجاء ذلك رداً على السؤال الآتي:

س: (حسب علمي أنكم في الطائفة تمثلون قيماً علياً من التسامح والتراحم!! ومن ذلك اعتماد ١٠% [هي في الواقع ٢٠%] من كسب الفرد في الطائفة للصالح العام من خارج الزكاة المفروضة شرعاً، ويثار حول هذا لغط من قبل الآخرين هل لكم أن تعطون إيضاحاً في ذلك)^(٢)؟

أجاب: (نحن ننظر في هذا الأمر، فإذا كان محتاجاً إليها أحد من أفراد الطائفة فعطيه منها، وإذا كان المحتاج إليها من خارج الطائفة نساعد^(٣)) وهذا محض هراء، فما يعطيه لأبناء الطائفة - إن أعطاهم مثل بناء مسجد - لا يمثل الفتات وتذهب الجبايات المختلفة وبالعملة الصعبة إلى الهند مما يضعف قوة العملة في السوق المحلية، ونجد أن اليمن لا تكاد تستفيد من مجيء الحجاج من الخارج شيئاً يذكر، إذ لا

(١) انظر: مقابلة معه في جريدة الناس عددها (٦٠) ١٣/٨/٢٠٠١م.

(٢) جريدة سبتمبر العدد (٨٦٨) الموافق ٩/٢٦/١٩٩٩م.

(٣) المرجع السابق.

رؤية من الداخل
ينطبق عليهم مفهوم السياح من الناحية الاقتصادية، فلهم بناياتهم الخاصة،
ومواصلاتهم الخاصة بهم، ولا ينفقون شيئاً ذا بال.
وفيما يلي صورة موثقة لنموذج استلام بعض الضرائب باسم الجمعية
السيفيه:

وثيقة رقم (١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعية السيفية لموضع

رقم الإيصال () إيصال استلام

وصل من الأخ النقيب: حفظه الله تعالى

المبلغ للوظائف التالية

الجملة ريالاً	ولائم الفرح والغم	النكاح	الميثاق	العقيقة	الختانة

والسلام

إمضاء الأمين

ثانياً: الإسماعيلية من منظور الولاء الديني

١ - الإمام ومفهوم العبادة وأركان الإسلام في المذهب الإسماعيلي

أين يمكن أن نجد طائفة البهرة الداودية إذا ما قسناها من منظور الولاء العقائدي والفكر الإسلامي الصحيح؟!.

إنك إن أمنت النظر في فلسفاتكم الفكرية، ستجدها على تباين مشارها ل ترمي إلا إلى هدف واحد، وهو تركيز الولاء المطلق للإمام المطلق وحسب، فالإمام لا سواه هو النتيجة الذي تنتهي إليه كل المقدمات، والركيزة الذي تدور حوله مفاهيم الدين ودلالات العقيدة.

ولو بحثت عن مكان الله -عز وجل- في الاعتقاد العملي عندهم وعن دلالات أسماء الله الحسنى، فسوف لن يقودك البحث في كل مرة إلا إلى إمامهم وجهاً لوجه، وصحيح أن الله موجود في ألسنتهم، وفي مقابلاتهم، وفي ردودهم على الخصوم، ولكن الصحيح ألا أثر لذات الله الفاعلة بينهم، فلا خوف من الله، بل من الإمام؛ ولا خشوع في حرم الله، بل في حرم الإمام، وبين يدي الإمام، ولا قربات لله، ولوجه الله، ولطاعة الله، ولرضاء الله، تنفق في أوجه الخير المختلفة، بل الإمام ولطاعته ورضاه، وكل الأشعار، وقصائد المديح، والثناء، وعبارات الرجاء، والتوسل، لا حظ لله فيها ولا لرسول الله، بل ولا لآل بيته، فكل ما هناك إنما هو للإمام وكفى، حتى تندش عندما تبحث عن معاني أركان الإسلام، حيث تجدها تقود في كل مرة إلى الإمام ولا غير، وإليك أركان الإسلام الخمسة في ميزان الفكر الإسماعيلي، ماذا تعني عندهم؟

أ- مفهوم الشهادتين:

المعروف في عقيدة الإسلام أن أول شرط لصحة إسلام المسلم وقبول دخوله ضمن جماعة المسلمين لا يكون إلا بالإقرار التام بالركن الأول من أركان الإسلام، وهو -شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله-، فأين هذا الركن الذي هو شهادة بوحدانية الخالق وإقرار برسالة النبي ﷺ من دعائم الإسلام الباطنية، لقد حذفوه بجرة قلم، وأبدلوه بركنهم الأول، والركن الأعظم عندهم هو "ولاية الإمام"، فصحة إيمان "البهري" الداودي والإسماعيلي بشكل عام، والباطني بشكل أعم، ليس رهناً بالنطق القولي والاعتراف العملي بالله ورسوله، بل رهن فقط بالتسليم التام والخضوع المطلق "لولاية الإمام".

أما دليل ذلك فلدينا من الأدلة النقلية والعملية ما تربو على الحصر، وكتبهم القديمة طافحة بالشركيات والخزعبلات، غير أننا هنا لن نتوقف عندها كثيراً بقدر ما يهمننا الاعتماد على مقولات زعمائهم الحاليين التي تأتي مدعمة لما ألفه فلاسفتهم القدامى، يقول "محمد برهان الدين" ضمن رسالة موجهه منه إلى البهرة الموجودين في اليمن في تاريخ ١٣٩٨هـ، وهي الرسالة التي أسماها بـ "هداية الدين المضئ"، حيث يقول فيها: "وعليكم بالمحافظة على دعائم الإسلام السبع، فقد وضعها صاحب الشريعة لسعادة داريكم خير وضع وهي: الولاية(١)، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد"^(١).

(١) (ص:٣).

فأنت ترى أن الأركان عندهم أصبح اسمها: الدعائم، وزيدت ركنين جديدين هما: الطهارة والجهاد، وإحلال ولاية الإمام محل ركن الإسلام الأول، وهو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

على أن الأخطر من ذلك - إذا جاز لنا أن نمايز بين الانحراف - يكمن في طبيعة الأبعاد الدلالية التي صارت تحملها عندهم هذه الأركان، إذ لم يكن إبدال الشهادتين بالولاية، واستثناء الإمام بمقام الله ورسوله يكفي وحده - في نظرهم - لإثبات فكرة السلطة المطلقة للإمام، بل عمدوا إلى تحريف دلالات الصلاة والصوم، والزكاة، والحج، لتصبح كلها تصب في سلطة الإمام، ويصبح هو محورها التي تدور حوله جميع العبادات.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور الإسماعيلي: مصطفى غالب، حيث قال: "الإمامة هي المحور الذي تدور عليه دائرة الفرائض التكليفية"^(١) وتأمل كيف يفسرون أركان الإسلام.

ب- مفهوم الصلاة:

يقول الحامدي الهمداني: "الصلاة في الحقيقة هي الاتصال (بالإمام)، يعني لا صلاة لمن شك في إمام عصره"^(٢).

وزعموا أن جعفر الصادق - عليه السلام - قال: "أما إقامة الصلاة فهي (معرفتنا) وإقامتنا"^(٣).

(١) من كتاب "الحركات الباطنية في الإسلام" (ص: ١٠٠) ط. دار الكتاب العربي.

(٢) انظر "كنز الولد" (٢٨٦) لإبراهيم بن حسين الحامدي، تحقيق مصطفى غالب ط. دار الأندلس.

(٣) من كتاب "أهفت الشريف" (ص: ٤٠)، وهذا الكتاب يتضمن ما وضعه الدجال الإسماعيلي المفضل بن عمر الجعفي على جعفر الصادق، ط. دار الأندلس محققه د/ مصطفى غالب.

ونسبوا إليه كذباً أنه قال: "من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة، ودرجة درجة، فهو حينئذ حر قد سقطت عنه العبودية"^(١).

وقال السجستاني أبو يعقوب إسحاق: "الصلاة عندنا ولاية (الأولياء) الذين ب على الخلق طاعتهم"^(٢).

ويفسر -جعفر بن منصور اليمـن- قوله تعالى: "فلا صدق ولا صلى" بقوله: "الصلاة: الطاعة (لأمير المؤمنين والأئمة) الذين اصطفاهم الله من ولده"^(٣).

ولقد رأينا، وشاهد الآلاف عياناً، سجد أتباع هذه الطائفة أمام دعايم الأحياء منهم والأموات، من خلال الواقع المشاهد، ومن خلال الأفلام التسجيلية الموثقة.

وقد جاء في رثاء "محمد برهان الدين" لوالده "طاهر سيف الدين" قوله:

"سجدت له دأباً فأسجد دائماً لدى قبره مستمتعاً للمآرب"^(٤)

وصدق رب العزة إذ يقول: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) (القصص: ٤١: ٤٢).

(١) نفس المصدر (ص: ٤١) .

(٢) كتاب "الافتحار" (ص: ١١٦) .

(٣) من كتاب "الكشف" (ص: ٤٤) ، تحقيق مصطفى غالب .

(٤) من إحدى مطبوعاتهم الشعرية الحديثة المسماة "زهرة بركات الأقرم الأنيق"، وهي أشعار لطاهر سيف الدين والد محمد برهان الدين، ولمحمد برهان الدين وشعرائهم المعاصرين.

ج- مفهوم الزكاة:

- ومما جاء في كتبهم في تعريفها، قولهم:
 "الصلاة (أمير المؤمنين)، والزكاة معرفته"^(١).
 "إيتاء الزكاة: هي الإقرار (بالأئمة) من ذريتهم"^(٢).
 "إن إيتاء الزكاة هو إطاعة (الناطق) ثم الأساس"^(٣).

د- مفهوم الصوم:

- يقول الحامدي: "إنم ممثل شهر الصيام، الذي هو الستر والكتمان، وهم (الأئمة) المستورون"^(٤) ويعني الممثل: النظير.
 "صوم شهر رمضان، هو ستر مرتبة (القائم): (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة: ١٨٥) أي: من أدرك زمان (الإمام) فليلزم الصمت".

هـ- مفهوم الحج:

- يقول القاضي النعمان: "جماع القول في وجود الزاد، والراحله، وأمن السبيل، وقوت العيال، لمن أراد الحج ظاهراً أو باطناً، فمن وجد ذلك وأمكته كان عليه طلب (إمام) زمانه، حتى يصل إلى معرفته، ويتقلد عهده، ويدخل في جملته، ومن وجد ذلك فلم يقبل عليه، ولم يطلبه، كان ممن تواعده الله - عز وجل - بالوعيد الذي ذكره الله في كتابه على لسان رسوله وألسنة أوليائه"^(٥).

(١) كتاب "المفت الشريف" (ص: ٤٠).

(٢) (زهر المعاني) لإدريس عماد الدين (ص: ٧٤) من المنتخب "لإيوانوف".

(٣) السجستاني (ص: ٦) ط. المطبعة الكاثوليكية، بيروت [إثبات النبوات].

(٤) انظر: "كنز الولد" لإبراهيم الحامدي (ص: ٢٠٨).

(٥) "تأويل الدعائم" ج ٣ المجلس السابع من الجزء الثالث (ص: ١٤٥).

"البيت - أي الكعبة - دليل على (الإمام)، والاستطاعة هي التأيد، والسبيل دليل على العلم"^(١).

ويذهب جعفر بن منصور اليماني، في تفسير الآية (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) (الحج: ٢٧) إلى القول: "الحج مثل الناطق، والأذان مثل الإمام، الذي يدعو ويشير إلى الناطق، ومعنى قوله: "وأذن" كذلك أقم في الناس (الإمام) يدعو إلى (الناطق)".
ويقول آخر: "الحج: هو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت، وقطع النظر عن سواهم، وأما النحر والحلق: فإزالة الباطل، وإظهار الحق، وتقبيل الحجر الأسود: قبول الدعوة من الناطق المؤيد، والطواف بالأركان، والمقام: وزمزم هي دعوة الباطن، والسعي بين الصفا والمروة: تتميم الدعوة والوفاء، وإتمام الحج بالعمرة الكاملة: هي الاستجابة للمأذونين في الدعوة الشاملة".

والحج الحقيقي في هذا الزمان لدى طائفة البهرة ليس هو الحج إلى الكعبة، الذي هو عبارة عن (تقية) وإرضاء للمسلمين، بل هو إلى الهند، إلى روضة "طاهر سيف الدين" الإمام المطلق الواحد والخمسون، والطواف حول مقامه وحضرته العلية كما يقول "مفضل" نجل السلطان محمد برهان الدين في إحدى خطبه: أما موسم الحج إلى الهند فهو في رجب، ويكون في ٢١/٢٠/١٩ من هذا الشهر.

ومن أبيات "محمد برهان الدين" في أبيه "طاهر سيف" جاء قوله:

أيا (قبلة) للعابدين و(كعبة)	المصلين باتوا ركعاً ثم سجداً
وبيتاً يمانياً به حل ربنا	وفي يده العلياء سيفاً مهندا ^(٢)

(١) "الرسالة المذهبية" للنعمان بن محمد (ص: ٣١).

(٢) من ديوان المراثي والمدائح في جزء صغير يسمى "زهرة بركات الأقرم الأنيق" لسنة ١٤٠٩ هـ المشرق منها "أنواع معالي الهدى" لسنة ١٤٠٩ هـ (ص: ١٣٥)، وقد سبق.

وفي مرثية أخرى في أبيه، يقول:

لقد كان بيت الله صلى إليه من يصلي عليه عارفاً للمراتب^(١)

وقد جاءت مسألة الحج إلى الهند بعد وفاة "طاهر سيف الدين" وبأمر من نجده "محمد برهان الدين"، وقد أشارت إلى ذلك رسالة الوزارة السيفية إلى اليمن، حيث جاء فيها: "كما أمر (أي: السلطان) المؤمنين الساكنين في اليمن السفر إلى الهند، ليتشرفوا برؤية طلعة داعي الله الأمين، ولثم أقدامه الطاهرة، والتبرك بزيارة الروضة الطاهرة، ومشاهد الدعاء الأجددين الزاهرة، فيالشرف من يزور الحضرة الإمامية، ويزور مزار سيدنا طاهر سيف الدين (رضى).

وعندهم أن لثم أقدام الإمام أولثم تراها أفضل من تقبيل الحجر الأسود بمكة، وهل المراد بالكعبة والحج سوى الإمام نفسه عندهم وهذا ما أكده مفضل بنجل السلطان محمد برهان الدين في خطبته المحفوظة في شريط كاسيت (والتي لعن فيه الصحابة بالاسم) فقد قال -في زيارة الإمام المطلق- أي والده: إنها واجبة كالحج لأنها حج وتقوم مقامه.

جميع العبادات رهن الإمام:

وخلصة الأركان ومؤدى العبادات، ونهاية الطاعات، مرهونة بطاعة ومعرفة الإمام والنظر إليه، يقول عماد إدريس القرمطي^(٢): "فكل إمام في زمانه هو اسم الله في عصره، وطاعتهم له هو جهة العبادة له، فمن عرف إمام زمانه وأخذ عهده، وسلم في جميع أموره، وعرف حدوده وأقرَّ بها، وأدى لكل حد حقه ولم يلحد فيه

(١) نفسه (ص: ١٣١).

(٢) عماد إدريس، أحد أئمة البهرة الذي يقصدونه ويأخذون تعاليمه التي استقاها من فلسفات الكتب الهندوسية والبوذية.

فقد عرف الله بحقيقة المعرفة، ووحده من وجه توحيدِهِ، ومن رأى إمام زمانه بغير الصورة، وجهل مقامات الحدود [أي: الأئمة]، فما عرفه، ولا عرف الله ولا وحده، ولا أطاعه، ولا عبده، فكانت طاعته لغير الله وعبادته في غير مرضات الله، ولا تمسك بجلل الله، وكان شاكاً في الله مشركاً^(١) "١١٩٩".

٢- الإمام ومفهوم العقيدة في المذهب الإسماعيلي :

ومن كتاب "الكشف"، نلخص تأويلات جعفر بن منصور اليماني لبعض آيات الاعتقاد التي جعلها تشير إلى الإمام وحججه، وجعفر بن منصور يعتبر أحد أهم أركان الدعوة الإسماعيلية - لا سيما لدى طائفة البهرة اليوم- وهذه تأويلاته لبعض مسائل العقيدة.

أ- معنى الشرك :

يؤول قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: ٤٨).

فيقول: "إنما الإشراك في هذا الموضوع، أن يشرك بولاية (أمير المؤمنين) ومن نصبه الله ولياً وإماماً، فيجعل معه غيره، ويجحد بولايته فقد ضل ضلالاً بعيداً"^(٢).
لذلك يعتبرون "الزُّيود" مشركين لأنهم أشركوا أبابكر وعمر وعثمان مع علي في الخلافة واعترفوا بإمامتهم، أما أصحاب المذاهب الأربعة فهم في نظرهم كفار.

ب - معنى الأسماء الحسنى :

يقول في قوله تعالى: (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف: ١٨٠).

(١) انظر: "زهر المعاني" (ص: ١٦٤).

(٢) (ص: ٥٣) تحقيق مصطفى غالب.

يعني لله (الأئمة) الهداة والرسل الذين اختارهم، وتقربوا إليه بطاعتهم، وطلبوا مرضاته، وما عنده بهم، فهم أبوابه، وأسباب خلقه إليه^(١)...".

ج - معنى القرآن والآيات:

يقولون: إن المراد بالقرآن هو (علي): صاحب التأويل، وهو مقترن بمحمد صاحب التنزيل، أما الآيات فيؤول جعفر الآية: (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) (النحل: ١٠١) يعني: (إماماً) مكان إمام، فأما الناطق والوصي: فإن مقاميهما ثابتان^(٢).

د - معنى الصراط:

ويؤول الآية: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) (مريم: ٤٣).
بقوله: (الصراط السوي: أمير المؤمنين عليه السلام)^(٣)

هـ - معنى البيت الحرام:

ويؤول قوله تعالى: (الْبَيْتَ الْحَرَامَ) بقوله: يعني الصامت (أي علي)، فإن الناطق (يعني: محمد) يكون إماماً صامتاً قبل أن يكون ناطقاً.^(٤)

و - معنى الحق:

ومعنى قوله تعالى: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ) (الأنبياء: ٢٤) هو عنده: "أصحاب العقبة، لأنهم أعرضوا عن الحق وعن الإقرار به، وهو (الإمام) صلوات الله عليه"^(٥).

(١) نفسه (ص: ١٠٥).

(٢) نفسه (ص: ١٢١).

(٣) نفسه (ص: ٩٤).

(٤) نفسه (ص: ٨٠٩).

(٥) نفسه (ص: ٨٦).

ز- معنى الجنة:

ومعنى الجنة -عنده- في قوله تعالى: (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخُلِي حَنَّتِي) (الفجر: ٣٠) هي (الإمام) الحجة، فيقول: الجنة في هذا الموضع: الحجة ~~الطاهرة~~، لأنه إنما يوصل إلى كل إمام من حجته^(١).

ح- معنى جهنم:

وفي تأويله لقوله تعالى: (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) (الفجر: ٢٣). يقول: "أراد بجهنم في هذا الموضع: (الناطق) الذي يظهر بالسيف، وحكمه عليهم بالقتل، وهو جهنم"^(٢).

٣- إحلال الإمام محل الله في صفات القدرة:

لاوجود لله عزوجل -في الفكر الإسماعيلي- كسلطة فاعلة ذات قدرة مطلقة، حيث غيبوه بقولهم: لا يوصف بالوجود ولا بالعدم، وعطلوه من أسمائه الحسنی، وقالوا: لا يشار إليه ولا يوصف بصفة.

فإن الله عندهم ليس بجي ولا قادر، ولا عالم و.. الخ، يقول الحامدي:
"فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة، ولا يومئ إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه: حياً، ولا قادراً، ولا عالماً، ولا عاقلاً (١) ولا كاملاً، ولا تاماً، ولا فاعلاً"^(٣).

هذا ما قاله الحامدي في صفات الله، وهو يعني عن سرد أقوال غيره كعقيدة متفق عليها بينهم، فالحامدي هو والد (حاتم)، صاحب المزار في الخطيب) وهو

(١) نفسه (ص: ٧٢) .

(٢) نفسه (ص: ٧١) .

(٣) " كنز الولد " إبراهيم الحامدي. ط دار الأندلس بيروت ١٩٧٩م (ص: ١٤، ١٣) .

عندهم ولي مقدس، ومزاره في همدان في (غيل بني حامد)، يطوفون حوله، ويسجدون أمامه، مثل بقية القبور التي يزورونها.

وليس من شك أن تجريد الله من صفات القدرة والكمال، سيقود إلى سؤالنا عن الخالق، والبارئ، والمحيي، والمميت، و... الخ، إن لم يكن هو الله جل في علاه فمن يكون في الفكر الإسماعيلي؟ الجواب هو الإمام فهو صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى.

يقول جعفر بن منصور اليمنى، زعيمهم السياسي والمنظر الأكبر: "فكل (قائم) في عصره فهو اسم الله الذي يدعى به في ذلك العصر، كما قال الله عزوجل: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف: ١٨٠)"^(١).

ولكي تستوي الفرية، ذهبوا يقولون في علي ﷺ أنه قال عن نفسه:

"أنا أحسي وأميت، وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمه والأبرص، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم"^(٢).

"أنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا بكل شئ عليم، وأنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا أنبت أشجارها، وأنا الذي أجزيت أنهارها"^(٣).

وليس خليقاً بالإنسان الواعي أن يقر هذا من باب الافتتان بالإمام علي، إذ لم يكن الإمام علي -كرم الله وجهه- عندهم سوى مظلة عاطفية، ومدخل وجداني، لتمرير الفكر التدميري من خلاله، وهم بهذا الشرك أبغض خلق الله إلى الإمام علي، وكل أبنائه من بعده، إذ ما كان لبيت النبوة أن تفتري على الله الكذب، وتدعي لنفسها ما لم يأذن به الله ورسوله.

(١) "كتاب الكشاف" (ص: ١٠٩).

(٢) "زهر المعاني" للداعي المطلق إدريس (ص: ٧٧) من (المنتخب) لايوانوق.

(٣) "الجلس المؤيدة" للمؤيد في الدين الشعراوي (ص: ١٤٧).

فهاهم القرامطة ينطلقون من عبادة آل البيت، لينسبوا لأنفسهم صفات الألوهية وقدرات الرب الفاعلة.

- فالإمام، وليس الله - هو الذي - في نظرهم - يملك صفات القدرة والخلق والإحياء والإماتة و... الخ أما الله - عز وجل - فهو يجلب عن ذلك وهو فوق الأفعال عندهم، وأعلى من أن يهتم بقضايا الخلق، وهو - وإن كان قد أوجد الوجود - إلا أنه ترك مصيره بعد ذلك بيد الأئمة.

من يصفه بصفات الله ذي العرش تحقيقاً فحماً وصفه

(فصفات الله عزت وعلت نحوه عنه غدت منصرفه) (١)

ومعنى البيتين: أن صفات الله أو قدراته الفاعلة قد آلت إلى الإمام بعد أن تخلى الله عنها - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.

فالإمام - عندهم - هو الرب.

يقول طاهر سيف الدين في ابنه برهان الدين، وفي (حاتم) المدفون في شرقي حراز، الذي يحجون إليه.

وأرسلت (برهان) الهدى ابني زائراً لرب المعالي "حاتم" الخير مشهداً (٢)

- وهو الملاذ والملجأ في الدنيا والآخرة.

يقول طاهر سيف الدين في حاتم:

أيا حاتم الخيرات أنت ملاذنا وملجأنا في يومنا وكذا غدا (٣)

(١) من ديوان "زهرة بركات الأقرم الأنيقة" (ص: ١٣٣).

(٢) نفسه (ص: ٣٠).

(٣) نفسه (ص: ٣١) (هذه الأبيات الشعرية للداعي "طاهر سيف الدين" في الداعي "حاتم بن إبراهيم الحمادي

الهمداني" المدفون شرقي حراز قريب الحطيب).

- وهو الذي يرى الأكمه، ويشفي الأبرص، ويحيي الموتى، ويكشف

الضر والبلوى:

يقول طاهر سيف الدين - أيضاً - في ربه حاتم:

فكم أكمه أبرى وكم أبرص شفى وكم ميت أحي وكم ظمئ روى
فما حاتم إلا ملاذ لللائذ ولاهو إلا كاشف الضر والبلوى
فيا أيها المكروب لذ بجنابه تجده مزيلاً عنك ما بك من شكوى^(١)

- والإمام يسمع النجوى ويوجب الدعوى:

- يقول طاهر سيف الدين في حاتم أيضاً:

بث لديه الشكوى واطلب إليه الرجوى
فهو يجيب الدعوى وهو سميع الدعوى
فمن ذا دعائك فخيسته ومن ذا دعائك فلم تستجب^(٢)

- والإمام على كل شئ قدير، وهو يعلم السر:

ويقول أحدهم في أحدهم:

هو الولي الذي ترجى إعاتته لكل هول من الأهوال مقتحم
إن قال للقمر: انزل حل عن عجل وإن يقل لصريخ الموت قم يقم
يراك شخصاً ويدرك ماتكن به سراً ويسمع ماتلقي من الكلم^(٣)

- الإمام واحد أحد ملك صمد، وهو سدرة المنتهى وشديد القوى:

(١) نفس المصدر (ص: ١٠٤) .

(٢) نفس المصدر (ص: ١٣) .

(٣) نفس المصدر (ص: ٤٠) قيلت في "فخر الدين" المسمى بالشهيد "عبد علي عماد الدين" .

جذك المرتضى سدره المنتهى
واحد أحد ملك صمد
من يعطله فالله عطله
وشديد القوى وبعيد المدى
من يوحده فالله قد وحده
والذي فيه يلحد قد الحدا^(١)

- والإمام مالك الملك، حميد مجيد فعال لما يريد... الخ.

يا صاحب العصر الولي الحميد
يا صاحب العصر يا ربه
إنك ذو عرش مجيد سما
إنك أنت الخالق الباري الـ
أنت السميع والعليم الرضى
إنك جنب الله سبحانه
يا مالك الملك الحميد المجيد
في كل يوم لك شأن جديد
إنك فعال لشيء تريد
مصور المبدي لنا والمعيد
وأنت مولاي الرقيب العتيد
ووجهه الباقي الذي لا يبيد^(٢)

والإمام إله السماء، وإله الأرض:

يقول الداعي إدريس عماد الدين، في تأويل قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ) (الزخرف: ٨٤): يعني (أمير المؤمنين) لقيامه في أرض الشريعة وكونه، وهي صاحب الدور فولمت فيه الحدود كما وله العقل في مبدعه^(٣).

فهل هناك أكثر تأمراً على دين الإسلام من هذا الذي يقال ويعلم بين أوساط هذا الطابور الوثني المتربص بالمسلمين وعقيدتهم.

(١) نفس المصدر.

(٢) من منشوراتهم المدحية في إمامهم.

(٣) من كتابه "زهر المعاني" (ص: ١٦٠) تحقيق مصطفى غالب المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر.

على أن هناك ما هو أظهر شركاً من هذا -والعياذ بالله- وقد أرجأنا الرد ومناقشة هذه الشركات إلى الفصل الثالث المعني بنسف قواعد الفكر الباطني وتفنيدها.

صور من مظاهر التأله البهري على الواقع :

يقول محمد برهان الدين في معرض حديثه عن نفسه في تقريره السنوي:

"وأقمنا في كراتشي ما أمكننا المقام وهمر على أهلها -بمكانيتنا من البركات- غمام بعد غمام، ولم يزلوا رجالاً ونساءً وشيياً وشباناً، كباراً وصغاراً يحضرون لكل يوم في مجلس، طالبين كرمي وفضلي، ثم جاء عيد مملوك آل محمد (ص.ع) (يعني: عيد ميلاده) فأضحى به روض المسرات ممطوراً، وبجر البركات مسجوراً، وألقى الزعماء الأكابر خطباً ذكروا فيها مآثري وشأني، والدعوة وما لها من البهجة بسببي، ووصلنا بومباي فاستقبلني المؤمنون بحفلة رائعة، ذكروا فيها مآثري وشئون جاهي وجلالي"^(١).

وهكذا لا وجود لله ولا وجود لمحمد بن عبدالله في المذهب الإسماعيلي، وإن وجداً فوجود شكلي، لا يتجاوز الألسنة بينما الإمام عندهم هو الملاذ والمرجع صاحب الحمد والثناء، لأنه المتصرف في شئون الخلق، المتحكم في مصائرهم ومعادهم، وهو سر الأسرار عندهم، وعليه الوجود، الذي حكمه قدر غالب وقضاء حتم، وإرادة ماضية، لامعقب لحكمه، ولا يسأل عن شيء وهم يسألون، ووسط هذه الهالة من التقديس ينسى الباطني أن هناك معبوداً آخرلاً لا يزال، وأن

(١) من إحدى رسائله السنوية إلى أتباع الطائفة في اليمن، والمسماه بـ"هدايات الدين المضيء" (ص: ٢٩) لعام ١٣٩٧هـ.

هناك إمكانية للتحرر من وهم الإمام الطاغوي، والإنفكاك من قبضة حضوره الذهني والوجداني الآسر.

أما الإمام وسلطان الزمان المطلق، فيحاول ما استطاع أن يبرز جوانب العظمة فيه، ويترك في عيون أتباعه معاني الجلال وملامح التميز الآسر، حتى لا يملك الساذج منهم سوى أن يسجد إكباراً لعظمة مولاه، وإجلالاً لسمو مكانته وعظيم سلطانه.

فربما بالغ السلطان في التحنن على أتباعه فيتجلى لهم في ساعة حضورية، أو ينزل بدار أقلية منهم متعهداً بزيارتهم، فيكون بحضوره هذا قد حلت البركات ونزلت الفيوضات، فيساعد من فاز بنظرة منه، أو نجح في شق الصفوف كي ينال شرف تقبيل يديه، أو لثم أقدامه، فما كلهم يحظى بهذا التكريم، فقد لا يصل بعضهم إلا إلى إطارات السيارة التي تقله، فيكتفي بتقبيلها والتبرك بها، ويكون أوفر حظاً لو وصل إلى المقعدة التي كان يجلس عليها السلطان، لأن عليها آثار البركة السننية والكرامات العلية، وإذا خرج من السيارة تدافع الناس واقتتلوا على كرسي العرش ذي الثمان القوائم الذي يحمل السلطان عليه، ويسير على رؤوس ثمانية إلى حيث يريد النزول والإقامة، ويصبح الكرسي بعد نزوله منه محل صراع من أجل التمسح بآثار بركة الإمام، وهناك من العجزة وكبار السن، والضعاف الذين لا يجدون سبيلاً للوصول إلى الإمام، فيقتنعون بالبحث الهادئ عن أحد أقرباء الإمام، حتى لو كان طفلاً غير مميزاً، أو على الأقل أحد المرافقين من حاشية السلطان، فإذا ظفروا بأحد هؤلاء أخذوا حاجتهم من التبرك والتمسح فيهم وبقدر ما تسنح الفرصة ثم ينصرفون راضين.

ومن الصعب أن تجد في السلطان سلوك البشر العاديين مع أتباعه، أي التصرف التلقائي والعفوي، فهو يحرص أن يكون كل تصرفه فيه نوع من الغرابة،

والمهابة، التي تحمل إجماعات غامضة في مخيلة الفرد منهم، فيعتقد أن ذلك من دلالات الاختصاص الإمامية، فيكون له وقع خاص في نفسه، ويزيد من نظرة الرهبة والمهابة نحو الإمام، فإذا تكلم الإمام أو وعظ تعمد أن يخرج الصوت ملحنًا ومنغمًا، فيجد له المستمع منهم رنينًا ونبرًا آسرًا متميزًا، فلا يملك أن يسيطر على نفسه فيسكب العبرات، ويطلق الزفرات الحرى، ويضرب على صدره دون أن يكون قد سمع شيئاً ذا بال.

وقد يخطئ الإمام وهو يتلو آيات القرآن، أو يقفز من آية إلى أخرى، أو يلحن لحنًا فاحشًا، أو يخلط فجأة بين القرآن وترانيم هندية غير مفهومة، فيعتقدون أن هذا من أسرار الإمام التي يصعب تفسيرها ولا تترك سوى مزيد من الخشية لعظمة الإمام.

ومن الصعب أن ينظر الإمام بتركيز إلى الواحد منهم، فنظرتهم محسوبة وليست كأى نظرة فإذا نظر إلى أحدهم (بعين الرضى) عدّوا ذلك ضمانًا بالعتو والمغفرة، وفتحاً لأبواب الرحمة والرضوان، أما إذا نظر إلى أحدهم بعين السخط أو أشاح بوجهه عنه، فإن ذلك نذير هلاك وشؤم، لا يهناً ذلك المغضوب عليه، ولا يقر قراره حتى يكون الإمام قد تخلّى عن بواعث سخطه وغضبه عليه، وإلا فليعتبر نفسه من المهالكين.

ولذلك تجد كل واحد منهم في بعض مجالسهم الخاصة، يصرخ بصوت الملهوف المستغيث: (انظر إلينا يا مولانا، انظر إلينا يا مولانا)، وقد يكثر من النداء والرجاء، ولكن دون أن يخطئ بنظر الإمام، وعندها يعود كسيفاً، بيئساً، كثيباً، يفتش عن عيوب نفسه ويبحث عن مزيد من القربات لمولاه الإمام.

وللسلطان وسائل تمثيل عديدة، تفعل فعلها في نفوس أتباعه حتى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم على قدر من الوعي، والذين قد لا يتخذون مثل تلك السذاجات التي تؤثر في نفوس العوام، فمثل هؤلاء لهم أساليبهم الخاصة عند الإمام التي تكفل إدخال الهزيمة في نفوسهم، وتجبرهم على الركوع والتسليم لشخصيته الأسطورية، وقدراته الخارقة، فإذا كان أحد هؤلاء من الأعيان الكبار، أو من الشريحة المثقفة، أو مسؤول حكومي ولا غنى للسلطان عن خدماته وطاعته، يرسل إلى هؤلاء من يدعوهم للدخول عليه في عرشه الخاص وهو المكان الذي يجلس عليه السلطان لاستقبال الشخصيات المهمة، وهذا المكان فيه من الهندسة البارعة والتصميم المتميز في الديكور بحيث يترك تأثيره في نفسية الزائر، فهو مكان واسع عالي الجدران ذو أعمده ونمارق وزخارف بديعة، وستائر وبسط متناغمة في الألوان، يتوسط الغرفة عرش السلطان وهو عالي نسبياً في شكل محراب ينتهي بتاج يشبه القبة، ملئ بالزخارف المشعة ومحاط بالقناديل المتألأة، بالإضافة إلى الأضواء الكثيفة الموزعة في أرجاء المكان، يجلس السلطان على العرش في ثياب ناصعة البياض، يرتدي عمامة بيضاء واسعة مدوره تشبه [الأطباق الطائرة] كما يتصورها خيال الأسطوره.

وعندما يسمح للشخص بالدخول على السلطان، يخطف بصره سحر ما يرى، ولا يدري إن كان الإمام يجلس على عباب البحر، أم يركب فوق متن السحاب، فيجد نفسه ساجداً تحت أقدام مولاه، وسالماً فيما سلك فيه الناس.

وصدق الله إذ يقول: (..... وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (النمل: ٢٤).

ولا تجد ما هو أشنع من هذا التمثيل والتأله إلا محاولة هؤلاء الوثنيين تبريره وتأويله بعلم عليلة وحجج كليلة مضحكة، لا تبلغ كفاية الطفل الصغير ولا حتى أصحاب العقول المتناثرة غير السوية.

يقول محمد برهان الدين - في معرض دفاعه عن تعظيم نفسه -: (أما مسألة التعظيم والتكريم، فالقول بعظمة السلطان أو القول هذا رجل مبارك، فإن هذا لا يؤوله المكان، كما سبق وقلنا إن مكة وتشريفها وتكريمها هو تكريم الله وتشريف له، ونقول عنها المشرفة أو المكرمة [أين وجه الشبه بين هذا وذاك؟] ثم إن المسألة شخصية فنقول: العظيم، لمن يفعل أمراً عظيماً، ونقول: مبارك، للرجل المبروك، وتقبييل يد العالم لفضله وعلو مقامه^(١).

وإن لم تجب هذه التمحلات على سؤال التأله فهي اعتراف ضمني بمزاولته وتجويزه.

ثم يقول في مسألة حمله على الرؤوس: (يذهب إلى بيت الله الحرام في موسم الحج، وينظر إلى الذين يتم تطويفهم وهم محمولين على الكراسي فوق أكتاف المطوفين).

وأين وجه الشبه أيضاً؟ وهل يريد أن يدخل الحمير والدواب ومراكب النقل لتطوف بالضعفاء؟! والعجزة في الحرم؟!.

وإن لم ينجح سلطاتهم هذا في فلسفة الوثنية الإسماعيلية، فقد فلسفها أحد عباقرهم في مقال صحفي، حيث برر سجودهم للقبور بأنه سجود شكر الله على الوصول إلى القبر بالسلامة، يقول: (فسجود الشكر لله مرغوب فيه في كل وقت

(١) في مقابلة صحفية مع جريدة (٢٦ سبتمبر) العدد (٨٦٨).

وكل زمان، فإذا نزل أحد في أي أرض وسجد لله شاكراً على وصوله بالسلامة، فهذا أمر مرغوب فيه، مأمور به ومستحب^(١).

ونقول: نعم، وأفضل ما يكون هذا السجود تحت الإله (راما) أو تحت البقر الهندية التي تبحث في طرق الهند عن بهري وصل بالسلامة.

ويقدم العيلوم (سليمان رشيد أكبر) نائبه في اليمن فلسفة خاصة للتمسح بالإمام والخضوع له فيقول: (طاعة الإمام عندنا واجبة كطاعة الرسول، والتوسل بالأئمة إلى الله واجبة، فمثلاً: لو أريد اليوم مقابلة رئيس الجمهورية أو أي مسؤول كبير، فلا بد أن أبحث عن واسطات سكرتير ومدير مكتب حتى أصل إليه، فنحن نتوسل بالأئمة الطاهرين إلى الله ونعتبرهم وسائلاً إليه)^(٢).

نفس منطق الوثنية القديمة: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: ٣).

وقد قيل لهم: لماذا تسجدون للإمام والقبور؟ قالوا: مثل الكعبة، هل نحن نعبد الكعبة عندما نتجه إليها في صلاتنا؟! فنحن نسجد أمام الأولياء ونيتنا السجود لله مثلما أن ينشأ في الصلاة ليس للكعبة بل لله، انظر!! كيف يزين لهم الشيطان أعمالهم ويخترع لهم آفة التراهاات وألوان الخزعبلات ويخرجهم عن دين التوحيد بمثل هذا التحريف والتحريف، ومتى أقر دين الإسلام بهذا؟!.

(١) نفس المصدر السابق العدد (٨٧٠) عنوان المقال: (البهرة طائفة إسلامية تحب الخير وتخدم المسلمين) لكتابه طاهر صالح الحرازي.

(٢) جريدة الناس العدد (٦٠).

٤ - الإسماعيلية لا تقيم الجمعة ولا تدفن موتاهما في مقابر المسلمين :

معروف عن الشعب اليمني اعترازه بنفسه بصفته أحد الشعوب القليلة التي وهبتها السماء ميزة التوحيد في التصور، والفكر، والاتجاه.

وعلى أساس هذا الشعور الجماعي وضع الدستور، وسنت القوانين، وجاءت التشريعات.

غير أنه وبالنظر إلى ممارسات الطائفة الباطنية في هذه البلاد، فإن هذا الإحساس الوحدوي يظل شعوراً زائفاً غير دقيق، ما لم تعمل هذه الطائفة على التفاعل الإيجابي مع دستور البلاد، وتقر بضرورة الالتزام المبدئي السائد، وتحاش مخالفة الثوابت المجمع عليها، وبما ينفي عنها شبهة الأقلية المستقلة.

فكما لاحظنا من الممارسات المشبوهة التي تحل بالسيادة الوطنية، فإن واقع الحال يشير إلى أن القرى الإسماعيلية في اليمن مجمعة على عدم إقامة الجمعة بحجة عدم وجود السلطة الشرعية في اليمن، والتي لا تتوافر في نظرهم إلا في ظل الحكم الإسماعيلي ومجمعة كذلك على عدم دفن موتاهما في مقابر المسلمين، بحجة أنهم كفرة، وبخالفونهم في مراسيم الدفن، وتتعمد مخالفة الأمة في توقيت بداية شهر رمضان، وتحديد هأياته، وبحيث يخالف إعلان الدولة، وتجري عقود النكاح دون الرجوع إلى الحاكم الشرعي في ذلك، وتستقل بالتصرف في مال الأوقاف، وتحجب عن الوزارة أي معلومات حول العقارات والمصالح الموقوفة.

يسوزع السلطان على أمواتهم (صكوك الغفران)، ويتم وضعه في إبط الذراع الأيسر في القبر، ويحرضون على مخالفة المسلمين في دفن موتاهم باتجاه بيت المقدس قبلة أهل الكتاب.

وقد أشار إلى ذلك بعض الشائرين المتنورين منهم، في رسالة إلى بعض أتباع هذه الطائفة وهو الشيخ/ علي غالب الأحلسي وجماعته.

وكما تراها في هذه الوثيقة التالية التي لم نجد منها سوى هذه الصفحة:

وثيقة رقم (١٥)

"الميت مما يلي القبلة مع حائط القبر، وهذا يريد منكم أن تشقوا اللحد في الجانب الغربي، أي يكون رأس الميت نحو القبلة، ووجهه إذا طرح في لحده متوجهاً إلى الغرب، فهل تفهمون ما يراد منكم؟ إلى بيت المقدس يريد أن توجهوا موتاكم!! أم إلى أين؟؟".
والصورة في ذلك كي تفهمون: إما أن يكون القبر كما جاء من أهل البيت وماعليه عامة المسلمين جميعاً بالخط المستقيم كما يلي:

غرب	شرق	غرب - أو يكون كما أريد منكم أن	الجهة القبليّة	شرق
اللحد	اللحد	تفعلوه	اللحد	
جنوب			الجهة الجنوبيّة	

فهل أنتم إلى ما أريد منكم ذاهبون، ويتجه الميت إلى ناحية المغرب (جهة بيت المقدس)، يا نعمة الله!! ما هذه التفاسير؟! ما أعمقها، وما يعلمها إلا العالمون، لقد -والله- أدخل الأعلاج في الدين ما ليس فيه، ماذا أنتم صانعون؟ وهل صحيح: أنكم تهربون من [...] ولا تحثوا ثلاث حثيات من التراب كما يفعله أهل [...]؟؟ وهل بدل التكبير والتهليل تغنون؟ أم ماذا يقول المشيعون، كم والله يا ناس بينوا لنا من هم المتبدعون المنحرفون؟^(١).

إخوانكم/

الشيخ/ علي غالب الأحلسي وجماعته

(١) حرصنا في هذا الكتاب أن تكون مواد جديدة معاصرة حتى لا يبقى مدعٍ بجبالٍ للإفلات، فهذه رسائلهم وأشعارهم وهذه منشوراتهم وخطبهم، ولقد وجدنا من يعلي صوته ويرفع سوطه على المشككين بعقيدة هؤلاء وصحة انتمائهم إلى دين محمد بن عبد الله وآله الأطهار من بعده، وهل ما سبق وما سيأتي ينسجم فعلاً مع قول أحدهم فيهم "البهرة طائفة إسلامية اتخذت الإسلام لها ديناً وشعاراً ومنهجاً وسبيل نجاة لدينها وهي ملتزمة بأحكامه التزاماً كلياً في كل جوانب الحياة". هذا ما ورد في جريدتنا الرسمية ٢٦ سبتمبر في عددها (٨٧٠) والتي تحمل أعز اسم في ضمير الشعب اليمني الذي يحمل تاريخ ثورتهم المجيدة. ومن غير اللائق أن تتحول هذه الجريدة الأولى في إمكاناتها وراثتها إلى صوت ناطق باسم هذه الجماعة إلى حد تغطية أنشطة محمد برهان الدين في الهند، بما فيها أعياد ميلاده وتعييناته، فهذه الطائفة أقل ما يمكن أن يقال عنها: أنها باتت خطراً على مستقبل البلاد واستقراره مهما كان مذهب القائم على هذه الصحيفة أو توجهاته.

٥- التبرؤ من المجتمع الإسلامي المحيط :

يرى أرباب الفكر الباطني والإسماعيلي بشكل خاص، أن من أهم شروط صحة الولاء للإمام (الركن الأعظم)، وعلامة الاعتقاد الصحيح لدى الجماعة الإسماعيلية، هو التبرؤ التام والمقاطعة الشعورية، والاعتقادية، والعملية لجماعة المسلمين.

وأشد ما يخيفهم، ويقض مضاجعهم، قضية الاتصال المفترض بين أفراد الطائفة والمجتمع المسلم المحيط، فمن أجل ضمان عزل طائفتهم وإبقائها في دائرتها المنغلقة، لا يفتأ زعماءؤهم يحدرون، ويذكرون بالعهود والمواثيق، التي تحرم قطعياً كل صور الاتصال بأمة الإسلام، اللهم إلا ما كان من المعاملات اليومية الجارية كالبيع والشراء ونحوه.

تأمل فيما كتبه: محمد برهان الدين، إلى أبناء طائفته في اليمن في هذا الجانب:

"اعلموا يا أبناء دعوتي أن من أخل بشرط من شروط العهد ونقضه فهو ناكث العهد، خارج من سلك الإيمان والعقد (١)، واعلموا أن البراءة من الأعداء، وترك مجالستهم، ومواصلتهم في أي حال من الأحوال شرط من شروط التعهد، فلا يجوز مواصلتهم بأي صلة وبأي حال في الحل والعقد، فمن اتصل بهم وواصلهم في أي حال من الأحوال، فقد أخل بشرط من شروط الميثاق ونكث عهده، واستحق سخط الله، وأن الله شديد المحال" (١).

"واعلموا أن مخالفي الحق هم إخوان الشياطين - (يعني: المسلمين) - وجنود إبليس أجمعين، فجانبوهم واجعلوا البراءة منهم لكم جنة، لتعيشوا في أرض الدعوة بنفوس مطمئنة".

(١) "هدايات الدين المضيء" رسالة إلى أبناء الطائفة في اليمن كتبها عام - ١٣٩٧هـ (ص: ١٣).

وهذا التهويل والترهيب، والوعد والوعيد، لمن فكر في موالة المسلمين منهم ليس سوى نموذج مصغر، لنماذج أخرى عجيبة، وردت على لسان دعاة آخرين، ولو تيسر لك قراءتها لوجدت كم هو عجيب أمر هذه النحلة التي تدعي الانتماء إلى الإسلام وجماعته، في الوقت الذي تشدد على تمزيق عرى الإسلام، وتقطع كل أسباب الصلة والاتصال بالمسلمين، بل يعتبر حبل الشيطان في نظرهم هو الاتصال بالمسلمين اتصال ولاء ومودة.

وتجد علماء المذهب ورجاله الكبار، يبدرون في نفوس العوام منهم عقدة الكراهية ضد المسلمين بعامه، ويثون لهم جراحات الماضي، وعلاقات العداء التاريخية، والحروب المريرة التي نشبت بينهم وبين المسلمين، ويقولون: إن اليهود والنصارى أهل كتاب هم أفضل من المسلمين [الكفار]، واليهود والنصارى أقرب مودة إليهم، ولذلك اعتمد الفاطميون على أهل الكتاب في تسيير دفة الحكم، وكانوا اليد اليمنى لهم في قمع المسلمين واضطهادهم، وبقيت العلاقات الحميمة مستمرة حتى اليوم بين الإسماعيليين وأهل الكتاب، وقد عكست زيارات البهرة المستمرة لإسرائيل منذ وقت مبكر، وكذا زيارة المنظمات الغربية، دليل على الانسجام التام بينهم، ووحدة الغاية والهدف، ونظرتهم المشتركة ضد المسلمين.

ومن عقيدتهم عدم تزويج المسلمين من غير طائفتهم، وعدم التزوج من المسلمين لأنه لا يصح - في نظرهم - تزويج الكفار أو التزوج منهم، وعند عدم وجود مجال للتزوج منهم تزوجوا من اليهود والنصارى كما يبيحون تزويج أهل الكتاب إذا اقتضى الأمر ذلك.

أما من تزوج من المسلمين مهما كانت الضرورة فإن أولاده عندهم يعتبرون أولاد زنا، ومعاشرته لزوجته المسلمة يعد سفاحاً، لأن الزواج - في نظرهم - غير شرعي وباطل^(١).

ومن قرأ منهم في كتب المسلمين الدينية والمرجعية، فإن عليه أن يغتسل سبع مرات، مع كل مرة يؤخذ العهد عليه بعدم مخالفة المحضور في قراءة كتب المسلمين، لأن قراءة كتب المسلمين - عندهم - إذا وقعت في قلب القارئ، فهي مثل أن يولغ الكلب في الإناء، لذا لزم الغسل سبع مرات، كما أن معنى الخمر في التأويل الباطني عندهم إنما يعني قراءة كتب المسلمين، والزنا هو اطلاع المسلمين على كتبهم، أي: كتب الحقائق السرية.

وإذا قتل الإسماعيلي مسلماً، فإن الإسماعيلي (المؤمن) لا يجوز أن يقتل (بكافر) - كما يعتقدون -، ولذلك يدفعون عشرات الديارات حتى لا يقتل الإسماعيلي بمسلم، إلا إذا غلبوا على ذلك، وأجبروا عليه جبراً.

ويعنون أتباعهم بظهور الإمام المستتر (القائم) الذي هو المراد بيوم القيامة عندهم، وهذا القائم هو الذي سيتولى ضرب أعناق المخالفين لهم [أي: المسلمين] وسيقوم المؤمنون [أي: الإسماعيليون] بأخذ ثاراتهم من المسلمين مع هذا القائم، وسيصبح حال المسلمين يومئذ كالأنعام التي تذبح قرباناً لله في يوم عرفة، فأمثال الخلفاء الذين اغتصبوا الخلافة على الإمام وحججه، أمثال الإبل وأمثال أعوانهم من الملوك، والرؤساء، والعلماء، أمثال الأضحية من البقر، وأمثال بقية المسلمين أمثال الكباش، ويكون الأجر بقدر الأضحية التي يقدمها المؤمن منهم^(٢).

(١) هذا ما ذكره الشيخ/ غالب علي محسن الذي خرج منهم، وذلك عبر مقابلة تحريرية مطولة.

(٢) نفس كلام الشيخ المذكور، وواقع كتبهم، وكتب التاريخ.

وعلى هذا لا يجدون أي قاسم مشترك بينهم وبين بقية المسلمين إلا علاقة العداة والقطيعة التامة، فالجتماع المسلم - واليميني بالذات - ينقسم - في نظرهم - إلى: كفار ومشركين، أما الكفار: فهم أهل السنة، لأنهم كفروا بولاية علي، وأما المشركون: فهم الشيعة من الزيد، لأنهم أشركوا مع علي الخلفاء كأبي بكر وعمر وعثمان، وأقروا بولايتهم ولم يكفروهم.

على أنهم مع ذلك قد يضطرون إلى استعمال التقية، ويظهرون لغيرهم من البشاشة والمودة ما لا مزيد عليه، وقد يحضرون صلاة الجماعة مع الناس، ولكنهم عندئذ يعتبرون إمام الصلاة كأحد دعائم المسجد، يقفون خلفه للتمويه والتقية فقط.

الباب الثاني

الإسماعيلية

مشاهد من واقع الإنسانية العذبة

أولاً: ممارسات النائب المفوض من قبل
السلطان مع أفراد الطائف.

ثانياً: من مظاهر التمرد الجماعي من أبناء
الطائفة على سلطة المذهب.

الفصل الثاني

الإسماعيلية

(مشاهد من واقع الإنسانية المعذبة)

أولاً: ممارسات النائب المفوض من قبل السلطان مع أفراد

الطائفة :

يعتبر المجتمع الإسماعيلي من أكثر المجتمعات المحافظة انغلاقاً، وأشدّها انعزالية، نتيجة كثرة الضوابط الاحترازية، التي وضعت لتحول دون النفاذ إلى عمقه وسير أغواره، ولتمنع -أيضاً- أتباع الطائفة من الانصهار في المجتمع الإسلامي المحيط، فيصبح عالمهم الفكري والحياتي عالم يسوده الغموض، ويكتنفه هالة من الاحتياطات السرية الكثيفة.

وتبدو طائفة "البهرة" الداودية الأكثر غموضاً وتعقيداً من بين الطوائف الإسماعيلية الأخرى، يعود ذلك إلى صرامة القبضة الحديدية للسلطان على الطائفة، وإلى السلطة البوليسية القمعية، التي منحها لنوابه، ومأذونية وهم الزعامات التنفيذية، التي تضطلع بإدارة شؤون الطائفة في أماكن تواجدهم في الأقطار المتفرقة المعروفة، والتي تعتبر حلقة وصل بين القمة ممثلة بـ(السلطان) الإمام المطلق، وبين القاعدة: جمهور الطائفة العاديين.

وعن طريق هؤلاء النواب يتم رصد حركة هؤلاء الأفراد رسداً دقيقاً، فما ظهر من مشاكل دنيوية، بادر النواب إلى حلها بشتى السبل، حتى لا يلجأ الأفراد إلى جهاز السلطة، ويلجأون إلى الدوائر الحكومية إلا أن تكون المشكلة قد تجاوزت

حدود السيطرة، وتعتبر الخصومة عندئذٍ قد دخلت مرحلة خطيرة من التشفي والكيد، أي أن أحد أطراف المشكلة لا يدفع صاحبه إلى طرف الحكومة إلا لإغاضته، وإثارة حفيظته، لأن الامتثال لسلطة القوانين السائدة مسألة استثنائية وحساسة لدى الإسماعيليين.

ومن مهمة النواب، هو القيام بدور السلطة التنفيذية لحل المشاكل، وتحذير أتباعهم من مغبة الخصومات الكيدية التي تضطربهم إلى قوانين البلاد المخالفة لأسس المذهب، وإلى الأدوات الغير شرعية، في نظرهم.

وقد عزز السلطان نائبه بتشكيل ما يسمى بـ "جهاز الإصلاح" من كبار أعيان الطائفة ليصبح هذا الجهاز رافداً قوياً للنائب في سلطته المحلية، ومن خلال هؤلاء يستطيع بسهولة القيام بمهمة الضبط والربط، لأن طاعته تصبح مفروضة عليهم. هذا ما يرتبط بالمشاكل الاجتماعية العادية، كالقضايا الجنائية والعلاقات الأسرية العامة وغيرها.

أما ما كان من المشاكل العقائدية أو ما يتصل بالولاء للإمام، فهانها موضع المسؤولية الخطيرة، التي تقلق النائب وتدفعه إلى حالة الاستنفار وتشغيل أدواته القمعية لدفن المشكلة حال ولادتها.

فإذا ظهر من أحدهم رغبة في معرفة بعض مسلمات المذهب، أو بدرت منه أسئلة استيضاحية تدل على ميول تحرري، ونزوع فكري إلى معرفة الحق من الباطل، أو نددت منه عبارات استنكارية على بعض الطقوس الوثنية والشركية، أو ظهر منه ما يدل على عدم رضاه بالسلطة الدينية وممارستها، في مثل هذه الحالة يرسل النائب من خواصه ورجالاته المقربين والمعينين من السلطان -أيضاً- من يصبون على ذلك الرجل شتى عبارات التقيح والتوبيخ التي تصمه بالفضولي

المتعجرف، الذي يظن نفسه أعلم من الإمام وأحكم من حكماء المذهب وفلاسفته.

وغالباً ما يكون هذا الهجوم الكلامي الشرس -الذي لا يخلو من التلويح بما هو أدهى وأمر إن لم يبادر ذلك المغرور بالتوبة النصوح- أقول غالباً ما يكون كافياً لأن يعلن العزم على عدم العودة إلى مثلها.

أما إذا واتته الجرأة على التمادي في موقفه وعدم الانصياع لتلك التهديدات، أو استرسل في تصرفاته التي يجرمها المذهب، سواء كان فرداً أو جماعة، فعندئذٍ يكون رد السلطات العليا رداً حازماً حاسماً بالغ القسوة.

فإذا كان فرداً جرعه مرارة التمرد والعصيان، من خلال الحرب النفسية والاقتصادية والإيذاء الجسدي، وإدخاله في حالة من الموت البطيء، حتى إذا وجدوا أنهم أشفوا غليلهم منه، ولقنوا أتباعهم من خلاله دروساً بليغة، [تصرفوا بحكمة حكيمة للتخلص منه].

هذا بعد أن يكون قد صدر في حقه فتوى بالتكفير والخروج من الملة، وأنه مرتد حلال الدم، وأعلنوا القطيعة ضد أهله جميعاً حيهم وميتهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

وبالرغم من فاعلية هذه الإجراءات الصارمة التي تشبه محاكم التفتيش في الحد من ظاهرة الاحتجاج والتمرد، إلا أنهما مع ذلك لم تخل بتاتاً دون خروج الأعداد الكبيرة من طائفة البهرة، كما يظهر من خلال التمردات الآتية:-

ثانياً: - من مظاهر التمرد الجماعي من أبناء الطائفة علي سلطنة المذهب:

١ - حركات التمرد في الهند:

عندما يظهر الاحتجاج والتمرد من جماعة، فإن الزعامة "البهريّة" لا ترى غطاطة في أن تتسع نطاق الحرب القمعية، لأنها تغار أشد الغيرة على سلطاتها الفردية المطلقة، وأياً كانت صفة المحتجين، أو نوع احتجاجهم، ومشروعيته من عدمه، فإن الاحتجاج بحد ذاته في نظر هذه الزعامة -عدوان صارخ لا يقبل المساومة، بل حتى التصرف في أي أمر من الأمور دون استئذان (الحضرة العلية)- جلّ ذلك الأمر أو دقّ أيضاً تعدّ سافر لا يجب أن يمرّ دون العقاب الشديد والاضطهاد والتعسف.

وفي العصر الحديث ظهرت بعض الدعوات الإصلاحية في الهند من شريحة المثقفين والتجار، على أمل أن تنال الطائفة بعض الحرية الآدمية من قبل السلطان، وكان ذلك في عهد زعامة "ظاهر سيف الدين" الإمام المطلق الواحد والخمسون والـد الدكتور: محمد برهان الدين، ومن قبله، فكان أن جرت عليهم هذه المحاولة ألوأناً من التعسف والتنكيل، وبصورة تفوق الوصف.

وإليك ما ورد في بحث حول طائفة "البهرة" نشر في مجلة "المجتمع"^(١) الكويتية "العبدالله الراشد" ننقل منه فصل "الاحتجاجات" التي ظهرت من بعض أتباع الطائفة، وكيف كان الرد عليها من قبل السلطان، والتصرف تجاهها:

"منذ حوالي قرن من الزمان والمثقفون من طائفة البهرة يمثلون نسبة ضئيلة من التعداد العام للطائفة، ومع ذلك فهم يقدمون الاحتجاج تلو الاحتجاج على

(١) مجلة المجتمع الكويتية: عدد ٤١٧ سنة ١٣٩٨هـ.

عمليات الابتزاز التي يمارسها الداعي، وتتفق معظم الاحتجاجات على المطالبة بتدقيق حسابات الداعي المالية وصرفها في الأمور التي تعود بالخير على أبناء الطبقة المحرومة من الطائفة، والاحتجاج الأول على الصلاحيات المطلقة قدم عام ١٨٤٠م، حيث قام به أحد أفراد العائلة الحاكمة ويدعى (عبدالقادر نجم الدين)، إلا أن الداعي سرعان ما تمكن من إسكاته بتوزيع الألقاب عليه وعلى بعض أفراد الطبقة الحاكمة، وزيادة مخصصاتهم المالية، وقام أحد أفراد الطائفة الميسورين ويدعى (إدماجي بربيهوي) في نفس الطريق من أجل تحسين المستوى المعيشي للطبقة المحرومة من الطائفة، فقام بإنفاق ٥٠ ألف روبية على فقراء الطائفة ومعدمها.

وبعد وفاته حمل مؤيدوه على عاتقهم لواء الإصلاح، فوقعوا عريضة من ذوي النفوذ من الطائفة وقدموها للداعي، وطالبوه بالإصلاح، فما كان منه إلا أن أعلن أن هذه الجماعة غير مرغوب فيها بين أفراد الطائفة، وفرض على أفراد الطائفة أن يقاطعوهم مقاطعة جماعية، فمنهم من رضخ لأمر الداعي، ومنهم من ثبت على مبدئه.

وهناك الكثير من القضايا التي رفعت على الداعي في المحاكم، وأشهر قضية (شاندا باهي) سنة ١٩٧١م، ونظر فيها القاضي (مارتن) في محكمة بومباي العليا، وهي من أطول القضايا في تأريخ قضاء المحاكم العليا في الهند.

وظل لواء الإصلاح مرفوعاً منذ ذلك الحين، إلا أن موجة الاحتجاج قد أخذت طابعاً جديداً في أوائل السبعينات عندما قام الشباب المثقف من أبناء الطائفة في مدينة (أود يورد) باحتجاج ضد الدكتاتورية التي يمارسها الداعي الحالي، وكونوا جمعية أطلقوا عليها اسم (جمعية الشباب البهرة)، فأقاموا المكتبات العامة، وأنشأوا مصرفاً تعاونياً لخدمة المحرومين، ووصلت الحالة إلى درجة الغليان عندما

ترشح أربعة أعضاء من أعضاء الجمعية للانتخابات البلدية في مدينة (أوديور) لمنافسة أربعة مرشحين، اختارهم الداعي الحالي بنفسه، وفاز مرشحوا الجمعية بأغلبية ساحقة، ونحس ممثلوا الداعي تلك الانتخابات، بالإضافة إلى ما دفعوه من رسوم الترشيح.

فقام الداعي بإصدار مرسوم بحل جمعية شباب البهرة، وصرح أحد أعضاء الجمعية بأن الداعي حاول رشوتهم وشراء ضمائرهم قبل إصدار مرسومه، إلا أنهم رفضوا وقاموا بإجراءات الداعي واستمروا في عملهم الذي قاموا من أجله.

وفي شهر شباط عام ١٩٧٣م أرسل الداعي (د/ محمد برهان الدين) ابنه الأمير (جوهر) إلى أوديور، لينهي حركة الإصلاح، فقابل أعضاء الجمعية، ووعدهم بإجراء التغييرات التي تعود بالخير على أبناء الطائفة، وكون مجلساً من مائة عضو معظمهم من المتزمتين من أهالي أوديور، وكان هذا المجلس بالطبع مسيطراً عليه وخاضعاً كل الخضوع لأوامر الداعي.

فقام خمسون رجلاً مسناً في ٢٩ شباط، وقابلوا الأمير جوهر وطالبوا بإعادة النظر في المجلس، فأوعز الأمير لأتباعه بضرب الخمسين رجلاً، وبعدها توجهت الآلاف من أبناء الطائفة إلى الأمير، وطالبوا أن يؤسس المجلس على النحو الذي يراه أفراد الطائفة المحرومين، لا كما تريده الطبقة الحاكمة، وبالفعل استطاعوا بمساعدة الحكومة الهندية من الضغط على الأمير، فأصر بحل المجلس.

وفي الأول من شهر آذار عام ١٩٧٣م ضرب عدد من المصلحين في بلده (جبا لكوت) ضرباً مبرحاً بينما كانوا مجتمعين للتباحث في بعض الأمور، حتى أن عائلات هؤلاء وأطفالهم لم يسلموا من الأذى، وأعلن الداعي عليهم الجهاد،

وطالب أفراد طائفته بمقاطعتهم بقسوة، وهدد كل من يقف إلى جانبهم أو يتفوه بكلمة عطف تجاههم بأن يتعرض لنفس المصير.

حتى أن ١٢٠٠ شاب من المصلحين لم يستطيعوا الزواج لأن الداعي فرض عليهم حصاراً، بإيقافه إصدار تصاريح الزواج، وكل هذه المخازي حصلت بسبب أن هؤلاء الشباب طالبوا بحقهم في إقامة جمعيتهم التي تنادي بالإصلاح وخدمة المحرومين.

وهذه الحركات الإصلاحية عرّت الابتزاز والتسلط الذي يقوم به الداعي، وفتحت عيون الكثير من أفراد الطائفة على حقيقة الداعي المرة، وحاز مطلب المصلحين على تأييد جارف من أبناء الطائفة، وهذان المطلبان هما:

١- ضبط وتدقيق أموال الداعي، وصرفها فيما يعود بالخير على أفراد الطائفة المسحوقين.

٢- عزل الديكتاتورية الحاكمة، وانتخاب المؤهلين من أبناء الطائفة بدلاً منها لرعاية شئونهم.

وهذه المطالب أثارت العائلة الحاكمة، وواجه الداعي بكل ما يستطيع من قوة لاحتواء هذه الحركة والقضاء عليها في مهدها، لكيلا يفلت زمام أفراد طائفته منه وليظلوا مسخرين له.

والمقاطعة الشعبية الاجتماعية من أمضى الأسلحة في يد الداعي، وقد استغلها بكل خبث ولؤم.

وقد ابتكر سلاحاً أشد مضاء من سلاح المقاطعة الجماعية، ويسمى البارات، وتطبيقه أشد بكثير على الفرد من تطبيق قانون المقاطعة الجماعية بكثير، فالذي يصدر بحقه هذا القرار يعاقب عقاباً نفسياً، بالإضافة إلى أنه يجبر جميع الناس بالقوة حتى أقرب المقربين إليه على قطع علاقتهم به، وقد تسببت البارات في انهيار

عائلات بأكملها، وكل من يقوم بالاحتجاج حالياً ضد أي فرد من أفراد العائلة الحاكمة لا بد له من الاعتذار تحت تأثير التهديد بالبارات، وكلمات الاعتذار بحد ذاتها فيها إهانة كبيرة للكرامة والنفس البشرية.

وقد وقعت حادثة منذ وقت قريب، ترينا كيف تعامل العائلة الحاكمة أفراد الطائفة بقسوة بالغة، وكيف أن حقوقهم المشروعة مهضومة، فبتاريخ ١١/١٠/١٩٧٧م توفيت سيدة عمرها ٦٥ عاماً، تدعى (سو جرابي) في مدينة همناجر بولاية جوجارت، ولم يسمح لأقاربها بدفنها، لأن زوجها (أكبر على سليمان جي مكاني) والبالغ من العمر (٧٣ عاماً) والذي لا يزال على قيد الحياة قد شارك في مؤتمر للمصلحين قبل خمسة وعشرين عاماً، مع أنه قدم الكثير من الاعتذار، إلا أن شبخ البارات لا يزال يطارد باقي أفراد عائلته.

وبعد تدخل عضوتي البرلمان المركزي في دلهي في الأمر، السيدة رانجنكر والسيدة لاجور، وافق الداعي الحالي على دفن الجثة بعد تعفنها على ألا يحضر الجنازة كل من زوجها وأولادها، أو أي فرد من أقارب المتوفاة، وعلى أن تدفن دون أن تقام عليها صلاة الجنازة، وأن تدفن من غير كفن، ولم يستطع أي فرد أن يحتج، أو يعارض، أو يجادل في هذا الشأن.

وخلاصة القول: أن الإسلام هو أول من نادى بالمساواة الاجتماعية لجميع الناس، وبعد ثلاثة عشر قرناً من الزمان يوجد هناك من يدعون الإيمان والإسلام.. ويقومون بإهانة الكرامة الإنسانية باسم الإسلام.

والمطلوب من جميع الجمعيات الإسلامية الوقوف في وجه هذه الانحرافات اللاإسلامية.

إنها باختصار ردة، ولا أبا بكر لها.

- حقائق وأسرار يذيعها التائبون حول سلطة المذهب :

ومن "يركريسو بمبي الهند" وقعت أيدينا على رسالة استغاثة من طائفة البهرة هناك، من ممارسات محمد برهان الدين، ضدهم، تحس فيها أنين الإنسانية المعذبة في القرن العشرين، ومن أناس يزعمون لأنفسهم العصمة من الخطأ، ويدعون انتسابهم لدين الرحمة والعدل، في حين أن ممارساتهم لا تفصح إلا عن جيروت فرعون، ولا تذكر إلا بمحاكم التفتيش والقرون الوسطى.

والوثيقة الآتية مرفوعة من جماعة منهم في كراتشي، والجامعة السيفية، ومن (بني آدم علي)، وقد خرجوا يومها من المذهب بالألوف، ولكنهم تحت السحق وتواطؤ الحكومة مع السلطان هناك عادو مرغمين إلى مذهب الشرك.

وهذه الرسالة المرفوعة إلى علماء المسلمين من قبل هذه الجماعة:

وثيقة رقم (١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

اذكروا، وافتكروا، يا إخواننا المسلمين وارشدونا إلى الحق اليقين

السلام عليكم:

نحن أفراد فرقة البهرة الداودية التي هي فرقة صغيرة من فرق الإسلام، وفي بمبي (الهند) مركزها.

نحن نعرض لديكم بعض تلك الأعمال التي يجرنا عليها سيدنا محمد برهان الدين ونعتقد يقيناً أن هذه الأعمال ليست من الأعمال الإنسانية [بله] أن تكون من الأعمال الإسلامية، مع ذلك نعرضها لديكم لتفتكروا، وتذكروا فيها، وترشدونا إلى لصواب:

١) صدر إلينا حكم سيدنا المذكور أن نعلق تصاويره وتصاوير والده المرحوم السيد طاهر سيف الدين في بيوتنا ودكاكيننا، وبمجمعاتنا الدينية والدنيوية حتى المساجد، وبأمر سيدنا يكون التفتيش لذلك، فأى دكان أو بيت أو محفل لا يكون فيه تصاويره يعذب أهله بالبراءة والمقاطعة الاجتماعية تعذيباً، يرتجف منه القلوب، ومن الأسف كل الأسف! أن تلك التصاوير تزين بالأزاهير، وتبخر، والنساء يظفن حولها ويعظمونها.

٢) في محلة بندي بازار (بمبي) كان لنا مسجد يسمى "نور مسجد"، وبني سيدنا في جنبه مزار والده المرحوم، ويشيد على قبره قبة شامخة ممردة بالذهب والجواهر الثمينة، فلأجل توسيع الفضاء حولها، هدم "نور مسجد" مظهراً أن قبة والدي أعظم حرمة من المسجد.

٣) لقد أجرى أخوه خزيمة في المدارس لتعليم الصبيان قاعدة رتب فيها الحروف المحيائية ترتيباً خصوصياً، أظهر فيه شائات والده على هذا المنوال، مثلاً:

أ: أب مشفق: طاهر سيف الدين، ك: كعبة المصلين: طاهر سيف الدين خ:
خير الأنام: طاهر سيف الدين، ق: قاضي الحاجات: طاهر سيف الدين، على
هذا.

ولا شك في أن مثل هذه الألقاب لا يخص بها إلا الله تعالى العظيم أو رسوله
الكريم ﷺ.

٤) يأمرنا سيدنا تأكيداً جزماً أن نسجد بين يديه، ونحضر لديه حبواً، ونقبل
يديه ورجليه، ممرغين حدودنا لديه، حتى النساء المستورات يجرن على هذا الفعل
الشنيع فيسجدن لديه...، ويقبلن يديه ورجليه، ويمرغن حدودهن متبرجات بزينة
ما أفحشنا...، مع علم اليقين أن السجدة، والتعفير لا يجوز إلا لله الواحد القهار.

٥) لا يأذن لنا سيدنا لعقد النكاح إلا بعد جهد جهيد، وبذل مال وافر،
عتيد، غير زهيد، ويقول: كل نكاح يعقد بغير إذني حرام وفاعله مرتكب زنى،
وأي شخص منا عقد نكاحه قاضي المسلمين، فهو يعذب بأمر سيدنا بالبراءة،
والمقاطعة الاجتماعية، ويخرج من المساجد والمجالس، والمجتمعات الدينية والدينية
ولا يدفن الميت في المقابر، وفي (أودي) (الهند) -الآن- منذ سنتين: ثلاث مائة من
ذكور وإناث منتظرون لإذن سيدنا للزواج، ولكنه لا يأذن إطلاقاً قائلاً إنهم:
كافرون!! والله يعلم أنهم مسلمون، مؤمنون بالله واليوم الآخر، وكفى بالله شهيداً.

٦) ولأجل هذا كم من جثة ميتة أخرجت من قبرها، مثل جثة امرأة تسمى
(أمة الله) زوجة (علي أدجي بربمائي) أخرجت من قبرها، وطرحت على شفيره
عريانة...، والآن بتاريخ الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٧٤م، لم يأذن سيدنا

لدفن بنت صغيرة، بنت ثلاث في مقبرته، وما كان ذنبها إلا أن نكاح والده (عاشق حسين) كان عقده قاضي المسلمين.

(٧) سيدنا يجمع أموال الزكوات، والفطرة، والخمس، والصلة، والكفارات وغيرها، ويستأثر بها وينفقها على أهله وعشيرته، بل ينفق هذه الأموال المقدسة أموال المؤمنين في شراء الأتيلات (الفنادق)، مثل (أمبيسدر اتيل) (عميء)، ويشرب فيها الخمر، ويكون فيها الرقص العرياني، وأقسام اللهو واللعب والحرمات، وكل هذه الملاهي والمناهي يستحيزها سيدنا وأهل بيته "سلطان برادرس" ويزعمون أن خلفاء الإسلام والأئمة استباحوا مثلها (معاذ الله).

(٨) وبأمر سيدنا تجمع الأموال الضخمة ألوف ألوف للمصانع، والقباب الشاحجة المبنية على القبور، والضرائح وفي مجالس ذكر الله في المحرم الحرام، وشهر رمضان تجيء تلك الأموال جبراً...

وتقام الخاتم على اسم والده المرحوم، يجبر المؤمنين على صلاة ركعتين على نيته في يوم عاشوراء وليلة القدر، ومن لم يفعل ذلك يعذب بالبراءة والمقاطعة.

(٩) لسيدنا عشرون مصنعاً كبيراً في الهند وفي غيرها من البلاد الباكستان وغيرها مثلها، ولأجل إجرائها هو يأخذ ألوف، وألوف ربائي من البنوك، مع أن الربا محرم.

(١٠) ادعى والده "طاهر سيف الدين" في العدالة الهندية في منازعة "جاندة بهائي كله كيس" دعوى كاذبة وهي أن له حقاً في تبديل القرآن والحديث، وأنه إله في الأرض وأن له اختيارات مثل اختيارات الرسول النبي الكريم ﷺ (معاذ الله).

(١١) يعلمنا سيدنا أن الطواف ببنته الواقع في (عمبي) وهو "سيفي محل" كالطواف بالكعبة الحرام، ويقول -أيضاً- أن تقبيل يده كتقبيل الحجر الأسود، وأن زيارته تساوي الحج وزيارة المسجد الحرام في المدينة المنورة.

(١٢) يأخذ البيعة من أتباعه من كل ابن و بنت يبلغ خمس عشر من عمره، مستوثقاً منهم أنه هو الداعي المطلق، وقبول أوامره ونواهيه واجب، وهو مالك رقاب الجميع، ومالك أنفسهم وأموالهم كلياً، وعند معصيته في أي أمر تحرم على العاصي أزواجه وأمواله بل تستباح، وهو مستحق دخول النار.

(١٣) يأخذ الموضع (المخصص للدفن ويأخذ..) إلى أربعين ألف ليأذن للدفن فيه، مع كون الأرض (مخصصة) من الحكومة الهندية مجاناً ومباحاً عمومياً.

(١٤) هذا وليس لأي شخص منا أن يسأل سيدنا عن أسباب هذه الأعمال والأحكام المذكورة الشنيعة، بل يعمل عليها طائعاً أو مكرهاً، وإن سأل أحد منا عذب بالبراءة والمقاطعة الاجتماعيه، ويؤذى بكل الإيذاء لعناً وطعناً وسباً وشتماً، وضرباً وطرداً، وسلباً لأمواله وهتكاً لحريمه وتطليقاً لزوجته، وتطليقاً لأزواج أولاده، وتفريقاً بينه وبين أحبائه وأقربائه، ومنعاً وإخراجاً من المجالس والمساجد والمقابر والمزارات، ومنعاً للدفن لجثته في مقابر البهرة الداودية، وإن دفنت أخرجت جثته من القبر.. ومنعاً عن النكاح حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، ولقد تفاقمة هذه الكارثة إلى مبلغ عظيم إلى أن طلباء الجامعة السيفية (سورت الهند)، فعلوا كل هذه الأفاعيل مع أساتذتهم العلماء الفضلاء الأربعة مع كونهم خدموا في نشر العلم والأدب إلى خمسين سنة حتى قتلوا أستاذ الأساتذة الشيخ (سجاد حسين شهيد) وهو ابن تسعين سنة، ضربوه، وشدخوه، وكسروا ضلعه، وفتقوا كبده حتى توفي في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٩٤هـ في سورت رحمه الله وغفر له.

ولم يقتنع أتباع سيدنا على هذا حتى ضربوا أهله، وأولاده وأهل رفقائه الثلاثة، ونهبوا أموالهم، ونهبوا كتبهم، ونهبوا -أيضاً- كثير من الدكاكين، والبيوت في بمبيء وفي سورت، وفي أودي بور (الهند)، وبالخصوص في بلد كلياكوت، ضربوا النساء والصبيان، وهدموا الحرم هكتاً فاحشاً، وبالأخص في أودي بور في اليوم السادس من المحرم الحرام سنة ١٣٩٥هـ، دخلوا -أعني: أتباع سيدنا- في مسجد منتعلين، وقد أخفوا السكاكين والمدى في جيوبهم، فضربوا، وخذشوا، وشدحوا مئات من المؤمنين والمؤمنات، أطفالاً صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، مع كونهم مشغولين في ذكر الله وذكر الحسين -عليه السلام-، وهدموا حرمة المسجد أيضاً حتى ابتلت الفرش بالدماء، وكسروا الأمتعة، والأنبوبات الكهربائية في المسجد، حتى قتلوا واحداً منهم -رحمه الله وغفر له- والمقتول ابن خمس وتسعين، وكل هذا جرى بمحض من الشرطة المرتشين وإعانتهم، لأن الحكومة (الراجستانية) تدمرت سيدنا ومحاماة له، لئذله لها ألوف ألوف قتلاً للعدل والإنصاف، ظلماً وعدواناً، ومثل هذه التهتكات والظلم والعدوان جارٍ الآن، ولا ندري إلى متى يجري!؟

(فيا إخواننا في الإسلام، ويا زعماء المسلمين، ويا علماء المؤمنين (العاملين) بالعدل والانصاف، والدافعين للظلم والعدوان (تفكروا) وتذكروا: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذريات: ٥٥)، واعلموا أن هذا قليل من كثير، غيض من فيض، واعلموا -أيضاً- أننا ملجم على أفواهنا كل إلهام، لا نستطيع أن نتكلم بمثل هذا ولو بحرف، لأنه أخذ علينا أشد الأخذ "أن كل قول وكل فعل من سيدنا هو الحق، وهو عين القرآن المجيد، والحديث الشريف، فلا يجوز أي شك فيه، ومحرم أن يسأل فيه أحد أي سؤال".

فالآن حضرنا لديكم مستغيثين استغاثة المظلومين المقهورين، موقنين أن تفتكروا في أمرنا هذا، وأن ترشدونا إلى عين الصواب.

هل نحن مصيبون في هذه الاستغاثة أم مخطئون ؟

فإن نكن مخطئين -أعاذنا الله من الخطأ- فاعفوا عنا واصفحوا، وإن نكن مصيبين فارشدونا وأغيثونا وخذوا لنا من الذين يظلموننا أخذ المنصفين، فهذه هي نفثة المصدورين منا معشر المظلومين والمظلومات، من المؤمنين والمؤمنات، ونحن إخوانكم المظلومين: ست مائة ألف من فرقة البهرة الداودية في الهند، وغيرها من البلاد الأفريقية والسلونية، والعربية والأوروبية، هذا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من برو كريسيو مسلم - بوتة ليك - بمبي الهند

في مطبعة علي بريس ماليكاؤن (الهند) ١٣/١/٧٥هـ

٢- حركة التمرد في اليمن:

بالرغم من الطاعة العمياء التي اشتهرت بها الإسماعيلية تجاه زعمائها، إلا أن شدة الوطأة وكثرة الضغط يؤدي إلى الانفجار في النهاية، ولم تكن الهندي وحدها التي شهدت هذا النوع من التملل في أوساط الطائفة البهريّة من زعمائها، فقد سجل أتباع طائفة البهرة في اليمن -أيضاً- موقفاً خطيراً في عهد الإمام يحيى، كسروا فيه قاعدة (طاعة بدون حدود)، واحترقوا حائط الصمت الرهيب، وأعلنوا براءتهم من المذهب والخروج عن طاعة الزعامة الهندية، والدخول في المذهب الزيدي، دون أدنى ضغط من أحد، كما أشاروا في وثيقة (البراءة) التالية، والتي اعتقد اليمنيون أنها حكم من الإمام يحيى بتكفيرهم وإجبارهم على الدخول في دين الإسلام، والواقع أن إعلان البراءة من مذهبهم وممارسات سلطاتهم كان اختيارياً، إذ لم يكن حال البهرة الداودية في اليمن بأحسن حالاً من إخوانهم في الهند من تعسف واضطهاد السلطان.

بل لقد شعر اليمنيون بالظلم من خلال التمييز العنصري، ونظرة الاحتقار والدونية التي يلاقونها من زعماء الطائفة، والتي تجعلهم في درجة أقل من الهندي الداودي، كما أفصحوا في سياق حديثهم عن أسباب الانعزال عن الكثير من ممارسات القمع والاضطهاد من سلطان البهرة، وعلى نحو مانلقاه في الوثيقة التالية:

توقيع محضر بدخول البهرة في المذهب الزيدي

وثيقة رقم (١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

نقول صح نحن الواضعين أسماءنا أدنى هذا الخط، بأنا دخلنا في مذهب إمام زماننا الإمام الأعظم المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن أحمد حميد الدين حفظه الله آمين، وارتضينا بالمذهب الشريف المنزه عن الزيغ والتحريف، برضانا واختيارنا، بعد أن عرفنا أن الحق الظاهر، والصراط المستقيم، هو دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأولاده الأعلام أئمة الحق والهدى الطاهرين، الذي هو على السنن المرعي والطريق الواضح المرعي، والنهج النبوي الذي لا غبار عليه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه، ودخلنا جميعاً كبيراً وصغيراً، ذكراً وأنثى، ورفضنا ما كنا عليه من المذهب الغوي، الذي رفضه غيرنا بسبب ما نالوه من الدعاة، فلسنا بأول من يرفض مذهب الداعي، فإنه قد رفضه قبلنا قوم آخرون، وهم بني "آدم علي" في عبيء، خرجوا من مذهب الداعي، وهم ألوف، وتحاكموا هم وإياه في محكمة الإنكليز، وغرموا جملة ملايين، وأظهروا مخالفته لسيرة الدعاة السابقين، وكبره، وتجبره، مع أن آدم علي كان أصلح الناس مع الدعاة السابقين، وأعرف بقوانين المذهب وهو الذي جعل الأوقاف الجسيمة والتقايا العقيمة للمذهب في جميع المحلات، مثل: جدة، ومكة، والمدينة، والنجف، وكربلاء، وبعبيء، فلما قام هذا الداعي أخذ الأوقاف، ومنع أن تصرف في مقتضاها وخالف خلافاً كلياً، وأتلف بني آدم علي وغرمهم، وأضرّهم، وطردهم، وضايق عليهم، حتى أخذ بيوتهم، وأملاكهم، وكلما راجعوه يجيب عليهم لوما بقي في الدعوة إلا ظاهر سيف، لتكبره، وتجبره، ولم يزل يعمل برأيه في المذهب كيفما أراد، وهذا هو السبب في

الخروج عن المذهب، كذلك أن أهل كراتشي وغيرهم خرجوا من المذهب بأجمعهم، وهم ألوف لما رأوا من مخالفته واستبداعه للأمر المخالفة لكتب الدعوة، فكان سبب خروجهم، وكذلك لما استبدعه لثلاث السجديات له إلى الأرض، سلام له في الدخول والخروج، ولم ينظر إلى المسلم عليه إلا بعد ساعة زمانية(1)، فهذا سبب خروجنا، حيث أن هذا مخالف أمر الله ورسوله، وأنه لا ينبغي السجود إلا لله سبحانه، وكذلك منع الحج على العرب، وهي في أيدي غيره، وأن أهل زنجبار وغيرهم، عجزوا منه أن يأذن لهم بالرخصة يعطوا العرب الحج فلم يأذن، وكذلك أن من أراد أن يحج لأبيه أو لأمه، فلا يمكن إلا أن يصلح بها إلى الداعي وإلا فلا، وهذا مخالف للشرع ولسيرة الدعاة السابقين، وأما نحن فقد جرى علينا منه أمور كثيرة، ومنها إرسال عباس الهندي، ومعه إسماعيل مران، لحصر أموالنا وبيوتنا، وجميع أملاكنا، وأيضاً تصوير بلادنا مع تصوير الرجال والنساء والأطفال(1)، وأخذ أسماء الرجال والحريم والأطفال، ثم ما كان من أخيه "صالح بهاء" بإهانتته الحجاج العرب، في جدة ومكة من أصحابنا في موقف الحج الشريف، وإهانتهم، حتى صار الهندي لديه في أعز مكان، والعربي في أخس موضع مهتان، وأيضاً منعه الطعام عليهم حتى تلفوا من الجوع(1)، وأنه أخذ الحج عليهم وأعطاهما من يريد من الهنود، وأنه كان يأخذ الحجة بنحو خمسمائة ريال أو ستمائة ريال، ويعطيها للعربي بمائة ريال لا غير بعد كلية الرجاء، وفي الآخر منع الحج على العرب، وأيضاً أنه أخذ الأموال من جدة ومكة وغيرها باسم العرب ثم يسير يلعب بها قمار، وحتى غرم نحو مائة ألف، ولنا بينة شرعية، فهذه الأسباب التي أوجبت تكديرنا وتفسيقنا، وعرفنا أن هؤلاء أبناء دنيا يريدون يذهبوا ديننا بالذهب لهم، والكبير والتجبر علينا، فالحمد لله الذي عرفنا الحق وأرجعنا إليه، ونشهد الله -

سبحانه- على هذا، بأنا من مولانا الإمام يحيى ابن محمد حفظه الله وإليه، وفي مذهبه، ودينه الشريف، ونبرأ إلى الله من كل ما خالفه باطناً وظاهراً، وظاهراً وباطناً، ومن عاد فينتقم الله منه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين.

وحرر بتاريخ ٣ شهر شعبان المعظم ١٣٥٣هـ.

شهدنا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

أسماء الموقعين - (من ظهر منهم):

عبدالله عبدالله شبام، علي ثابت علي، حسين حاتم الهماسي، علي خليل المري، ناجي حسن فتح، يحيى صالح فتح الله، الحاج علي علي هبة الظهر، علي علي حسن الظهر، هبة بن أهبة، هبة عبدالله المري، علي غالب الأحلسي، حسن محمد عبده (بأمرة) عبده حسين العميد، (هذا هو الواقع جميع مارقم أعلاه) حسن علي، (صح مارقم) وأنا غالب علي حسين محس الجبلي، عاقل محل الحطيب راشد علي الحطيب، أحمد هبة عاقل أكمة السوداء (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) (يوسف: ٨١)، محمد إسماعيل الأميني، محمد إسماعيل مصلح المري، (صح ما رقم) وأنا حسين علي هبة الظهر، محمد شغدر (بأمرة) صالح علي العروي، فتح الله نصر القيري، (صح ما رقم) أعلاه وأنا حسن يحيى مطهر، عباس أحمد شبام، الشيخ ناصر الأحلسي، حسن محمد عبدالحسين... (وغيرهم).

إلا أنه تحت القمع والسحق عاد جميع هؤلاء تحت سلطة السلطان مرغمين، لأن أحداً لم يستطع الوقوف معهم أو إنصافهم.

من مظاهر التحرر الفردي في اليمن :

كما ظهر في اليمن -أيضاً- حالات من التمرد الفردي، تمثلت بصورة أوضح من خلال شخصيتين خطيرتين من زعماء الطائفة ونوابها الكبار وهما الشيخ النائب: حسن النائب. والشيخ النائب: غالب علي محسن العزب.

ولكن كانت بداية تلك التمردات قد جاءت نتيجة فقدان الامتيازات، وتشابك المصالح القيادية، إلا أنها في النهاية قد كشفت لنا عن هشاشة هذا المعتقد، الذي يستند في القاعدة على مجرد العاطفة والجهل، ويعتمد في القمة على مجرد المنافع وتوزيع الغنائم، فإذا ما انتهى هذا العامل انتهى معه مبرر الانتماء، ويصبح الفرد عرضة لإعلان القطيعة عن هذا المذهب، والتوبة إلى الله من سوء مخازيه.

والنائبان المشار إليهما بلغ كل منهما درجة النائب المفوض للسلطان على طائفة البهرة في اليمن، وفي زمن متقارب، حيث تولى الشيخ/ غالب هذه الدرجة التنظيمية بعد حسن النائب.

وكانا معاً على حظ من الذكاء والعلم، ويشبهها بعضهما في الاعتزاز بالذات والنزعة الاستقلالية.

ورغم الزمن الطويل الذي أنفقاه في تمثيل هذه الطائفة، إلا أنه بقي تمثيلاً زائفاً، لاتسنده ذرة من قناعة بسلامة المعتقد، مثلهم مثل بقية زعماء الطائفة، فكل واحد منهم يظل أسير منفعته وحبس منصبه، وإن حس بإفلاس المذهب إلا أن يريق المال الوفير، وهالة القداسة التي يلقونها من العوام، تجعل الواحد منهم لا يفكر بغير المحافظة على هذه المنزلة الرفيعة، والحظ الوفير.

من أجل ذلك تجد رجالات الطائفة في صراع محموم، وسباق لاهث من أجل الظفر بهذا المنصب، (أي منصب النائب) السلطة المباشرة، ولأن السلطان هو

صاحب الحق المطلق في التعيين والعزل، فإن الآمال لا تزاول الشخصيات الكبيرة، في الحصول على ثقة الإمام لهذا المنصب.

فتجد الكل من هؤلاء الكبار، يتزلفون للسلطان ويتبارون في تقديم القربات والهبات وإظهار الولاء والطاعة له ولإفراد أسرته، ويبالغون في تصنع الحب والتفاني في الخدمة جرياً وراء رضي السلطان وانتزاع ثقته، وكلما اعتقد أحدهم أنه نجح في إرضاء الإمام، سار الآخر مغتاضاً للبحث عن عمل هو أَرْضَى - في نظره - للإمام من عمل صاحبه، وهكذا.

وترجع قصة الشيخ/ حسن النائب، والشيخ/ غالب علي محسن العزب، في بدايتها إلى نفس هذه الأسباب (كما نرجح) وإن كانت الأمانة التاريخية تقتضي منا التأكيد على أنها قد انتهت إلى حال من الانسلاخ التام عن المذهب، والمقاطعة الشاملة لطائفة "البهرة" وكما هو الحال بالنسبة للشيخ/ غالب - رحمه الله - الذي وجدناه في الأخير تائباً عابداً لله وحده نادماً على حياة الشرك ومناضلاً من أجل فضح هذه الفرقة، غير مبال بالسلطان وزمرته.

أ- الشيخ/ حسن النائب :

"النائب" الشيخ/ حسن "الظهرة" رحمه الله، الذي استفاد من دراسته في المعهد الديني في مناخة، قبل قيام الثورة والتي أعطته ما يشبه المناعة الفكرية من عقائد المذهب، الذي كان ينظر بنوع من التهكم إلى فلسفته التي يعارضها العقل وترفضها الفطرة، بدأت مواجهته مع زعامة الطائفة بعد أن أهملوه بالإستيلاء على أئمة خاص بالطائفة، وكان الهجوم ضده شرساً ومفاجئاً، بدأت بالتهديد والمضايقات النفسية والسطو على بعض أملاكه.

وفي شهر رمضان من عام (١٣٩١هـ) الموافق ١٩٧١م، جاءه نبأ عزله من السلطان "طاهر سيف الدين" بواسطة خليفه "فخر الدين" والحكم عليه بالإقامة الجبرية في منزله وعدم الصلاة في المسجد.

فكان لهذا النبأ وقع الصاعقة في نفسه، واستهوله وعظم عليه ذلك، لأن عزله لا يكون إلا نتيجة عدم رضی السلطان عنه، وعدم رضی السلطان يعني بالنسبة له بداية النهاية، وفتح باب المواجهة مع السلطان بجزوته والطائفة بإمكانياتها وعدتها، وعددها، فكان لا بد من أن يقف من سلطانه هذا موقف العبد الآبق، المعترف بالذنب، الخاضع لإرادة مولاه، الراكع المستغفر في محراب رجائه، والساجد في عتبات عفوه.

ومضى هذا "النائب" المخلوع يستجلب في التماسه عفو السلطان أدق عبارات الخضوع والتذلل، لعلها تبلغ من قلب مولاه مبلغاً يهون عليه -على الأقل- شروور هذا العزل وآثاره المترتبة، وما يكفل له العيش بسلام مع أهله وأولاده فيما تبقى من عمره، فكانت هذه الرسالة الاعتذارية العجيبة.

وثيقة رقم (١٨) ٧٨٦ (١)

بعد أداء ما يجب من السجودات العبودية، والتسليمات الرقية، في الحضرة العالية الطاهرة، ذات الأنوار الزاهرة، حضرة "ملاك" [والناس بمعبدها ملاك]، سيدنا ومولانا وباب حطتنا ومستجاب دعوتنا، ومحط ذنوبنا، ومكفر سيئاتنا، ومتجاوز عن هفواتنا، من جعله رحمة لنا، وقابل لتوبتنا، داعي الله الأمين، حجة أمير المؤمنين شمس الدعاة المطلقين أبي القائد "جوهر محمد برهان" أطال الله عمره الشريف إلى يوم الدين، وأدام لنا أيام سعادته في الدنيا والدين، وأمدّ رحمته علينا وعلى كافة عبيده المؤمنين. آمين.

بعد شريف السلام مع لثم الأكف والأقدام الطاهرات، ورحمة الملك العلام. هذه الأحرف القاصرة، العاجزة من عبده، وأحقر خوله، المذنب التائب المقصر حسن النائب، من اليمن، سائلاً مولانا جعلنا الله - من كل سوء - فداه.

مما وجب رفع هذه العريضة إليكم، بأنه وصل السيد الأجل، المبجل، فخر الدين (بها صاحب) في اليوم الثالث من شهر الله المعظم، وبلغنا أمركم الشريف (ط.ع) بالتحلي مع جميع أمور الجزيرة اليمنية، والصلاة في المسجد، والتوقف في البيت، وأنه نائباً من مولانا المنعم (ط.ع) في الجزيرة اليمنية، فتلقينا البلاغ بالسمع والطاعة والقبول والامتثال، شاكرين مولانا - جعلني من كل سوء فداه - حامداً له، داعياً، ومتوسلاً عقب الصلاة باسمه الشريف على امتحانه لعبده وعبده المملوك، معترفاً بالذنب والتقصير والخطأ، طالباً للنفو والرضى والمغفرة، قارعاً باب التوبة والإنابة ليلاً ونهاراً، لأن أمركم من أمر الله [عام وقصد] فأنت باب الرحمة للمؤمنين، وباب حطة المذنبين والمستغفرين قائللاً: (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ

(١) هذا الرقم يأتي بدل البسملة عند المسلمين، والظاهر أنها مجموع أحرف اسم أحد أئمتهم.

تُعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: ٢٣) فإن لم تغفر وترحم وتعفو، فمن يغفر ويرحم (!) فأى باب نقرع غير بابك (!) وإلى أين نرجع عن غيرك، فأنت موضع قبول العبادة، ومن لديك نتلقى الإجابة (!)، والمملوك قائم بالامتثال والطاعة تحت أوامر السيد الأجل فخر الدين (لها صاحب)، وبلغ إلى جميع محلات المؤمنين بالسمع والطاعة والقبول والامتثال، والمملوك قد رفع جميع الأخبار بجليها إلى الحضرة العالية ومنتظر قبول هذه الألفاظ الصادرة من لسان كليل، لا يقدر على شيء، فليس لنا سواك ملجأً ومنجأً في الدنيا والآخرة، متوسل إليك بأقرب الحدود وأفضلها لديك بالعفو والمغفرة، يا قابل التوبات ويا مجيب الدعوة يا أرحم الراحمين، ويا مجيب دعاء المستغفرين (!) هذا ما قدر المملوك على تعبيره، وأنت ولي الرحمة والعفو والستر.

وسلام الله عليك يا مولانا، وعلى آباءك الدعاة المطلقين (...). وأن يحشرنا معكم في الدنيا والآخرة آمين، آمين.

بعد السجودات والتعفيرات بالحدود ورحمة الله وبركاته من العبد الحقير المذنب المستجير لمولاه (ط.ع).

حرر نهار الخامس من شهر الله العظيم سنة ١٣٩١ هـ.

حسن النائب

فهل نجح هذا الالتماس، الذي ينضح بعبارات الكفر والخضوع والتذلل في ثني السلطان "طاهر سيف الدين" عما عزم عليه من إعلان الحرب ضد "حسن النائب" وأسرتة، وإعلان القطيعة الشاملة ضدهم، وإصدار الحكم عليهم بالكفر والمروق من الدين.

بالطبع لم تكن تلك الرسالة بمحتواها لتغير من غريزة التأله والاستبداد، والنهج الذي درج عليه هؤلاء السلاطين المتسلطين مع من صار شخصاً غير مرغوب فيه من عبيدهم الخاضعين أبناء الطائفة.

حيث سارت الأمور وفق النسق المرسوم للعصاة الذين لا قبول لتوبتهم في الفكر الإسماعيلي، فكان لا بد من مطاردة أسرة بيت النائب، هذه الأسرة التي نابت عن أئمة الهند الطلقاء مائة عام كاملة، وكان لا بد من اضطهادها بسبب جرم لم تقترفه.

وقوف بعض الأسر مع حسن النائب :

واستمرت المواجهة ضد أسرة آل النائب حتى بعد وفاة حسن النائب، وما لبثت أن شملت أسرة بيت نزار، وهي أسرة اشتهرت في شرق حراز بتوارث العلم الإسماعيلي، وتحضى بتقدير عوام الطائفة، واحترامهم، وذلك بسبب توافق الموقف مع بيت النائب، وهو ما أسخط السلطان، ثم طال سخطه -هذا- أنساجم من بيت الأحلسي، وبقيت أوامر "ظاهر سيف الدين"، وابنه "برهان الدين" تتوافد بحتمه الخاص، حرباً على هذه الأسر على مدار خمسة عشر عاماً.

ولم تكن هذه الحرب الشعواء لتستمر بعد موت النائب من طرف واحد، فقد انبرى للسلطان "محمد حسن النائب".

ومن بيت الأحلسي الشيخ إسماعيل الأحلسي الموظف برئاسة الجمهورية، والشيخ/ علي غالب الأحلسي، والأستاذ/ حسن أحمد الأحلسي.

وقد تبنى هؤلاء وغيرهم مهمة تعرية هذه الطائفة، وفضح ألعيب الهندي في اليمن وتحذير الحكومة منها، وكان من ضمن ذلك هذه الوثيقة التي وقعت في أيدينا، والمرفوعة من الشيخ/ علي الأحلسي، ومحمد النائب إلى رئيس الوزراء آنذاك وهو القاضي/ عبدا الله الحجري في عام ١٩٧٣ م.

وثيقة رقم (١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة رئيس الوزراء القاضي / عبد الله الحجري حياكم الله

تحية طيبة

وبعد:

لا يخفى سيادتكم أننا قد شكونا مما أحدثه الهنود في بلادنا من البدع اللادينية، ومما دعوا إليه من التفرقة، والحزبية العنصرية في صفوف المواطنين، وقمنا في وجه هذه البدع، احتساباً بالله ولوجه الله، وشكونا، وكررنا الشكاوى، وصدرت إلى عامل حراز من وزارة الأوقاف والمحافظه عطفاً على أوامر سيادة رئيس المجلس لتقصي الحقائق والعزم للكشف، والإفادة، غير أن العامل رمى بكل الأوامر الصادرة إليه عرض الحائط، ولم ينفذ أي أمر، عجز أن يقول للمبتدع: أنت مبتدع في الدين.

والواقع ياسيادة الرئيس أنهم -أعني: الهنود- يكذبون على الحكومة أنهم قد افتتحوا مدارس ومشاريع، ومستشفيات^(١)، حتى اطمأنت الحكومة، وفتحت لهم

(١) نفس ما يجري الآن يروجون في الصحف وفي احتفالاتهم أنهم يقومون بإنشاء مشاريع من هذا القبيل، وهذا الكذب المحض يجد له طريقاً إلى التصديق أحياناً في ظل جهل المسؤولين بما يجري، ويقول أحد كتابهم كذباً عن هذه المشاريع الوهمية التي يقيمها مولاة محمد برهان الدين: (فكم طرق عبدها، وكم جوامع أنشأها وكم من عمارات بحرية أقامها، وكم من مشاريع الري والزراعة أحرأها، وكم من مشاريع التربية المواشي والأغنام أوصى بها)؟؟ سبتمبر العدد (٨٧٠) لظاهر الحرازي فبالله أي كوكب غير أرضنا شهدت مثل هذه الخيرات التي لم نر شيئاً منها، كل ما فعلته هذه الطائفة لنفسها هو بناء: ١- فندق لأبناء الطائفة في الخطيب أو الفيض في صنعاء حدة. ٢- قصر محمد برهان الدين. ٣- مسجد مساحته حوالي (٦×٦) أمتار مربعة تقريباً ما فتح للصلاة أبداً. فهم علمانيون بالجملة لا يصلون إلا بعضهم ركعتين ركعتين، لأنتمهم من أولهم إلى آخرهم. حتى تعبيد الطريق إلى الخطيب تم على نفقة الدولة بتمويل البنك الدولي قرضاً ربوياً على حساب الشعب.

الأبواب على مصراعها، وهم يشعوذون على أبناء المنطقة، ويعلمونهم البدع المخالفة للكتاب والسنة ولعامة المسلمين، تحت ستار الدين وشعار الإسلام، فياغوثاه! ثم يا غوثاه! فالدين الإسلامي يطلبكم النصرة، والإسلام يصرخ هل من ناصر؟ هل من محتسب؟

أزيلوا من أرضنا البدع، وامحوا آثار الشرك بالله العلي القدير، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وأنتم يا سيادة الرئيس، في منصب يخولكم القيام في وجه هؤلاء المبتدعين، نصرة لله وللدين وللوطن، فالرجاء ثم الرجاء منكم أن تصدروا أمراً جازماً إلى عامل حراز بتحرير التقرير عما لمسه وكشفه، أو إرسال لجنة من لديكم لتكشف عن الواقع، ونحن إنما قمنا من أجل الدين، إحتساباً لله، ولوجه الله! والله يراكم والسلام عليكم.

الشيخ/ علي غالب الأحلسي

محمد حسن النائب

١٩٧٣/٣/٣١ م - ١٤١٣/٢/٢٧ هـ

وقوف المنتفعين إلى جانب السلطان ضد النائب وأنصاره :

وبقي فئة المنتفعين الذين يتدافعون على أبواب السلطان جرياً لكسب رضاه، ولو كان في ذلك إسقاطاً للرحمن أو كان فيه قطعاً للأرحام، فهذه النحلة لا تعرف رباً، ولا أباً، ولا أمماً، ولا أهلاً، وإنما تعرف شيئاً واحداً هو الإمام ولا شيء غير الإمام.

من أجل ذلك فقد بادرت نخبة من الزمرة الإمامية إلى رفع رسالة تأييد لمحمد برهان الدين على إجراءاته القمعية، التي استمرت من عهد أبيه ضد بيت النائب وكل من تعاطف معها، وتحدد له طقوس الولاء والطاعة كما ترى في هذه الوثيقة:

وثيقة رقم (٢٠)

عقب السجادات العبودية، والتسليمات الأدبية، في الحضرة الإمامية البرهانية الطاهرة. حضرة داعي الله الأمين، حجاب أمير المؤمنين، قرّة عين إمام المتقين، عمدة العلماء الموحدين، تاج الدعوة الطيبة الغراء، منصور اليمن، وسيدنا ومولانا ومنعمنا، شمس الدعاة المطلقين، الغرّ ووارث فضائلهم، ومحامدهم، وخصالهم الزهر أبي القائد "جوهر محمد برهان الدين" أطال الله فينا - إلى الأبد - عمره الشريف، وخلد سلطانه الفاطمي المنيف [...] الدين، وأقر عينه المباركة الشريفة في أعز أنجاله السادة القادة نجوم الدين. آمين.

مع تكرار واجب سجادات الشكر العبودية في الحضرة الربانية البرهانية (١) أدام الله تأييدها.

نعرض بأدب وخضوع، أننا سمعنا وعلمنا ورأينا عياناً ما أمدّ الله تعالى داعيه بإلهامه وتأييده في تطهير (الجزيرة اليمنية)!! ذات البركات السنوية من مناجس المناجيس الجاحدين مولانا ولي الله وداعيه أولاً، والعائنين في أرض الدعوة، والقاطعين السبل، والساعين فساداً ثانياً، والسالكين سبل أمثالهم المنافقين في الجامعة السيفية ثالثاً.

بأن عزل رئيسهم أصل النفاق والشقاق، فتركهم جذاذاً، فكان عن الأمر (مدحوراً) لولي الله مولانا ومنعمنا (ط.ع) فاستنشق المؤمن المخلص روح الحياة الطيبة، ونشأ الغرس الإيماني ببركة نظرات ولي الله داعينا (منصور اليمن) (ط.ع) وفعله الحكيم، فهنا نحن عبيدكم يا مولانا نشكر فضلكم الكبير على أبنائكم

المؤمنين، باجتثاثكم الشجرة الملعونة وقطعها، وإزالة الظلمة المدلهمة الكبرى، وإحلالكم البركات والسعادات في عصركم الميمون الذهبية، نبراً إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وإلى الأئمة الطاهرين، وإلى الدعاة المطلقين جميعاً، وإليكم خاصة، من ذلك المعزول الكافر، نعم، [المسمى] حسن علي الظهرة^(١)، ومن فعله وعقيدته، مستغيثين بكرمكم وفضلكم باجتثاث وقلع عروق تلك الشجرة الملعونة، وأغصانها وفروعها، رؤوس الشياطين، المستترين، المتظاهرين بالطاعة قطاع السبيل الإيمانية، المبتكين آذان الأنعام، المغيرين خلق الله، وهم عبد [الفقيه]، والشيخ عبد [الحميد] الزنديق، والشيخ علي حيدر نزار المارق، والشيخ أحمد علي إسماعيل الظهرة الفاجر، والجاهل، الأحق، الشيطان الرجيم، محمد حسن [...] المعتوه ومن إليهم ومنهم، وأشياعهم، وأتباعهم الضالين المضلين، وجماعتهم/ علي حسن قاضي [...] والشيخ الزنديق/ علي محمد الظهرة، وسحب الخدمة منهم، بل وإخراجهم عن دائرة المؤمنين لكي يطهر أرض الدعوة من رجسهم، وخبثهم، وعقائدهم، فلقد طال ما قتلوا^(٢) النفوس المؤمنة وقطعوا الرحم، وقلبوا العقول، وسلطوا آراءهم على أبناء الدعوة الإيمانية، وسبوا الدعاة المطلقين، واستهانوا بعلم آل محمد الطاهرين وبالحدود وبالفروض والسنن، وأهملوا المراسيم الدينية، والمجالس، وأجذبوا البلاد والعباد، وفجعوا وأوجعوا قلب مولانا المنعم في ولده عقيق اليمن وفي أمره برفضهم "الدستور"، وسبهم لحدود الدين [أي الدعوة]، المجاهدين طول حياتهم في إحياء رسوم الدعوة أمثال سيدي "نجم الدين" العليم الراسم حفظه الله، واستهانتهم بالحدود كسيدي "جوهر" بما صاحب و"مضر" بما صاحب و"يونس" بما صاحب وتخريبهم عقائد المؤمنين.

(١) المراد: حسن النائب.

(٢) المراد بالقتل هنا: إخراج الناس من طاعة الإمام.

فيا مولانا ويا مالكننا(!) إننا نبرأ إلى الله -تعالى- ثم إليكم من فرض أولئك أنفسهم، ومن أفعالهم النجسة، ومن أقوالهم الكاذبة، وآرائهم الفاسدة، مؤيدين هذا كله قول الله تعالى: (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) [كذا]... الخ.

ونبارك أمر مولانا (ط.ع)، ونشكره على إقامته نائباً جديداً في الجزيرة اليمنية وتقبل [الأمر من مولانا] (ط.ع) بالسمع والطاعة، منا بصدق نية، راجين بذلك فتح البركات، وشمول السعادات، والتي وصلتنا في عصركم الميمون الذهبي إلى كل أبناء الدعوة الهادية.

وها نحن نؤيد إخواننا المشايخ اليمنيين، الذين سبقونا بالبراءة، وطلبوا من الجزيرة الربانية عزل هؤلاء المناجيس المذكورة أسماءهم سابقاً، بل ابتداء منا، لأن فضل مولانا المنعم (ط.ع) الزم منهم، إذ نحن خدم مولانا المنعم (ط.ع).

فيا مولانا ويا منعمنا، وقفنا ببابك الطاهر، وفي حضرتك الإمامية، نستغفر تائبين مما جرى في جزيرتنا بسبب ذنوبنا، وبما جرى من سكوتنا هذه المدة الطائلة، وصبرنا على الضالين، ومستغفرين نادمين مما جرى في "جزيرتنا اليمنية" من رد أمر مولانا المنعم، ومع أن سيدنا "علي بن محمد الوليد" أعلى الله قدسه يقول: "لم لا تجيب على التحقيق داعيننا" فكأنه أعلى قدسه (رأى) إلى زماننا الحاضر، فلسوء حظنا، وعظيم ذنوبنا كان ما جرى.

لقد رجعنا يا داعي الله، ودفعنا أمرك العالي: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: ٢٣) نعم -والله- يامولانا! لو لم تغفر لنا هلكننا! فغفوا ثم عفوا، فأنت يا مولانا منار رحمة الله القريبة: (إن رحمة الله قريب من المحسنين).

بقلم عبد مولانا/ حاتم عبد الله الجبل

التوقيعات:

الشيخ/ أحمد الوزير

الشيخ/ عبد الله فتح الله

الشيخ/ غالب الجبلي

الشيخ/ [محمد] القري

الشيخ/ عبد الله الجرمي

الشيخ/ أحمد محسن الأحلسي

[عند الإمضاء يكتب/ عبد مولانا (ط.ع)]

المرسوم السلطاني بإعلان القطيعة ضد المارقين :

ولما بلغ الخلاف ذروته، بين زعامة "البهرة" وهذه الأسر، أمر الداعي نائبه في شرقي حراز المدعو "حاتم ملا عبده علي" بإعلان القطيعة التامة لهذه الأسر، فقام هذا النائب في يوم الجمعة ١٩٧٦/٣/٢٥ م بجمع أعيان ومشايخ وعقال عزليتي "بني مقاتل" و "اليعابر" (شرق حراز)، وألقى فيهم خطاباً أعلن فيه أمر الداعي بمقاطعة الأسر المشار إليها، والبراءة منها، ومقاطعتها، وعدم تزويجها أو تتبع جنائزها، أو دفنها في مقابر المسلمين (الخاصة بهم)، فأطلقت عيارات نارية في نفس الموقف.

والحقيقة السيادية التي يجب ألا تغيب عن الذاكرة إزاء هذا الموقف أن بلداً لا يعترف دستوره بوجود أقليات، لا يعطي هذا الهندي الحق، في أن يقف هذا الموقف التسلطي، فيعلن الحرب والتكفير والمقاطعة ضد أسر يمنية، لأنها اختلفت مع السلطة الأجنبية، التي جعلت هذه الأسر تحت رحمتها، تعز فيها من تشاء، وتذل من تشاء، دون أدنى احترام لسيادة البلد وقوانينه.

ورغم مغزى هذا الإعلان وخطورته، فقد تأخر البلاغ عن إدارة أمن قضاء حراز، حتى ١٩٧٦/٣/٢٩ م مما يشير إلى حرص المجتمع "البهري" على الاستقلالية وحل قضاياهم، وبمعزل عن رقابة السلطة المحلية ومعرفتها.

وبدورها رفعت إدارة أمن قضاء حراز ما يتصل بهذه المسألة الخطيرة، وقامت بتسليط الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بتنظيم "البهرة" بعد إجراء التحقيقات اللازمة مع الأمير الهندي الذي نصبه السلطان، على طائفة البهرة في اليمن، وهو "حاتم ملا علي" إلى جانب أشخاص آخرين، وكانت الحصيلة هذا التقرير.

وثيقة رقم (٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم:	الجمهورية اليمنية
التاريخ:	وزارة الداخلية
الموافق:	الإدارة العامة للأمن العام
	إدارة أمن قضاء حراز

(تقرير خاص بقضية الخلاف الناشئ بين آل النائب وآل نزار من أبناء الشرقي في حراز)

وبين الهنود المكلفين بالدعوة الداودية البهريّة في اليمن من قبل سلطان الهند محمد برهان الدين، والكائن مقرهم في قرية الخطيب، والقضية مفصلة فيما يلي:

في نهار الثلاثاء الموافق ١٩٧٦/٣/٢٩ م وصل المواطن حسن حسن النائب وطاهر على النائب، وأبلغ إلى المسؤولين بحراز شكواهم بالهندي نائب سلطان البهرة في الخطيب، وهو المدعو حاتم ملا عبده، على الذي قام بجمع أعيان ومشايخ وعقال عزليّ بني مقاتل واليعابر، وقام بإلقاء خطاب عليهم أسنده إلى أوامر السلطان، وأعلن فيه للحاضرين قيامهم بالمقاطعة التامة لأسرة آل النائب وخاصة النائب المتوفى حسن النائب، وبعض من آل نزار، وهذه المقاطعة تشمل عدم المجالسة لهم أو رد السلام والمصاهرة، وحتى الصلاة عليهم إن ماتوا أو قبرهم في مقابرهم، كما أنه جعل الشتم والسب من قبل الهندي لهذه الأسرتين، وأنهم يطالبون بضبطه وإلزامه بإخراج الدستور الذي ينظم علاقة جمعيته، والذي جاء به من لدن سلطان البهرة في الهند، وبذلك فقد كان منا طلب الهنود، وجميع الأعيان، والمشايخ، الذي تم حضورهم في الخطيب نهار يوم الجمعة الموافق ١٩٧٦/٣/٢٥ م أثناء إلقاء الخطاب وأجرى التحقيق معهم ومما يدل على أننا عرفنا الكثير مما كنا

بجهله عن هذا المذهب الداودي ومالمسناه من واقع نظام جمعيته السيفية، وهي التي تنظم علاقة أتباع هذا المذهب وروابطهم بكل ما فيها من علاقاتهم الدينية، والسياسية، والاقتصادية، كل هذه الروابط والعلاقات يغني عن شرحها كتاب الدستور نفسه وما فيه من وضوح، وحيث نجد أن ما جاءت به دعوى الشاكين آل النائب وآل نزار اليمينين، وأيضاً بعد التأكد من صحة ما جاء فيها ما عدا السب واللعن، كما جاء في أقوال النائب الهندي "حاتم"، نرى أن الدعوى شملت الكثير من معتقدات والتزامات هذا المذهب وأتباعه، ونوردها -هنا- بالنص، بعد إفادة النائب الهندي حاتم، الذي جاء في أقواله: أنه بناءً على الأوامر الصادرة من عظمة السلطان عن طريق عامل صنعاء البهرة المدعو علي حيدر عز الدين، وعن طريق "السفارة" (!) أيضاً، وكذلك بموجب نظام ودستور الجمعية، وذلك حول المقاطعة التي فرضت على الشـ[...]. ويفيد أن ما قاله لا يخرج عن نطاق التزاماتهم، وهم وجميع الأتباع في هذه الدعوة، هذا وتأتي أقوال المدعى عليه المدعو حاتم الهندي بزيادة من الإيضاحات حول وجود عمال يمينيين الأصل ومكلفين بالعمل من قبل السلطان نفسه، وليس لأحد حق عزلهم، أو توليتهم، سواء وهم موجودين في صنعاء، والحديدة، وتعز، في العزلتين، وحيثما تجدد الأتباع للدعوة على أنه وإن كانت المهمة قائمة باسم الصلاة والإرشاد، فإن هناك تكاليفات عامة بخصوص أخذ الجبايات، والضرائب، وما إلى ذلك، وقد عرفنا من أقواله عن تنظيم هذه الجمعية، وعلاقتها باليمن، والسلطان في الهند، فذكر عدد العمال الموجودين باليمن، والذين يتحملون هذا المنصب بتعيين من السلطان نفسه.

[....] وما يجمع من أتباع هذه الدعوة، ينقل عن طريق العمال في المحلات الأخرى في اليمن إلى نائب السلطان في الحطيب، ومن ثم تحال إلى الحسابات أو إلى الخزينة... الخ.

هذا، وقد وقع على أقواله: هو، ورفيقاه الهنديان: خزيمة، ومحمد. انتهى.

هذا، ومما يجدر ذكره، فإن الخطابة المذكورة قد حصلت نهار يوم الجمعة ١٩٧٦/٣/٢٥م، والبلاغ في يوم الثلاثاء ١٩٧٦/٣/٢٩م، وذلك عن إطلاق النار، وعن الخطاب، ولم تبلغ الحكومة في حينه بشيء من ذلك إلا في اليوم الخامس من وقوع الخطاب وإطلاق النار، فقد تم حجز الأعيان والمشايخ، وإجراء التحقيق معهم، مع [جميع] من يحملون منصب العال [لم] في العزلتين -المذكورتين- بتعيين من السلطان محمد برهان الدين، وقد جاء في استجوابهم عن الزكاة، وهل تدفع للهند أم اليمن أم لهما معاً؟ فكان الجواب: أن هنالك أموالاً تدفع فعلاً للعمال، وترسل إلى النائب، ولكنها ليست زكاة، وإنما صلاة وندور، وتبرعات، هذا، وفيما يتعلق بالنواحي التي تكون مصادر دفع الرسوم، تكاد تكون مذهبية كما هي في ذاتها، واقتصادية سياسية كما هي في معناها، وذلك كحقوق الختان والعقيقة، وحق الزواج، وحق العقود الأخرى والمآتم، وإن لم يكن معروفاً قدر هذه الجبايات، هل كل ما يطبق أم أنها محددة، هذا ومن الجدير بالذكر هو أن هناك عدد من التقارير التي سبق رفعها بخصوص مسألة الهنود، ودعوتهم، وأساليبهم، حتى تقارير من الجهاز المركزي للأمن الوطني نفسه قد رفعت بهذا الخصوص إلى المسؤولين جميعاً، ويمكن الرجوع إليها. أخيراً: الاستنتاجات:

إنه من خلال ما ذكر في هذا التقرير من أقوال الفريقين، يجعلنا نفكر في أمور

كثيرة، وفي غاية من الأهمية، من ذلك:

أولاً: اختيار محل الخطيب بالذات، رغم منفاه نأياً كلياً عن حياة المجتمع اليمني كله، حتى والقرى المجاورة له، حيث لا توجد طريق متاحة إلى قرية أخرى. ولا توصل الطريق المشقوقة للسيارات حديثاً إلا إليه، فهو بعيد عن الخاصة والعام من الشعب، وحتى من أبناء القرى المجاورة، على أن الأخوة الهنود لاحظوا جعل هذا المكان مقراً لدعوتهم لوجود قبر الداعي اليمني المعروف بجاتم الحامدي، والذي تشد إليه الرحال للزيارة، من كل أتباع هذه الفرقة، وخاصة الهنود، كذا ملاحظة: وفرة الأتباع لهذه الدعوة وكثرتهم، حيث هم في شرقي حراز أكثر من أي منطقة يمنية.

ثانياً: إن مما يدعو إلى الشك في سلوك أصحاب هذه الدعوة، وهذا المذهب، هو محاولتهم للعمل بسرية تامة، يخفون إعلام مذهبهم وطريقتهم على الرأي العام، إن لم يكن على الحكومة، على أن خطر هذه الدعوة -في نظري- قد يؤدي باليمن إلى كارثته، ولعلنا في المستقبل نرى في اليمن لبنان آخر تتصارع فيه قوى الأحزاب، والعقائد المذهبية، والدين، والسياسة، حتى تصل به إلى الهاوية. هذا و-لا سمح الله- لن يتم ما دامت أعين المسؤولين مفتوحة ويقضة، والله الموفق.

مدير أمن قضاء حراز

(أحمد حسين الغرياني)

التعميم لكل من :

الأخ/ وزير الداخلية وعضو اللجنة العليا للتصحيح.

صورة للأخ/ مدير الأمن العام.

...../ رئيس الجهاز المركزي للأمن الوطني.

...../ محافظ لواء صنعاء.

...../ مدير أمن لواء صنعاء.

وكان قبل ذلك، قد اجتمع عدد غير قليل من الأسر الخارجة على السلطة الهندية للطائفة، وأعلنوا رفضهم لتعاليم المذهب، ومعتقداته، وأساليبه، المخالفة لعقيدة الشعب اليميني المسلم، ودفَعوا مذكرة إلى رئيس المجلس الجمهوري الأسبق القاضي/ عبدالرحمن الإرياني، شرحوا فيها ما يلاقوه من معاناة على يد محمد برهان الدين، وما يقوم به من ممارسات مخلة بالسيادة الوطنية، وقد تحاشوا ذكر أسماءهم في الأخير، خوفاً من أن تصيبهم لعنة المذهب ويطاردتهم شبح (البراءة) المرعب والمخيف الذي يطبق على كل من يشكو من جرائم هذا المعتقد الغريب، وإليك الوثيقة:

وثيقة رقم (٢٢)

بسم الله

سيادة رئيس المجلس الجمهوري القاضي / عبد الرحمن الإرياني

حياكم الله تحية طيبة، وإخلاص، وتقدير، وبعد:

لا يخفاكم بأن الهنود المعروفين بـ"البهرة" (برئاسة) "محمد برهان الدين"، الذين فتحت لهم الحكومة بحسن النية أبوابها، قد قدموا على أعمال مخالفة للأخلاق الإسلامية، وبدع فيها تحدي فاضح للشريعة الغراء، مثل مخالفتهم للرخصة الممنوحة لهم ببناء جامع، فبنوا قبة على قبر (حاتم الحامدي) يعبدونه اليوم عبادة الأوثان، ويتمسحون بحيطانه، صارخين، باكين، يدعونه بقاضي الحاجات، ومقيل العثرات، ويسجدون لديه، ويرغبون في ذلك الأطفال والبسطاء من الرجال والنساء، وهم مع ذلك يسلبوهم أموالهم.

وقد نهيانهم عن ذلك أشد النهي، على رأسنا المغفور له الشيخ حسن النائب. فسمونا بالمنحرفين عن الدين، وأعلنوا سينا ولعننا على الملأ، ولا ذنب لنا إلا أن نهيينا المنكر، وهددونا بالقوة والعدة والعدد، ولما رأينا أنه لا طاقة لنا بهم قصدنا وزارة الأوقاف وعلماء الدين حفظهم الله لنستعين بهم على إزالة هذا المنكر، وقد أصدرت وزارة الأوقاف بذلك أمراً، والآن قصدناكم لكي نتعاون على ما يرضي الله ورسوله، ويرضي الضمير، والدين، ونؤدي للإسلام خدمة، ويحفظ على الأجيال القادمة دينهم وعقيدتهم الإسلامية، قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (آل عمران: ١٠٤).

والحديث يقول: "من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام" وأنتم يا سيادة الرئيس من بيت العلم والتقوى، والغيرة على الدين، فأملنا فيكم كبير في

رؤية من الداخل
محاربة البدع، فكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، نرجو أمراً إلى جهات
الاختصاص لتقصي الحقائق، (كما هي) أوامر الله.

والله يراكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المقدمون إليكم

أبناء شرق حراز

فكان التوجيه من رئيس مجلس الرئاسة إلى محافظ صنعاء بما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محافظ صنعاء:

لمعرفة الحقيقة، واعملوا اللازم، وامنعوا كل ما يحدث، واعملوا كل ما يجب.

ذي الحجة ١٠/١٠/١٩٧٣م

عبد الرحمن الإرياني

وفي تاريخ ١٣٩٣ من الهجرة اجتمع أعيان عزلتي اليعابر وبني المقاتلي (شرقي حراز) وقرروا عدم سب وشتم آل النائب، وبيت الأحلسي، وآل نزار، وبيت علي هبه الظهرة، وقرروا في وثيقة تغريم كل من يقدم على سب هذه الأسر بدفع مبلغ (٢٠٠) ريال قبلان لآل النائب ومن إليهم، وكذا تقدم ثور هجار لهذه الأسر. ووقع على هذه الوثيقة مشايخ وأعيان العزلتين على رأسهم الشيخ/ غالب علي محسن.

ب - الشيخ/ غالب علي محسن المعقابي وخروجه من المذهب :

تعد قصة "النائب"^(١) الشيخ/ غالب علي محسن، بما فيها من إثارة ودرامية، ظاهره استثنائية في تاريخ الحركة الإسماعيلية، نظراً لطبيعة المفارقات التي شكلت في مجملها قصة توبته وخروجه من المذهب الإسماعيلي طائفة البهرة شرقي حراز.

أما نوع هذه المفارقات فتجلى في المكانة التي وصل إليها في السلم التنظيمي للطائفة، وحجم الثقة التي حصل عليها، من السلطان وأتباع الطائفة في خريف حياته، ثم ما انتهى إليه حاله في نهاية عمره من العيش على الطرف النقيض من هذه الطائفة.

كما تبرز في حرارة الصراع الذي جرى بين طرفين غير متكافئين: بين "النائب" المسن الأعزل العنيد، وبين الطائفة، وقوة إمكانياتها، ونظامها القمعي المتسلط.

(١) بعد كثرة التمللات من عقيدة المذهب من قبل نواب السلطان اليمنيين أصبحت السلطة كلها الآن بيد الهنود في اليمن.

والحديث عن أسباب انعزال هذا الرجل وتبرؤه من طائفة البهرة، مرتبط بالحديث عن شخصيته وطبيعة تكوينه، فقد كان - رحمه الله - حاد الذكاء، قوي الملاحظة، ذا ملكات ذهنية، وقدرات علمية غير عادية.

وقد تمكن كذلك من التعمق في الفكر الفلسفي في الكتب السرية الباطنية للطائفة.. غير أنه لم يجد في تلك الأفكار ما يشجع على الانسجام معها أو يدعوه إلى التسليم بمضامينها، فظل ارتباطه بها ارتباطاً وظيفياً يتطلبه الدور القيادي الذي صار يشغله في الطائفة.

ونظراً لهذا الانفصام الفكري والوجداني، وعدم الانسجام مع معتقدات المذهب، استمر بين أفراد الطائفة يؤدي دور الممثل المحترف وهو الدور الذي لم يكتب له النجاح حتى آخر فصول حياته، إذ طالما ظهرت منه تصرفات تنم عن عدم اكتراث بتعاليم المذهب، ففسرها السلطان في نفسه ويسجلها نقطة مخالفة ضد نائبه.

ونضيف إلى ذلك نزعة الشيخ التحررية، وقوة الإحساس بالانتماء الوطني، والاعتداد بالنظام الجمهوري، وهو ما يتعارض مع التوجه الانعزالي للمذهب، الذي لا يعترف بغير سلطة الإمام، ولا يعرف سوى اسم "الجزيرة اليمنية"، ولذلك كانت تحسب على الشيخ إشارات إلى النظام القائم، وإشادته برئيس الجمهورية حتى صار لا يفرق بين خطب المحاملات المفتوحة، وبين الحفلات السرية والمغلقة، وهو ما لاحظناه في الشريط الوثائقي عندما حاول الشيخ في خطابه أمام السلطان أن يشيد بالرئيس، فمنع من قبل السلطان بإصرار واضح، فكانت مثل هذه الممارسات غريبة في نظر الطائفة، وكفيلة بأن تثير حفيظة "السلطان" على نائبه.

ومما يدل على غيرته الوطنية أنه رغم مركزه الحساس في الطائفة لم يكن يبخل على الحكومة، بما يقع في يديه من وثائق دقيقة، وسرية، تكشف ممارسات خطيرة لزعماء الطائفة، حتى وهو ينعم بصحبة السلطان إلى حكومة إسرائيل، ويحظى هناك بعظيم التحلة والاحترام، ويعود منها بما لا مزيد عليه من الحفاوة والإنعام، فقد كان يؤثر المصلحة الوطنية على مصلحته الشخصية.

لذلك كانت الشكوك تساور "السلطان" عن حقيقة ولاء الرجل له، وصدق انتمائه للطائفة، وعندما تكشفت له حقيقة ماهو عليه، أوعز إلى حزب الفيض بالبحث عن طريق للتخلص منه، وبحيث لا تثير زوبعة "حسن النائب" من جديد، فحاولوا أكثر من مرة دعه بالسيارة، ولكن كان ينحو كل مرة باعجوبة ويعرف غمراه، وفي الهند حاولوا قتله، ولكن الله خلصه من بين مخالفهم وعاد سالماً، وكانوا يبالبغون في التوجس منه ويفتشونه ولو بغير مناسبة، وربما صادروا كل مستلزماته ليعود من الهند خالي الوفاض، ثم طلبوا منه إحضار أولاده إلى الهند، فاحضرهم وهم "محمد" و "مرتضى" فحس أنهم يريدون احتجازهم كرهائن فعجل بإعادتهم إلى اليمن، فحس بأن شراً بدأ يطارده ويتهدد مصيره ومصير أولاده وأهله وممتلكاته، ووجد أنه يسير في طريق المواجهة مع السلطان، ويضع نفسه وحياته في كف عفريت، ولا طاقة له بالسلطان وجنوده، وماقصة حسن النائب عنه ببعيد، لذا كان لا بد من أن يقف من مولاه موقف العاصي، المستغفر، الراجي عفو ربه (أي إمامه قابل التوبات، مقبل العثرات)، وطقوس العودة تقتضي إظهار كل معاني الخضوع والتوبة والندم وجاءت هذه الرسالة التالية التي عقب عليها بعد اعتزاله المذهب عند إرسالها إلى أحد أصدقائه بقوله:

"هذه صورة الرسالة التي حررنا للمدعو الرب المعبود "المفضل" حيثما تشاهدون ذلك^(١)، وأثبتنا لكم حسب اعتقادهم أنه الرب المعبود، وأنه المالك للحزيرة اليمينية، والمتصرف فيها كيفما يشاء(!) هذه (...). لتكون على علم واضح، وهذا حسب طلبه، ومن كتب الحقائق المشار فيها بأن النظر إليه وإلى والده عباده، أرجوا اطلاعكم، وإمعانكم فيها.

والله يحفظكم

أخوكم / غالب علي محسن العزب.

ولأهمية هذه الرسالة الوثيقة العجيبة -بحق- التي جمعت بين قوة البلاغة ودقة الانتقاء لعبارات الشرك والتذلل، تلقفتها الأيدي، وأخذت دورة طويلة، وتعرضت بعض مفرداتها للمحو والتشويه نتيجة كثرة التصوير، فكان وصولها إلينا في وضع لم نتمكن معه من تحقيق بعض العبارات الطويلة التي لاتعطينا إمكانية التصرف، مثلما لو كانت كلمة تسمح بإعطاء المعنى المرادف لها على وجه التقريب، فجاءت الرسالة مليئة بالفراغات، وبالصورة التي تجدها أمامك^(٢).

(١) المفضل هو الديكتاتور والصنم الصغير، وديث عرش أبيه محمد برهان الدين.

(٢) حرصنا على عدم التدخل ما أمكن في طريقة كتابة الوثائق التزاماً بالأمانة العلمية.

وثيقة رقم (٢٣)

الموافق: ١٠/٦/١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

" وبه نستعين من جميع الأمور كلها "

الحمد لله دامغ من تجبر وتكبر من جميع البشر، بإظهار الحق وإعلان الصدق في جميع (الخلق)، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى وصيه الأنزع البطين، مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قائد الغر المحجلين، المصفيين إلى الواحد وخمسين، وعلى الأئمة من ذريته الميامين، آل طه أجمعين، وعلى دعائم المطلقين أجمعين، وعلى وارث مقامهم وجامع فضائلهم الثاني والخمسين، داعي العصر والحين، حجاب أمير المؤمنين قرة عين إمام المتقين، سيدنا ومولانا وهاديننا، وقابل توبتنا، وغافر ذنوبنا، ومجيب دعائنا، أبو القائد جوهر محمد برهان الدين، طول الله بعمره الشريف إلى يوم الدين، وأبقاه إلى أبد الآبدين، وأقر الله عينه في غرر ولده.

وبعدما يجب عليّ من السجودات العبودية النورانية القدسانية، في حضرة مقام عالي رباني منيف، مالك الجزيرة اليمنية، المملكة له والمنسوبة إليه نصاً وروحاً! يعز فيها من يشاء ويذل فيها من يشاء، الذي بيده البسط والمنع، سيدي وسندي وملاذي، عالي القدر والشأن، العظيم البار الرحيم، العلي العظيم، المشفق مفضل بما صاحب سيف الدين عقيق اليمن أمين سر الله المؤمن، موضع العباد ومنه تتلقى الإجابة، باب حطة المذنبين للمستغفرين، أتيت إليك قارعاً باب التوبة عن كل ذنب أذنبه، فأقبل توبيتي واغفر ذنبي، يا قابل الثوبات، فأبواب (من) نقرع غير بابك، وليس لنا في هذه الجزيرة المنسوبة إليك إله غيرك! فإن تشأ تعفو وتغفر،

فمئتك وفضلك وحلمك، وإن تشأ تعذب فبعذلك، فقصدت بابك في الخطيب المبارك، ومُنعت من البقاء في الخطيب، ومن العودة إلى بابك، وإذا حاولت الوصول إلى بابك في الخطيب فقد يحصل عليا من الشباب المسلح^(١) ما لا يحتمله جسمي، وضعف قوتي، وكيف يحصل وأنت بما حولك والدك وأطلق لك هذه الجزيرة المباركة، فأنت في الخطيب الذي زاده الله شرفاً وتعظيماً وتكريماً، فهبوطك المبارك فيه فأنت مثل البيت العتيق، ومثل الباب والمستجار، ومثل الحج الذي لا يجوز فيه جدال، ولارفت ولافسوق، ومن أم هذه البيت، طالباً وقارعاً ومستغفراً لذنوبه إلا غفر له، ولم يرجع العبد خائباً، وعاد وقد غفر له ما تقدم من ذنبه، فلا تهتك ستراً سترته، ولا تشمت بي أعدائي، فأتوسل إليك ألا تدع لي ذنباً إلا غفرته (١)، ولا عيباً إلا سترته، ولا همماً إلا فرجته، يا من تقول للشيء كن فيكون (١)، يا من أنت على كل شيء قدير (١)، فالغوث الغوث، نجني مما أخاف، يا من مصر الخلائق وحسابها على يديك (١)، يا أقرب الحدود إلى الواحد الأحد الذي لا شريك له، اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، إلى من تكلمي إلى بعيد يتجهمني [أم إلى قريب] ملكته أمري، أنت معيني في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقله، فكم من هو يضعف منه [لقوته]، وتقل فيه الحيل [ويبتعد عن حامله] الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك رغبة مني إليك عن سواك، وفرجته، وكشفته وأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل منة أرحمني بقضائك وارحم بؤسي وفاقتي إليك يا ولي الإحسان، فمن عالم الإيداع جئت لدينا وخلصنا، فخلصنا من النار، هذا ما قدر عليه عبدك من التعبير، ممثلاً لحكمك وقضائك،

(١) هم مليشيا شباب الفيض وشباب أهل الجنة، زبانية السلطان الذين يقومون باضطهاد المناوئين ومطاردتهم.

ملتزماً بحبك ذاكراً لك عقب كل صلاة [...] ملتزماً عقر داري، طالباً منك الأمان [ونجاة] الدنيا والآخرة فامنن برضائك يا عدتي عند شدتي، ويا غوثي عند كربتي، ويا غياث المستغيثين أغثني، يا موضع كل شكوى، ويا سامع [كل دعوى]، ويا كاشف كل بلوى، ويا عالم كل خبيثة، أدعوك دعاء الغريب المستغفر الذي لا يجد لكشف ما به من الضر [أحد سواك فررت من] الذنب إلا للتشبه بأذيال عفوك، وحملتني المخافة من نعمتك، فأستمسك بعروة عصمتك، وما خاف من اعتصم بحبلك [من يجعل القلب] مستمداً منك الإجابة فلا تردني خائباً، فأنا وقفت ببابك، الذي هو باب حطة، [بهمة عن كبرها منحطة] محافظاً على وفاء العهود، متمسكاً بطاعة الحدود^(١) [...]، [وقد حيب بيني وبينك] من المشايخ وأعضاء الفيض الحائمي والشباب المعتمد عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، فالأمر إليك [...] فغادرت الحطيب والدمع كالغيث، يسكب متمسكاً بآداب الدين وحبله، مسلماً لقضائك وقدرك، لأنك الحاكم العادل الذي لا يغالبك في ملكك [وقد توافدت] جميع المؤمنين والمؤمنات، يحجون كبيرهم وصغيرهم، مقدمين ولائهم وطاعتهم، ومتركين بالمثل مع تقبيل الأرض وتقدم السجدة العبودية، لاثمين أياديك وأقدامك الطاهرة، متبركين برؤيتك الميمون، وقد نالوا السعادة في الدنيا والآخرة وحرَم العبد المسكين الضعيف صابراً، مرعوباً خائفاً من عذابك وغضبك، قبل الفراق وذهاب الركب، وهو انحلال الجسم المركب، معاتباً لنفسه بنفسه، وهارباً من سجنه وحبسه، مستدركاً ما فات باليقين من عمره [...]، هذه الرسالة مرسلة حسب الأمر، مع الشيخ غالب، وعامل الموضع الشيخ أحمد علي إسماعيل، ممثلاً سجيناً في داري، حتى يأذن لي

(١) فقرة غير واضحة، وهناك فقرات مطبوسة لم تتمكن من قراءتها.

مولاي، وكان عليا الوصول والوقوف على أبوابك ولو حبواً على الجمر لكن جنبات أحونا الشيخ حيدر علي حفظه الله قد حذر وأندر للعبد من الاقتراب من الخطيب، حتى يأذن لي باب الرحمة للعالمين، والسلام مع تقبيل الأرض وتقدم السجادات العبودية، ولثم الأيدي والأقدام الطاهرة من العبد المذنب المستجير الخائف المتمثل للأمر بالسمع والطاعة، والطالب الأمان لي، ولأولادي، وممتلكاتي، فلا أمان لنا إلا منك لأنك صاحب الأمر القوي، القادر على كل شيء قدير (ربَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) (غافر: ٧) فأدخلنا في أوسع رحمتك^(١).

غالب المعاقبي^(٢) [غالب علي محسن]

تحرر هذا في نهار الجمعة ٦/٣/١٤١٠هـ - ٦/١٠/١٩٨٩م

وللقارئ نقول: ليس بعد الكفر ذنب، فرما هالك أن يأتي كلام كهذا من أناس يدعون الإسلام وفي يمن الإيمان والحكمة بلد الفاتحين، البلد الذي لم يصدّق بعد أن بين صنعاء والحديدة صنماً يعبد من دون الله، ونحن نقول: إن الله تعالى لم يرسل محمداً بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، إلا لهدم مثل هذه الوثنية، ولئن كان كفار قريش قد عبدوا الأصنام لألها - بنظرهم - تقرهم إلى الله زلفى، فإن أصنام اليوم لم تبق لله معها شيئاً يذكر، وهذه الرسالة جزء من عقيدة منحرفة، ولا تصلح بمفردها أن تكون محل عتاب القارئ، لأنها جزء من كل لا يتجزأ، وهذا الرجل

(١) جزء من أسباب هذه المبالغة ولغة الاعتذار المسحوقة المرعوبة يعود إلى استفراد السلطان بأتباعه يفعل بهم كيف يشاء، دون أن يجد المضطهد من يسمع شكواه من أهل الاختصاص، فقد استمر الأئمة من عهد الإمام، وحتى الآن ولكن.. من يسمع؟

(٢) نسبة إلى لكمة المعقاب قرية الشيخ غالب .

بهذه الرسالة إنما يترجم عقيدته المنحرفة، والتي أصبحت بجد ذاتها -أي هذه الرسالة الشركية- هي بداية النهاية للخروج من الوثنية، فبالرغم من لغة الاستعطاف التي تجردت من معاني الآدمية والكرامة الإنسانية، ورغم قبول صاحبها بأن ينزل نفسه إلى مستوى أحط من كائن حقير ممسوخ أمام هذا الداعي "المفضل" نجمل السلطان، إلا أن نزعة التسلط والجبروت أبت سوى أن يطبق على الشيخ/ غالب أسلوب "البارات" التي تمثل قمة الاضطهاد البشري في القرن الواحد والعشرين، وهي شبح الرعب التي تهدد كل من تسول له نفسه الاحتجاج على الإمام أو أحد أفراد أسرته.

علماً أن هذا السلطان إذا غضب على أحدهم طلب منه رسالة شركية اعتذارية كهذه، وبعد أن يتلذذ بقراءتها يدوسها تحت قدمه ويمضي في تطبيق مبدأ (البار) على من نزل عليه غضبه دون رحمة.

- الشيخ غالب يتولى معركة الفضح الباطني :

ولما أيقن صاحبنا بعدم جدوى المحاولة، وأن ليس من خيار سوى المواجهة، وقف بروح الشباب المتوثب في مواجهة الداعي وولده ومليشياته، وهو يؤمن أن الصمت ملاذ الخونة، وأن القلم هو السلاح الأمضى في معركة غير متكافئة.

فتحلل من عقدة الخوف من السلطان، وخرج شاهراً سيف الحرب على هذا الأجنبي المتسلط، داعياً إخوانه إلى ثورة تحررية ضد الهندي وكل المنتفعين من حاشيته، وإلى نبذ أفكارهم الهدامة المخالفة لدين الإسلام الحنيف، واستمر يحرص إخوانه من أتباع الطائفة المخدوعين وهو يدرك أن ما يفعله لن يمرّ دون عقاب، فقد أسس السلطان أتباعه ليكونوا جميعاً حركة ردع بيده، وأداة قمعية جاهزة لضرب المخالفين، ناهيك عن الأموال الطائلة التي ينفقها لكسب المسؤولين إلى

صفه، ولكن الشيخ المسن لم يعد يعبأ بشيء، فكان يقول: إن غاية ما يمكن أن يفعلوه معي هو التخلص مني، ولست في غنى عن غسل ذنوبي بالشهادة.

وفعلاً تلقى وجبات التأديب على يد حزب الفيض الحاتمي، وشباب أهل الجنة، وقد استقبلها بروح التحدي، فرغم الاعتداء عليه بالضرب عام ٨٦م في حصن الخطيب، وتهديده بالقتل، إلا أنه استمر يؤدي واجبه الإنساني إزاء أبناء الطائفة، وواجهه الديني والوطني أمام شعبه وحكومته.

فجعل من نقاط ضعف الفكر الإسماعيلي وسيلته للدفاع عن نفسه ونشر تلك المخازي على جبل الغسيل.

فدفعوه إلى حرب الاستنزاف الاقتصادي وذلك بالجرجرة في الدوائر الحكومية فلم ينفع معه ذلك، وفي شهر فبراير من عام ١٩٩٠م قرروا التخلص منه بواسطة أعضاء من حزب الفيض، فتلقوه في سجن الأمن العام بصنعاء وباشروه في هجوم مباغت بالضرب حتى أحدثوا فيه كسوراً وجروحاً بليغة، وقد حال تدخل الشرطة في الوقت المناسب دون القضاء عليه، ومع ذلك استمر في التعرية والفضح من خلال رسائله المطولة، ومن خلال المقابلات التحريرية، واللقاءات الشفوية وغير ذلك.

ومن ضمن الرسائل التي وقعت في أيدينا :-

١- رسالتين إلى مجلس الشورى (آنذاك).

٢- رسالة إلى الشيخ/ عبدالله بن حسين الأحمر.

٣- رسالة إلى وزير الداخلية.

٤- رسالة إلى النيابة العامة.

٥- رسالة إلى رئيس المجلس المحلي بحراز.

٦- رسالة إلى مشايخ حراز.

٧- رسالة إلى صديقه الشيخ/ عبدالله محمد عمر شيخ مسار.

٨- رسائل إلى العلماء ومن يهمهم الأمر.

وقد شملت هذه المقابلات والرسائل بالإضافة إلى مشكلته الخاصة معهم :

١- الحديث عن أفكارهم المخالفة في العقيدة، والعبادة، والشريعة.

٢- تسليط الضوء على ارتباطهم الخارجية بالدوائر الاستعمارية المعادية.

٣- كشف التشكيلات التنظيمية كحزب الفيض والشباب مع تحديد دور

كل عضو قيادي فيها ودرجته التنظيمية، ومهنته الحرة، وعنوان عمله، ومقر سكنه.

٤- أساليبهم التربوية، ومناهجهم الفكرية، وطرقهم الدعائية مع عوام

الطائفة وجهالها.

٥- طرق التعامل مع مسؤولي الدولة لتمرير أهدافهم.

٦- أطماعهم في اليمن ومقومات تحقيق ذلك.

وحقيقة لم يترك الشيخ - كما أظن - نافذة إلى هذا المذهب إلا وفتحها، لمن

يعتقد أنه معني بشئون هذه الأمة، ومالم يدونه كتابة أو يذكره تسجيلاً، تحدث به

شفوياً، لاسيما تلك التي تتعلق بالكرامة الشخصية.

وقد خصينا هذا الكتاب برسالتين فقط من مجموع تلك الرسائل والمقابلات،

خوفاً من الإطالة حيث نجد الرجل يستطرد في تفصيل بعض الجوانب مثل سرد

أسماء الشخصيات القيادية في بطاقته، وإسناد أدوارها وحتى عملها وعناوينها وهذا

لا يتصل مباشرة بأهداف البحث وطبيعته ، وإليك هذه الوثيقة:

الجهة التي تم إرسالها إليها هي "مجلس الشورى" سابقاً.

كانت أولاهما إثر الاعتداء عليه بالضرب، في سجن الأمن العام وهي كما

نراها صغيرة ومختصرة.

وثيقة رقم (٢٤)

استغاثة.. ونداء

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين:

إني أشهد الله ورسوله وملائكته والناس أجمعين، إني أبرأ إلى الله من "محمد برهان الدين"، ومن ولده "المفضل" المفتري على الله الكذب، المحرف لكتاب الله ومن أولاده ونوابه وعملائه، وأبرأ إلى الله من أعمالهم وتكفيرهم وسبهم ولعنهم لصحابة^(١) الرسول عليه الصلاة والسلام، وللمسلمين، ومن عاد فينتقم الله منه، ويعتبر زنديقاً يستحل دمه، والله على ما أقول وكيل، بعد أن انكشف لي سيرتهم ومخالفتهم حسبما جاء في خطاباتهم، وحسبما شاهدت عياناً.

إلى كافة أعضاء مجلس الشورى الأفاضل، الأوفياء لله عزوجل، ووطنهم وإلى كافة إخواني العلماء الأفاضل، وكل من له ضمير وغيره دينية في هذا الوطن الغالي علينا، مناشداً لكم الله ورسوله: هل في عملنا أي خطأ أو خطر على وحدة الوطن، أو نجني على هذا المدعي المكفر للمسلمين، المستحل للدماء، بعد أن اتضح لنا نظرياً وعملياً أعمالهم، وأفعالهم، وتجبرهم وانتحالهم للأحاديث النبوية افتراءً على الله

(١) على رؤوس الأشهاد في ما يسمى بالمجالس الحسينية يتم في منطقة الخطيب لعن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وكبار الصحابة بالاسم، وللمفضل نجل السلطان شريط كاسيت يتضمن لعن الصحابة؛ وبالنسبة فإن شعائرهم وطقوسهم الدينية مختزلة فقط في لعن أصحاب النبي وزوجاته وأتباعه من بعده، وما بقي من مظاهر فهي غير أساسية وللتمويه فقط فالسب واللعن دين الشيعة وديدهم ورمزهم المذهبي الوحيد بل والشفرة التي يعرف بعضهم بعضاً من خلالها، لأن حب آل البيت لا يتم عندهم إلا ببغض من عداهم، وإلغاء دورهم ومكانتهم فلا فضل ولا علم ولا جهاد ولا سبق في الدين إلا لآل البيت فقط، وإذا تحدثت عن غيرهم وضموك بتهمة الناصبية وبغض آل البيت.

ورسوله، إذ يقول هذا المدعي المارق: إنه سيد شباب أهل الجنة، الضال المضل "مفضل" ابن المدعي: إن الرسول ﷺ قال: "بارك الله في أخواني" قالت الصحابة - رضوان الله عليهم- أليسا نحن إخوانك يا رسول الله؟ قال: "لا أنتم أصحابي وهم إخواني، يظهرون آخر الزمان من الشرق، كالملائكة يؤمنون بي، ويحيون ذكري، وهم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق" ناشدتكم الله، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "والله لولا طلوع الشمس من مشرقها لما وليت وجهي إليها"، فصدق حديثه إذ يقول: "يطلع آخر الزمان منها قرن الشيطان" فقد حكم على نفسه هذا المدعي أنه قرن الشيطان.

وأنا اليوم بعد أن أهدر دمي وممتلكاتي مع أولادي وإخواني وأهلي، إذ لم يتبرأوا مني، فدمهم حلال، وقد استنجدت بكل الجهات المسؤولة، وناشدتهم حمايتي، وتجنب هذا الخطر على اليمن، وعلى الأمة العربية والإسلامية، وناشدت إخواني: مشايخ وأعيان شرقي حراز، إذا كان عندي لهم خاصة أي خطأ فأنا محكم لهم فما زادوا عليا إلا عتواً ونفوراً، وغادرت صنعاء إلى حراز، وفيها كتبت لجميع إخواني الكرام -مشايخ قضاء حراز- وناشدتهم وطالبتهم حمايتي، مع أولادي وإخواني، وممتلكاتي، وحكمتهم إذا كان لهذه الطائفة الموالية الولاء الكامل لداعيهم "محمد برهان الدين" وأولاده ونسوانه أي خطأ لهم خاصة، فأنا محكم لهم حيث أنا أخوهم وشيخهم، ضحيت بحياتي من أجلهم عشرين سنة حتى أصبحت لا أملك إلا أولادي، وأهلي، ووضعت عدال طرفهم حسب طلبهم على أساس بما يدعون أهالي شرقي حراز بما يخصهم.

أما ما يخص المدعي فهذا لانقاش فيه إذ أنه أجنبي "هندي" مع أولاده ونوابه وأتباعه البهرة، لاصلة له إطلاقاً باليمن، ولا فضل له علينا، بل اغتصب أرضنا وحصوننا في "الخطيب" - كما تشهدون-.

إن هذا الأجنبي الغازي علينا بأفكاره، التي هي أشد من الصواريخ مع تهريب الأطفال إلى الهند من عمر خمس وست إلى عشر سنوات، ليقوم بغرس أفكاره ويضرب أرضنا وعلماءنا بمؤلاء الأولاد.

أبلغنا مسؤولي الدولة، فوجدنا اليوم الاعتداء علينا، في أمن لواء صنعاء وعلى باب السجن من الداخل من قبل "الحزب الحائمي"، وحزب "الشباب" برئاسة السكرتير الخاص لهذه الأحزاب "محمد القمادي" المولد الحبشي وسبعة أشخاص، واليوم صار لنا ثلاثة عشر يوماً حتى يومنا هذا السبت وأنا رهين السجن وغريمي المعتدي عليا بالضرب مع أحزابه لا يوجد إلا واحد منهم "القمادي" مستضاف في مكتب ضابط وزارة العدل يتجول بحريته وكأنه قتل مجرماً أو قاطع طريق.

أناشدكم الله، وحكمكم الله، الولاء لله - عز وجل - والوطن، والثورة أنقذوني أو احكموا علينا بما يثبت لديكم، إذا كان في عملنا خطأ أحملكم المسؤولية أمام الله ورسوله والشرع والقانون، وأستغيث بكم حمايتي، فهذه الطائفة الذي يأمرها المدعي تستحل دمي وتحاكمني بقوة رأس مالها، وليس لي أي ذنب، إلا أنني نصحتهم وحذرتهم مما سيحدث بسبب سبهم ولعنهم للخلفاء الراشدين والمسلمين وهذه إليكم من سجن لواء صنعاء.

أخوكم في الله والإسلام والوطن

الشيخ / غالب علي محسن العزب

١٥ / شهر رجب / ١٤١٠ هـ الموافق: ١٠ / ٢ / ٩٠ م

الرسالة الثانية المرسلة من الشيخ: غالب على محسن إلى مجلس الشورى سابقاً وفيها يضرع تراكمات السنين الفكرية والوجدانية، ويكشف طائفته الباطنية ظهراً لبطن بعد أن خلعها وتغلى عنها.

وثيقة رقم (٢٥)

١٩٩٠/١/١٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين في جميع الأمور كلها في اليوم الرابع والعشرين من شهر جماد الأكرم عام ١٤١٠/٢٤هـ

الأخوة الكرام الأوفياء العلماء أعضاء مجلس الشورى حفظكم الله وأبقاكم وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

تحية التقدير والوفاء مع الاحترام.

أرفع إلى حظرتكم أن حكومتنا الرشيدة عندما سمحت للهنود البهرة مع سلطاتهم وأولاده ونوابه كان تقديراً منها لأهالي شرقي حراز، وبشرط حسن سلوكهم وسيرتهم، وعدم التدخل في شئون الأهالي، أو السيطرة عليهم، أو بث النعرات الطائفية والمذهبية، وإدخال البدع المنافية لعقيدة وتقاليد شعبنا اليميني المجيد، ومخالفة أهداف ومبادئ ثورتنا الخالدة، الذي ضحى شعبنا اليميني الكريم بألاف الشهداء، من أجل التحرر من الظلم، والاستبداد، والعبودية، والتسلط الفردي ليعيش حراً شريفاً، في ظل حكم شوروي عادل.

والذي انكشف أن البهرة أثاروا المشاكل، فرقوا بين المرء وزوجه، والأخ وأخيه، والأب وولده، وأجازوا واحدهم بسب ولعن الخلفاء الراشدين الثلاثة

رضوان الله عليهم وتكفير من سواهم من المسلمين، حسبما جاء في خطاب ابن الداعي المتجبر، والمتكبر على الله ورسوله، أنه من لم يكن موالياً لوالده "محمد برهان الدين" فإن صلاته، وزكاته، وصيامه، وحجه، وجميع أعمال الخير، ليس له من ذلك إلا التعب وهو ممن قال الله -عز وجل-: (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا) (الفرقان: ٢٣).

ناشدتكم الله! يأتي في أرضنا سائحاً وزائراً، ويكفر جميع المسلمين في العالم [...] أكثر من مليار مسلم في العالم، مدعياً أن المجالس التي يقيمها في الخطيب و[يتجاوز] فيها السب، واللعن، والتكفير، أنها العبادة الحقيقية، ومحط أداء الصلاة والخمس، ويدعي أن الحج الحقيقي ليس هو الحج إلى عرفات، والتعبد في حرم الله، وأداء المناسك جميعها، إنما هي عمل ظاهر، أي مجاملة للمسلمين، وأن الحج الحقيقي هو القصد إلى حرم والده "محمد برهان الدين" في الهند.

هكذا يبين ويرشد أبناء الطائفة، ويقوم هذا الطاغية بتهديب الأطفال من خمس، وست، وسبع، وعشر سنوات، إلى الهند على يد عملائهم، ويدربونهم ويعلمونهم هذه الأفكار المخالفة للإسلام، حيث يقوم بعد تعليمهم عشر سنوات، فيجعل البعض منهم أنهم هنود ومن أب وأم بنفس الاسم، ويجعلهم محتفظين بجنسيتهم اليمينية، ويستخدمونهم في الإرشاد وقبض ملايين الريالات وقربها إلى الخارج.

وعند حدوث أي منع بخروج البهرة إلى اليمن فيحج اليمني بجنسيته، ويأتي للعمالة، ونشر الأفكار الهدامة، وإذا جعل عليه أي شيء، التجأ إلى السفارة الهندية يدعي أنه هندي.

وهذا ما يقوم به/ حاتم عبدالله الجليل، وحسن علي ناجي الأميني، وعبدالله على جرمه، وحسين صالح الجليل، وعبدالله ياسين المري، هؤلاء هم المترددون في شهر رمضان، وشوال يطوفون جميع المحلات.

والآخرون الطلبة يزوجهم بهنديات ويستخدموهم في العمالة، ويضمن تنفيذ ما يريد السلطان وأولاده [...].

وهؤلاء هم أشد ضراوة، وأخطر من الهنود أنفسهم، حتى أنهم يشكرون لأبائهم وأمهاتهم، مدعين أنهم مسؤولون عن تربية أبناءهم في الدنيا وأما أبوهم، وأمهم، فهو الداعي وولده، مدعين هذا الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه: "يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، أبوهم النور وأمهم الرحمة" فالداعي يُعد الأب الروحاني والذي هو النور، وولده الأم الذي هو الرحمة.

هذه الأفكار والسموم الهدامة، ثم يستدلون بحديث يحرفونه عن الرسول أنه قال في حجة الوداع، وهو مولي وجهه إلى المشرق: "بارك الله في إخواني ثلاثاً، ثم قال: وأصحابي" فقالوا الصحابة: "أليسا نحن أخوانك يا رسول الله؟" قال: "لا أنتم أصحابي وهم إخواني يظهرون آخر الزمان من المشرق كأهم الملائكة، يؤمنون بي ولا يروني، ويحيون ذكرى وشريعتي وباب أهل بيتي، فالسعيد السعيد من رآهم وتمسك بهم في سفينة النجاة، من تعلق بها وركبها نجا ومن تخلف عنها هلك"^(١).

والذي نسمع من الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "بارك الله بيميننا وشامنا، قالها ثلاثاً" قيل: يا رسول الله! ومشرقها قال: "والله لولا أن الشمس تطلع من المشرق لما وليت وجهي إليها ومنها يطلع قرن الشيطان آخر الزمان يحرف الكلم عن مواضعه".

(١) حديث محرف، وهذا الحديث يكرره مفضل في خطابه بين أتباعه.

فهم هؤلاء قرن الشيطان بل رؤوس الشياطين، الذين جعلوا العبادة والسجود والركوع لهم من دون الله، وجاءوا يلعنون خلفاء الرسول، ويلعنون علماءنا المسلمين الصادقين في إيمانهم.

أجازوا شهادة الزور، قتل النفس المؤمن ظلماً، اغتصاب الممتلكات بيد القوة، تحت أسمائهم، وتحت أسماء مستعارة، من التجار العملاء الخونة، الذين لا ضمير، ولا دين ولا وطنية لهم، اتخذوا عدة متاجر تحت أسماء مستعارة لصالح الهنود.

هذه أرض الخطيب وحصن "الخطيب" المنيع، اغتصبوا الحصن وبنوا البنايات الضخمة بأسمائهم وأسماء مستعارة، استولوا على المساجد، والأرض كلها من أملاك الداعي "الحامدي"، وجعلوا قبة ضريح "الحامدي" موضع تعبد وتجارة، ويأخذون على كل زائر مائة دولار مقابل دخوله القبر، ومائة وخمسين دولار مقابل ثلاث ليالي غير ما يأخذون من الدولارات والكساء المطرز بالذهب، كل هذه لصالح ابن الداعي "مفضل"، وولد عمه "مضر داوود" ومستشاريهم، أشرار خلق الله وهم/ شبير علي "هندي"، وحاتم عبد الله، وحسن علي باهي الأمين.

وأقاموا عليها الحزب الحاتمي، وهو أول حزب يقيمونه ويدربونه في الهند، ثم قارعناهم فأحالوا ذلك الاسم "الفيض الحاتمي" إلى جانب "حزب الشباب" الذي يرأسه المدعو "المفضل" سيد شباب أهل الجنة، حسب البلاغ من والده أنه سيد شباب أهل الجنة، وهو مالك هذه الجزيرة اليمينية نصاً وروحاً يعز فيها من يشاء ويذل من يشاء، وجعل حساب مصير الخلائق بيده، يدخل من يشاء الجنة، ويدخل من يشاء جهنم، وجعل أبناء الحزب المتهورين من الشباب طلبة وسواقين وموظفين في الحكومة والجيش ومن أبناء التجار وأعطاهم الصلاحية الكاملة، ولا يحق لأحد الاعتراض عليهم، فأمرهم من أمرهم، مما جعل الشباب يتدفقون ويكتبون أنهم فدايين.

وهذا العمل لا يقل عما عمل "علي بن الفضل الحميري القرمطي" عندما أعلن للفلاحين والفقراء والصعاليك الأمر، وجعل المهمل السلب والنهب، تجمع إليه من كل حذب، وهذا التأريخ المشؤوم، وكان المذكور يعني عربي قحطاني، أما هذا فهو مع والده هندوكي براهمة اهتموا للإسلام على يد الدعاة اليمانيين أبي أحمد، وأبي عبدالله الصنعائي، والكوكباني في مطلع القرن السادس للهجرة، وكانوا عبدة (الفيل)، وكان أولهم من الملوك "تارمل" و"هارمل" وأمعنوا وتعمقوا في هذه الدعوة، وكوفهم من الفلاسفة المشهورين بكتاب "كليلة ودمنة" استطاعوا في أربعمئة سنة الفتك باليمنيين، واستعانوا بالترك الشراكسة في القرن العاشر للهجرة، وأولهم "يوسف بنم الدين السيوري" وقال في رده على "المظهر شرف الدين": "إذا ستحارب بجبل من رصاص فسوف أحاربك بجبل من ذهب وفضة".

وفعلاً كانت الغلبة له ابتداء من "زيد" ثم حراز جبل مسار "وشام حراز" و"سعدان" و"الخطيب" و"حصون كرار" حتى "همدان" بعد أن هدم الحصون والقلاع والذي لاتزال حتى يومنا هذا مهدمة، واستعان بالأمرء من الهند وسيطر على كل شي واستطاعوا تهريب الكتب والسيوف والدروع وغير ذلك، وقيل: إنها تجاوزت ألف ظهر من الجمال، قام بتهريبها إلى الهند وهو مسيطر على حصون "همدان" ومقر "حصن طيبة"، ولما شعر اليمانيون الهمدانيون تحاربوا معه وحاكموه في صنعاء، وسجن خمس سنوات حتى قضى نحبه وعزل هذه الدعوة إلى الهند وتمت وترعرعت، ويستحكموا في اليمنيين، وأصبح اليمني عندهم في أذل مقام والهندي الحقير في أعز مكان.

وهكذا يستمرون في الظلم على اليمانيين حتى عام ١٣٥٣هـ حتى كتبوا [أي اليمنيون] جميع العلماء والنواب [نواب السلطان] والمشايخ عن طوع إرادتهم

وبدون إجبار عليهم وخلعوا طاعة "طاهر سيف الدين" والذ المذكور "محمد برهان الدين" وشكوا ما يلاقون من الإهانة في الحج وعند دخولهم إلى مقام الداعي كيف يترك الشخص ساعة زمانية حتى ينظر فيه ثم يقدم ثلاث سجداث تعبداً له من دون الله حسبما تطلعون على تلك الصورة^(١) وفي عام ٧٤، ٧٥ رفع لهم أيام الإرياني والحمدي فاملوا إلى عامل حراز القاضي "أحمد الفضلي" وكتبه "حسين القرصي" ولما أملى عليهم ما جاء في الشكوى أنكروا جميع ما جاء، واقسموا اليمين المغالطة^(٢) أنهم لا يعترفون بنائب هندي ولا بلدي، وأنهم متمسكون بدينهم الحنيف، وأنهم على أمناء مؤمنين معينين من قبل الحكومة ووقعوا جميع المشايخ والعلماء والأمناء والأعيان.

ناشدتكم الله كيف خادعوا الدولة؟ يقسمون الأيمان المغلظة، وهامهم اليوم منذ خمسة عشر سنة، متحكمين للهندي، متعصبين معه، مظهرين تفانيهم واستشهادهم، فهم ينطبق عليهم قول الله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) (النساء: ١٣٧).

كما أنهم قاموا وتعصبوا علينا عندما استنكرنا على الداعي في عام ١٤٠٧هـ وعلى ولده بعدم سب الخلفاء الراشدين وتكفير من سواهم، حاربونا وسببوا لنا المشاكل، وطلبونا إلى "القاهرة" ثم "الهند"، ثم طلبوا أولادنا، جعلونا نطلبهم وهم "مرتضى" ست سنوات و"محمد" عشر سنوات في العام الماضي ٨٩م، كان المراد أخذهم رهائن وبحمد الله بسعادة القنصل اليمني "أحمد الضبيوي" أخرجنا، واغتصبوا متاعنا في عقر دارهم في "الهند" وفي "مكة المكرمة" ظماناً لعودتنا وتحملنا

(١) يقصد الفيلم التصويري الذي يظهر فيه أتباع السلطان وهم يسجدون له وهو جالس أمامهم.

(٢) وهذه الأيمان والعهود تقال تقيّة.

كل المتاعب لا لشيء ولكن لإكمال البحث، حتى انكشف لنا تأريخهم وأهدافهم، ولو ساعدناهم على العمالة لكان لدينا أموال عظيمة، وعدة متاجر، وبنيات مشتركة بيننا كغيرنا الذين ثروا في أربع وثلاث سنوات وكانوا مقوتين في بيع "القات"، والآخـر سواق، والآخـر يبيع خردوات أكوات وغيره، وأصبح لهم ممتلكات بملايين تحت أسمائهم بعد أن أخذوا عليهم العهد المغلظة.

وهكذا نواياهم الخبيثة، وهذا الخطيب أمام الجميع والبنيات والمساجد الذين استولوا عليها وجعلوها مستودعات ومخازن، ناشدتكم اله بيوت العبادة وتركتها جعلوها مستودعات أمام مسؤولي حراز، حيث أن كل من يصل إلى "الخطيب" يحط عنه فروض الصلاة، وأن "الخطيب" قبلة الراكعين والساجدين، ويدعون أنه خياركم [أمة] في مقام "الحامدي"، كل هذا دمروه لنا وجعلوا ذلك طريقة لأخذ الأموال.

وهذا "شمام" بدأ التخطيط فيه ونقل بعض المواد، ولكننا شكونا إلى الجهات المختصة، فأى كفر أعظم من هذا، أصدر ابن الداعي أوامره منذ ثلاث سنوات بمنع جميع الطائفة في صنعاء والحديدة وتعز أداء الصلوات الخمس في المساجد الذي بنيت للعبادة وعلى أسس حديثة وأنه لا يجوز الصلاة فيها، وأن يقيم الصلاة في منزل بـ "نقم" يسمى "بيت الدعوة"، أمام العالم يحجون خاصة يوم الجمعة ويضايقون المسلمين في "جامع الرماح"، ويسدون الشوارع بسياراتهم، وهذا أمام مرأى ومسمع المجاورين، ورغم ما حذرناهم عادت علينا النصيحة بالويل والدمار والتغيير لممتلكاتنا من القات.

وحفر القبور ورفع الأكفان والطلقات النارية، ورغم كل ما شكونا في "حراز" وفي "صنعاء" عاد الحبشي علينا في سجن الأمن العام، فالمال هو المتحكم

فهذين الحزبين، أحزاب الشياطين مومن بالأموال ومستندة إلى دولة أجنبية وهي منظمة سرية منتشرة في جميع العالم لها جمعيات وشركات أقوى من إسرائيل وغيرها^(١)!!

كما وأن لهم علاقة بإسرائيل ويطلبون الكثير من أتباعهم من هنا ويدخلونهم عن طريق "السويس" و"سيناء" و"رفح"، وهم موضع تقدير واحترام في إسرائيل، وقد يتلقون التعليمات في نخر المسلمين، بينما هم موضع تقدير واحترام في جميع الدول العربية والإسلامية -قاتلهم الله- يحترمونهم وينزلون ضيوفاً على الدولة، وتكن لهم الدولة الاحترام وهم ينخرونها.

ويقول ابن الداعي المدعي: إنه الاسم الأعظم، وأنه العلي العظيم، وأن كل ما شاء هو ما شاء الله لهم، فالملوك والرؤساء يسمونهم بالجبابرة، فيقول: إنها مجبور أن تقدم لهم كل ما شاءوا وهي مطأطي رؤوسها له^(٢).

ناشدتكم الله، هل عملنا هذا عمل وطني أم هو إثارة فتن؟ أفيدونا إذا كان عملنا ونصحنا ونحن غالطون في الحكم فنحن مستعدون نسلم لكم، ونقول: إن كل ما قاله الداعي وولده أنه واقع، وأن مشيئة الله بين أيديهم لا يغلبهم أحد، وأنهم المنتظرون.

(١) المتبع للنشاط الاقتصادي وحتى الفكري للباطنية في الوطن العربي ستجد أنهم رواد التطبيع مع إسرائيل، وأنهم أصبحوا وكلاءهم في مجالات متعددة.

(٢) يحرصون على توزيع صور للرؤساء والملوك ورؤساء الحكومات الذين قابلهم السلطان، وتظهر في هذه الصور هؤلاء الزعماء وهم مطوقون بثوب يلفه حولهم محمد برهان الدين، وذلك عندما يطلب منهم صورة تذكارية قائلاً هؤلاء الزعماء أن هذا الثوب علامة محبة المسلمين، لكنه لدى أتباعه يقول أن جميع الملوك والرؤساء مطوقون بيده، مكبلون بإرادته ويسرون وفق مشيئته.

ناشدتكم هذه "صنعاء" جعلوها على عشرة عمال: في باب السلام مسؤول عامل للإرشاد وأخذ الواجبات، وفي نقم في ماجل الدمة، وفي شارع خط الأربعين، وفي شارع حدة منزل التاجر محمد علي محسن الظهره، وفي باب البلقة منزل محي الدين هندي، خلف الخزان الأحمر منزل على حسن ثابت المري، وفي الحصبة منزل الهندي فضل عباس في نقم خلف مستشفى الثورة منزل سر الدعوة: "إسماعيل حسين الصعوطي، وفي مركز التجمع ما يسمى بـ"بيت الدعوة" مهم شرق جامع "الرماح" مبالغ تجمع زكاة "صنعاء" عشرة مليون ريال، و"حراز" ثلاثة مليون ريال، و"الحديدة" و"تعز" مليون ريال سنوياً في شهر رمضان، أما محصول الزوار باسم "الحامدي" بـ"الخطيب" وبحسب الحساب الذي جرى مع ابن الداعي عندما وصل في شهر ربيع أول وأواخر شهر صفر (١٩٨٩م) كان المبلغ المتبقي أربعة مليون دولار أمريكي، كانت في طريقها للخارج. ولكن كون ولد عمه "مضر داود" قبض وفر، وابن المدعي فر ليلاً عن طريق "الحديدة" مع مستشاريه بقيت وهي التي اتصل ابن الداعي تلفونياً من "القاهرة" بصرفها في تغريم الشيخ/غالب علي محسن العزب والتخلص منه مع أولاده وأخوانه.

ناشدتكم الله يا ممثلين الشعب، جعلوا الطلاق بيد المرأة، إذا أحد اعترض عليهم فهي تبرأ منه، منعوا تتبع جنائز المسلمين، مفترين بأحاديث: أن لو أحد اشترك في تشييع أي جنازة قد يحرم تعذيبه [أي تعذيب المسلم]، جعلوا صك بيد الميت، يوضع تحت إبطه الأيمن، لا كما يقول الآخرون أنهم يقطعون يد الميت اليسرى، هذا غير صحيح، جعلوا حضور الرجال والنساء والأطفال إلى "الخطيب" ويرفع عنهم الصلاة، كلما قعد الداعي أو أولاده، فـ"الخطيب" يسمى المبارك أو "الخطيب" المقدس، و"الخطيب" المعظم، وهو منطلق أهدافهم ومبادئهم، درجوا

الكثير من التجار على التهريب، وجعلوا لهم وكلاء بهرة في "الخليج" و "الهند" و"السعودية" وفي أي مكان، وأصبحوا هم عصابات التهريب، وأصبحوا يكونون أكبر رؤوس مال، واحتكروا الأرض تحت أسماء مستعارة للداعي وأولاده.

وما حدث لمنصور القانص الذي قتل ولده وقطعه، كون المذكور استنكر على السجود طرف الداعي، وكون والده منصور القانص، قد أصبح في المذهب^(١) قتل ولده إرضاءً لهم، وحباً ووفاء لولد الداعي، رحلوا المذكور إلى "باكستان" زوّجوا بناته أربع، كون الداعي وولده هو المالك الشرعي والخامسة واسمها "وزيرة" جعلها ابن الداعي خادمة له اختارها من بين الخمس كونها موصوفة بالجمال والأدب، ومعالي الأخ/ عضو اللجنة الدائمة الشيخ/ أحمد بن علي المطري يعرفهن وأخذ معهن والدقن وأخوهن التقرير الكامل عن أسباب الحادث، وكذلك عضو المجلس الاستشاري المناضل الشيخ/ عبد الله بن حسين الأحمر الذي استعد له بكل واجب، إذ سافرن إلى صنعاء [...] ليكون مقام والدهن، ولكن الهنود قد ظللوا عليهن، وقمنا بدافع وطني بإخراج جوازات سفرهن حتى يجيء صنعاء، لا يغادرن أي جهة أخرى فكانت الجراءة أن زوجهن وأربع بنات مع والدقن رحلوا بعد

(١) كان منصور القانص زيدي المذهب ينجح إلى الرفض من بيت القانص وهي إحدى القرى المعروفة في حراز، وقد اتصل به البهرة في السعودية التي استمر اغترابه فيها، ووجدوا فيه دواعي الاستجابة لمذهبهم، فاستطاعوا بأساليبهم الخبيثة اقتناصه إلى مذهبهم، وغادر السعودية إلى الهند، ومن هناك استدعى أفراد أسرته ومنهم ابنه علي بن منصور القانص، الذي كان على قدر من الثقافة ويمارس مهنة الصحافة في اليمن حيث أغروره بمنحه إلى هناك، وبعد وصوله رفض الانخراط في المذهب الإسماعيلي، فاعتبرها البهرة فرصة أخيرة لامتحان صدق ولاء والده تجاه مذهبهم من خلال ابنه، فحدث ما حدث حيث تم تقطيع جثته ورميها في برميل القمامة إلى أن عثر عليها البوليس الهندي، وتم التعرف على هوية القتل وملابسات الحادث، وقد أصبح منصور القانص اليوم أحد أقطابهم في اليمن.

خمس سنوات إلى باكستان عند والدهن حيث وهو يحمل الجنسية الباكستانية، وحاولوا اغتيالنا وأخذوا جوازي ونقودي، وكانوا يريدون قتلي كل هذا تحملنا وأنجانا الله من شرورهم وانظروا أنهم بقوة رأس ما لهم يفرضون إرادتهم في كل مكان حتى أنهم في "القاهرة" استطاعوا عزل ثلاثة من وزراء الأوقاف الذين كانوا ضدهم، وبدأوا ييثون نفوذهم ويدعون أنهم "فاطميون" كما صرحت "الصحة" والسيد "أحمد حسين الباقوري" في وقته أنهم من أهل البيت.

وهنا في اليمن صرحوا لدى المسؤولين وفي الجرائد أنهم "صليحيون" وأنهم من ذرية "علي بن محمد الصليحي"، نزحوا من القرن العاشر؛ كل هذا افتراء وزندقة وكذب على الله وعلى خلقه، فليعلم الجميع أن كلما نكتبه هو الواقع، وأن هذا ثمرة كفاح وبجث استمر عشرات السنين نقلنا ذلك إليكم بالأمانة كما أبلغنا رئيس مجلس الشعب القاضي "عبدالكريم عبدالله العرشي"، ورئيس الوزراء، حتى [...] رئيس الجمهورية -حفظه الله- وكل الجهات المسؤولة وكل ذلك مطعم بالشواهد والوثائق الرسمية، كذلك رئيس المجلس المحلي بجزاز^(١) الذي هو المسؤول الأول ولديه اطلاع كامل وكل الشواهد والتسجيلات التي تثبت السب ولعن الخلفاء، وتكفير المسلمين، وعلاقاتهم بإسرائيل، وكل ما يثبت تدخلهم المباشر بالقوة مع اغتصاب الأراضي مع أملاك "الحامدي" التي هي وقفاً من سائر الأوقاف، إذ لا ملك للأجنبي الدخيل الغاصب المغتصب على أرضنا، الذي يدعي الربوبية، وأنه مالك النفوس وضامن نجاحها، يدعي اليوم أنه من قرية من شمال اليمن اسمها "بهره" لهذا لقب الطائفة بـ "البهرة" وهو يدعي ليخدع أهالي "الظهرة" الذي جعل اللعن

(١) هو الشيخ مقبل الغيل عضو مجلس النواب لعام ١٩٤٤م وعقيد في الجيش، استشهد في حرب الانفصال

والمقاطعة طيلة هذه السنين رغم تعبدهم وسجودهم بين يديه، ولما دفعوا مبلغ مليون دولار على جميع التجار تكفيراً لذنوبهم وعلى رأسهم التاجر/ محمد علي محسن الظهرة "المستثمر تجارته على يد الهنود" البهرة" في أفريقيا والخليج، كتب الداعي الذي يقول كلامه الحق مع ولده عظيم الشأن سيد شباب أهل الجنة، مالك الدنيا والدين، من حساب الخلائق على يديه، فهو قابل التوبت، غافر الذنوب، شديد العقاب، مما جعل أهالي "الظهرة" يتزعمهم "محمد علي محسن" و"ناجي عبدالله"، و"محمد ناجي عبدالله"، و"علي ناجي عبدالله"، والحبشي الملقب بـ"القمادي"، والمولد الحبشي "صالح يحي الظهرة" ومن يجري مجراهم مثل "عبد الله علي الخدر"، الذي كان قبل عامين مقوت واليوم يشتري أراضي وبنيات بحوالي عشرين مليون ريال، و"علي حسن ثابت المري" وغيرهم من حزب الشباب المقهورين، ومن المتطرفين الذي لا يعرفون من الدين إلا اسمه، وأعطي لهم الصلاحيات، ورفع عنهم جميع التكاليف المفروضة، وجعل (تفاديهم) وأخذ العهود عليهم مع آبائهم أنهم فدايين، كما أبلغ العمال والمشايخ حتى كل المحلات والمدن وأبلغهم أن هؤلاء هم شباب أهل الجنة وأن كل من يخالف أمري وأمر والدي أو يعترض فعذبهم بيد الشباب تحت إشراف "الحزب الخاتمي" وعلى رأسهم الحبشي "محمد القمادي" و"صالح يحيى" المولد الحبشي وهو المعتمد، وقد جعلوه منذ سنتين وله عده مسابقات رئيس المحابر التابع للداعي وولده الرب المعبود والمكفر للمسلمين أخزاه الله في عذابه.

فيا إخواني أناشدكم بين يدي الله، هل هذا الكشف للمؤامرات وكلما رفعنا

ناشدتكم الله عمل وطني، وواجب ديني، أم هو باطل وافتراء؟!؟

لأن "إسرائيل" بدعم الصهيونية العالمية، ومنظمتها السرية، وقوة رؤوس أموالهم، استطاعوا أن يجعلوا أمريكا والبرلمان الحاكم تحت أيديهم. وقد يتغلب هذا الهندي الذي عبدناه وحملناه حسب أمره وأمر والده جبراً مع امرأته على أعناقنا، وهو منتعل متكبر، ومتجبر علينا، خادع لنا أن كل من حمل عرشه فهو في الدرجة العليا مع ما يسمى "أم المؤمنين" هندية لاتعرف اللغة العربية، وولده يلحن في القرآن فهم يستخدمون (ض) و(ظ) (ز) فهم يقولون: "غير المغزوب عليهم ولا الزالين" أو "الزحى" [يعني الضحى] هكذا قراءتم محرفين الألفاظ، ومحرفين لمعانيه.

ناشدتكم الله، هل يجوز لكم يا أعضاء مجلس الشورى، ويا علماء اليمن الكرام، يا أهل الفتوحات في جميع الدنيا، بكم قام الدين، وبكم انتشر الإسلام، ومنكم تعلم الإنسان فـ"الإيمان يمان" لا برهمي، ولا هندوكي، الكعبة يمانية والركن يمانى، والحكمة يمانية، فكل أسس وقواعد متينة في الدين هي فيكم ومنكم تفرعت وبكم اهدتوا، واليوم يأتي، ويتحكم، ويدمر، ويقتل ويشنع ونحن نستغيث ونرفع إلى كل الجهات، ولا نجد معيناً إلا الله عزوجل، الذي "يحق الحق ويبطل الباطل".

الجميع يعلم أن عملاء ابن الداعي مع ولد عمه هم صدموني عام ٨٦م وكسروا ساقى الأيسر، وجنبهم الذين حاولوا إطلاق النار عليّ خارج الصباحة من بني مطر ولا لا قدر الله وحرافة السواق محمد بن حسين الهمداني أبحانا الله، ورغم ما شكونا في حراز، وثبت لدى مدير الناحية وسجن أحد اشباب يدعى محمد حيدر الصيبي، وثبت أن الدافع له عند اطلاقه بدون ظمين على يد التاجر محمد على محسن الظهري الموهين للنياحة بقوة المال.

ناشدتكم الله وفي صنعاء وسط العاصمة في شارع عصر غرفه الصين وأنا في منزل نسبنا حسين الخرازي حفظه الله وأبناه الذي بارد وقد قام فرد العملاء وهم الحزب الخائمي يرأسهم الحبشي أصلاً والملقب بالقمادي.

واليوم مضى لنا في صراع معهم منذ عام ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩ حتى دخلنا عامنا الجديد ٩٠م ناشدتكم الله، وأنا بمفردي بعث كل ما أملك، وأصبحت مديوناً، وأنا أطلب منكم بعد الاطلاع على كل ما كتبنا إقناعي إذا كان ما يقوله الداعي وولده، أن كل ما شاء الله لهم، وأن الأفلاك والبروج تخدمهم وتسير بأيديهم، إذا شاءوا يخفون بأي أرض، وهم يقولون: إن الزلازل، والحروب، والفيضانات وكل ما يحدث في العالم هو بأيديهم.

وأنا لا أطلب من الحكومة إلا إعطائي حقوقي وممتلكاتي، وأغادر من "حراز" حيثما تأمر الحكومة حتى ولو سجن مؤبد، لأنه قد ثبت أن الدنيا مسير بيد المهتمين للإسلام البراهمة "البهرة"^(١)، فهذه أحزابهم يتحدون الدولة، ويتظاهرون بمقاطعة جميع المساجد، ويصلون في المنازل، يسبون، يلعنون، يعتقدون، كل هذا عبادة، ومعجزة ولن تقدر أي قوة في الأرض حبسهم، أو زجرهم لأن الداعي وولده هو الناصر لهم وأن النصر بأيديهم، وهو يدعوهم بهذا الدعاء "اللهم انصرني على كل عربي ومسلم، وأمر وناهي، وكافر ومجوسي".

(١) ولك أن تصدق أن كل هذه النداءات والاستغاثات لهذا المواطن المسحوق قد ذهبت في الهواء، وأنه مات مقهوراً مدفوعاً بالأبواب يخاطب مسؤولين بلا مسؤولية، وحكام محكومين بالمال، لا قيمة لشيء عندهم إلا شيء واحد اسمه المال.

بدأ بالعربي والمسلم والآخر وهذا ما ذكر في صحيفة "الإرشاد"^(١) [الشهري]؟
والذي حاربها وهدد رئيس تحريرها.

أنا أفصح لكم كل الحقائق، ونحمل رئيس المجلس المحلي المسؤولية بأن يسلم
لكم كل ما لديه من وثائق شرعيات، وفلم تصوير وتسجيل، وأوامر محتوم بختم
الداعي ووزارته المسمى "الوزارة السيفية" [المكتوب عليها]: "أدام الله فيها" وما
يسمى "الدعوة الطيبية" المكتوب عليها "أعلا الله منارها" واستغفار الداعي لعلماء
المسلمين الغيورين على دينهم في الهند، والذين لقنوه درساً يعرفه (أي: المسلمون في
الهند) وقتلوا وجرحوا من أتباعه المئات، وأعدموا مئات السيارات والدكاكين
بسبب لعنة الخلفاء المسلمين حتى كتب واستغفر، واعترف بخطئه، وتعهد بعدم
العودة، وغرم (٢٧) مليون روبية.

وأتى هنا في موضع الإيمان، ومنبع الإسلام، يلعن ويكفر، ولم يجد إلا
الشيخ/ غالب علي محسن العزب، الذي استنكر ما حدث على الولد الجندي
القردي عندما اعتدى عليه الحبشي القمادي وأخرجه من مجلس ابن الداعي من
مطلع هذا العام، وكاد يفجر المجلس بالقنابل، وكان هناك عساكر وكان هناك
ولد القرصي عبد الله وآخرين، وهذا الحبشي وأعضاء الحزب الحائمي، يتعاصرون
مع المذكور وكان مدججاً بالسلاح وأربع قنابل وجلس بعد المصالحة في مجلسهم
ومن بعده وكيل القائد مطهر الجريدي وأمر ابن الداعي بإعطائهم من الخازن عبد
الله الخدر.

لا نقول هذا افتراء حصل رأي العين في شهر محرم مطلع هذا العام ثم في شهر
صفر ٥/٧ وفي شهر ١٠/١٩٨٩م نفس الشيء وفي الآخر تعهد أن يكون منهم.

(١) يريد مجلة (الإرشاد) التي كانت تصدر من الأوقاف وكان يرأس تحريرها الاستاذ: علي الواسعي.

ناشدتكم الله والحرس مرتبين لقلعة الحطيب والحصن وجميع المنافذ كلهم من شباب أهل اللجنة لا افتراء على أحد هذا أمام مسؤولي حراز والشرطة العسكرية، وكل من كان في الخدمة عزيز حمادي والعزي محب وأخيه، وكل من حضر من مناخه من هذا وذاك.

إذا كان إخواننا أهالي شرقي حراز خائفين، كما قال راشد الحطيب^(١) أننا عارفون وهددوننا أهل الحطيب ومنعونا من السلام عليه وتقبيل أقدامه بركة، ولكن نحن خائفون (قول راشد الحطيب) من مولانا لا يدعو علينا ويخسف بنا، أعوذ بالله من سوء الخاتمة مع رجل متعلم يعتقد أن الحياة والموت، والخير والشر هو من الداعي والله -عز وجل- الخالق، الواحد، القهار يقول: فما أصابكم من خير فمن الله عز وجل وما أصابكم من شر فمن أنفسكم [كذا].

فالخير من الله، والشر من أنفسنا.

اطلبوا صورة التاريخ كيف غزا الهندي "حسين بن نوح" و"يوسف نجم الدين" وردة على الإمام "مظهر شرف الدين" إذا كان لديك جبل من رصاص لدينا جبل من ذهب وفضة، استعان بالترك الشراكة وأخرجهم لليمن، دمر البلاد من "زبيد" و"حراز" دمر حصونها، وقتل رجالها، واستباح الممتلكات حتى وصل "طيبة" و"همدان" وحكم عشرين سنة انكشف لهمدان سيطرته كالهنود وعملائه على خزائن "الصليحيين" وهرها هذا الهندوكي إلى "الهند"، حاربوه وسجن خمس سنوات "صنعاء"، وهلك ودفن في "طيبة".

(١) ليس من أهداف الكتاب ذكر الشخص، والأسماء ولكن مداخلة الرسالة بالأفراد جعلت من الصعب الفصل وحذف الأسماء عن المضمون وللتذكير فقد سبقت للشيخ راشد وثيقة عبارة عن رسالة شكوى ضد السلطان ولكن الخوف هو الذي يجعلهم دائماً يتوقفون عن مواجهته.

وفي عام ١٣٢١ هجرية استعانوا بالترك بـ "حراز" بواسطة الهندي "اسيتوري" وخربوا حصون إخواننا أهالي "الثلاث"^(١) الذين لقنوهم الدروس القاسية، وخربوا القبور التي كانوا يعبدونها، فاستغلوا الترك وأخذوا البلاد على غفلة لازالت البيوت مدمرة في بلادنا "الثلاث" حتى اليوم وحصن "الخطيب" و"الجيل" و"شباب" هي أصلاً من حدود بلادنا "الثلاث" ليست "يعبرية" حسبما حكى تأريخ "إدريس عماد الدين".

هذا تأريخ مخطوط لا افتراء، وسيأتي اليوم الذي يتربصون مع "اليهود" ويهاجمون اليمن، يشهد الله ورسوله، وإذا غشنا أو خادعنا، أو افترينا، أننا مع الكثير مطلعين.

كم من التجار والشباب مع "الحزب الحاقمي"، ذهبوا إلى "إسرائيل" عن طريق "القاهرة" من طريق "السويس" و"رفح" على كروت (!) ولا تسجل ختم إسرائيل في الجوازات، فهذه إعدادهم أمام المسؤولين، وأمام كل مراجع مئات في "وزارة العدل" تحدي وخرقاً سافراً لأنظمة الدولة، معلنين ولاءهم واستشهادهم على داعيهم، وهناك مساعدة لهم لا يمانعهم أحد، الأمور كلها بيد الحامي "محمد غالب الجبل" هذا طالب من الجامعة بالهند دُرِّب على الاحتيال وجس النبض في الحكومة، مدعوم من "الهند" بكل الوسائل المادية والمعنوية، طلب قبل عامين، ثم في شهر رمضان العام الماضي، اجثوا ستجدون كلما رفعنا وقع العسكر وغيرهم بيده مندوب الداعي من الطلبة الذي تعلم في "الهند" ويخرج كل سنة لاستلام الزكاة وإرشاد النساء والشباب، وهو اسمه "أحمد علي محمد المعقابي" وهو متزوج من

(١) بلاد الثلاث في حراز منطقة مشهورة في التأريخ بحروبها وعدائها الشديد ضد القرامطة في حراز، ولا يزال العداء مستحكماً حتى اليوم بين الطرفين.

"الهند" وأولاده في "الهند" يخادع الله لا يزال في الدراسة، هل يتوقع أن رجلاً يدرس خمسة عشر سنة. هذه العمالة الذي ذكرنا مع زملائه (...) إن كلما رفعنا واقع ولا يهمننا السجن في سبيل الوطن.

وشكراً

غالب علي محسن العزب

إن ما قرأناه في هذا الفصل يعكس مدى أزمة التصور الفكري والاعتقادي لدى هذه الطائفة يظل دائماً في مهب الريح، ورهنًا بوسائل احترازية قمعية، بالغة القسوة وما عدا ذلك فليس له من ركيزة خلا العاطفة وانتهاج سياسة التغليف والتجهيل، وتوزيع أدوار الاستغلال والسمسرة الذي يمارسها شريحة التجار والمتنفعين منهم في أماكن تواجدهم من العالم، على أنها مع ذلك تحمل ورائها من الأبعاد والمخاطر الشئ الكثير، والأهم منها جميعاً هو حجم العنف الذي يواجهه أي فرد منهم يعلن التوبة وهجر المذهب، ولكنها أساليب الفكر العاجز التي لا تزيد التائب سوى إيماناً بخطأ ما هم عليه.

وسيالاحظ القارئ أن هذه الرسالة تحولت إلى مجرد بث أحزان تتسم بالبساطة والعفوية، لأن صاحبها أراد تفرغ كل ما في رأسه بصرف النظر عن الجهة التي أرسلها إليها.

وقوف مشايخ حراز إلى جانب الشيخ :

لقد كان المرحوم/ غالب علي محسن أكثر جرأة وصلابة حتى آخر يوم في حياته، لقد خسر بعض متع الدنيا، ولكنه كسب نفسه وربح رضاه ربه، وكسب تعاطف الخيرين، وفي مقدمتهم مشايخ حراز الذين نصره عندما خذله بعض أفراد عزلته خوفاً من سلطة رجل غريب قادم من شبه القارة الهندية.

والوثيقة التالية واحدة من الرسالة التي أرسلها مشايخ حراز لتضامن مع صديقهم المنكوب، وهي موجهة لرئيس الجمهورية بتاريخ ٢٠/٢/١٩٩٠م.

وثيقة رقم (٢٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن لم يعر للعدل غاية جهده فمشواه حبس المجرمين جهنم

إلى فخامة رئيس الجمهورية القائد العام الأمين العام

العقيد / علي عبد الله صالح
حفظكم الله

وبعد:

فإن الشيخ/ غالب علي محسن كان من الطائفة الإسماعيلية التابعة بولائها لسلطان البهرة في الهند، لما عرف الحق حقاً والباطل باطلاً وآمن بالله ورسوله وقال إنني من المسلمين، وبين للجهات المختصة وللناس عقائد الإسماعيلية الخبيثة، وكشف عن أسرارها ومبادئها الذميمة، واعتقادهم بأن من لم يؤمن لمحمد برهان الدين هو كافر، استغاض أهل ملته مواطني شرقي حراز، ونصبوا له الحبائل وأباحوا دمه وماله وأهله وتآمروا عليه بالضرب في حرم أمن لواء صنعاء غير مباليين، لأنهم يتغلبون بالبذل والسخاء على الحق بالباطل، لا سيما وابن سلطان البهرة بين أظهرهم في صنعاء يوجبون طاعته وتنفيذ أوامره، وإليكم نبذة قصيرة من إيضاحات الشيخ/ غالب علي محسن.

١- تشكيل حزب من الشباب والسواقين، والجنود ويطلق عليه حزب (الفيض الحائمي).

٢- تشكيل حزب آخر يطلق عليه حزب (شباب أهل الجنة).

٣- شراء أسلحة الحزبين المذكورين بنظر الهندي (مضرداود) أحد الدعاة

الموجودين بصنعاء.

٤- سحب أربعة مليون دولاراً من خزانة الحامدي بالخطيب لتفريقها ذات اليمين وذات الشمال لإغراء ضعفاء النفوس الذين لا يهمهم مصلحة الوطن.

٥- تسوير الخطيب مقر دعوتهم، وتشديد البنايات الضخمة والفنادق والمقامات وغيرها مما يطول شرحه.

٦- ترتيب حصن الخطيب، والمحاولة للاستيلاء على حصن شبام.

٧- شراء أراضٍ بصنعاء باسم "فضل عباس" وغيره، وفي السرهى للهنود.

ولكن للأسف ورغم أن هذه المعلومات الخطيرة والتي رفعت إلى كثير من مسؤولي الدولة وإلينا، لم يلق الشيخ المذكور أي دعم أو حماية وإنما تعرض للضرب والحبس والتهديد بالقتل، كل ذلك لأنه آمن بالله ونبذ ما كان عليه.

ومن الجدير بالذكر يا فخامة الرئيس أن سكان حراز البالغ عددهم ثمانون ألف يدينون بالإسلام الحنيف أصبحوا يتعرضون لشتائم الناس وذمهم وقد حدثت فتن كثيرة بسبب عمهم بالتهمة أنهم قرامطة وبهرة تابع برهان الدين الهندي، وخاصة بعد نشر الأفلام وهم يحملون عرش ربه - محمد برهان الدين - ثمانية.

مع العلم أن تلكم الشرذمة الموالية للهندي لا تساوي واحد في المائة من نسبة عدد السكان في القضاء، لهذا فإننا نطالبكم باسم أبناء قضاء حراز الإفراج أولاً للشيخ/ غالب علي محسن وتوفير الحماية له، والسماح له بالإدلاء بالمعلومات التي يحملها في صدره، وأن يقف أمام العدالة مع أتباع الهندي لينالوا جزاءهم العادل لمخالفاتهم مبادئ الميثاق والدستور الدائم، وهو عدم الولاء لله والوطن وللشريعة الحمديّة، واعتقادهم القبيح أنها لا تجب صلاة الجمعة والجماعة وكل الفروض إلا بوجود إمام لهم، فهذا ما نرفعه إلى فخامتكم ونطالب بمنع الهنود من دخول المنطقة

لما في ذلك من الأخطار على المنطقة وهدم القبة التي تجمع المحرمات واختلاط النساء بالرجال، نناشدكم الله بعدها ألا تلوّمونا بشيء.

٢٠ رجب ١٤١٠هـ

٢٠/٢/١٩٩٠م

التوقيعات :

الشيخ: غالب مسعد	شيخ بني خطاب
الشيخ: عبد الله عمر	شيخ / مسار
الشيخ: عبد الله القانص	شيخ / بيت القانص
الشيخ / مقبل الغيل	شيخ / المغاربة وبني حسن
الشيخ: أحمد الشامي	شيخ: بني عطية
الشيخ: عبد الله علي راجح	
الشيخ: حميد صالح حمود	
الشيخ: حسن دبلان	

وبقي قرابة عشرين توقيعاً لم نتمكن من تحقيق أسماء أصحابها (انظر في ملف الوثائق).
وها هنا ترى وثيقة تكفير لهذه الطائفة بخط الإمام يحيى حميد الدين منذ عام
١٣٤٦هـ.

فتوى الإمام يحيى بن حميد الدين بتكفير هذه الطائفة

نص الوثيقة التي مهرها الإمام يحيى حميد الدين بخطه " أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين " يحيى حميد الدين. نصره الله.
نصها ما يلي:

وثيقة رقم (٢٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم كل موحد يطلع على هذا، أن الفرق الباطنية التي قد أمكن الله من بعض رؤسائهم، وجمع من الذين سودوا علينا أعداء الله العجم منهم، وأطلعنا الله على ما يخفونه من الكفر، وإنكار الصانع الحكيم، وإنكار الشرائع الإسلامية والقول في كل حكم وكل لفظ من أحكامها وألفاظها (الشرعية) ^(١) إن باطنه غير ما عليه أهل الإسلام إلى غير ذلك من الترهات والأوهام، وهم مع هذا يفعلون من الأفعال المضرة بأهل الإسلام فعل المحارب، ويتهكون منهم كل حرام، فأجنا للمجاهدين دمائهم وأموالهم أينما وجدوا أو على أي صفة كانوا، حتى يصح ويتحقق إسلام من يجدد إسلامه منهم.

وحيث أنهم يخالطون في البلدان أهل الإسلام، ويتزيون بزيهم، ويتمظهرون بأنهم منهم، حجرتنا المجاهدين عن الإقدام إلى من لم يعلم كونه منهم، ولم ينتم إليهم، ويعتقد معتقدهم، من ذلك المستثنى الزيدية القاطنون في مناخة وما إليها، وهذا بيد المحب علي حسين الشيبه ليكون من جهة المجاهدين مع الشيخ الجمالي علي بن علي السلامي حماه الله ويكون عمل علي حسين بمعرفة الشيخ الجمالي

(١) كذا في الأصل ولعل المقصود الشرعية.

رؤیة من الداخل
ومن انضم إلى علي حسين الشیبة من المجاهدين أيضاً جملة المجاهدين بتاريخ
٢٠ / ربيع أول سنة ٣٤٦.

الختم:

(أمیر المؤمنین المتوكل علی الله رب العالمین)

انتهی بنصه،،

الباب الثالث

قواعد الفكر التدميري الإسماعيلي

في ضوء العقل والنقل

أولاً: القول بباطن القرآن.

ثانياً: تكفير الصحابة والتشكيك في عدالتهم.

ثالثاً: القول بعصمة الإمام.

رابعاً: القول بالغيبة والرجعة (الستر).

خامساً: التحلي بلبوس حُب آل البيت.

سادساً: فرض سلاح التجهيل، والإقصاء ضد أتباع

الطائفة.

الفصل الثالث

قواعد الفكر التدميري الإسماعيلي

في ضوء العقل والنقل

ينطلق المنظرون الإسماعيليون^(١) في تعاملهم مع الإنسان من نظرة دونية تجاهه، تفترض أنه حيوان بليد، لا يحسن فهم الحقائق، ولا يستطيع تمييز الغث من السمين، أو مجرد مخلوق بدائي ساذج يمكن تطبيعه على تقبل الولاء والطاعة دون أن ينتظر منهم مسوغات وجيهة لتلك الإملاءات السلطوية، والأفكار الاعتقادية الغريبة.

ومن هذا المنطلق جاءت الأفكار الإسماعيلية وهي مشبعة بالجرأة على الإدعاء والطرح، تستهجم العقل وتستغيبه بل تراه في أدنى درجات الانحطاط والضلالة.

فهي تتحدث عن الخرافات والأساطير، وتتفنن في ابتكار طرق التدليس وقلب أوجه الحقائق بطول نفس وروح مثابرة.

ومع ذلك، وعلى قدر ما تحمله هذه الأفكار من الغرابة الشديدة في الغالب، إلا أنها ما لبثت أن وجد لها الأتباع والأنصار، لتصبح آيات مسموعة وخطب مسجوعة، ولتسند في سبيلها الجموع الغفيرة، وتترك تأثيرها البالغ في تأريخ الإسلام والمسلمين.

وإذا كان العقل في الإسلام هو مناط التكليف، وأساس التمييز باعتباره الفارق المميز بين الإنسان والحيوان، وإذا كان استخدامه في الإسلام مطلباً عقائدياً

(١) من المهم الإشارة إلى أن ما ستناقشه من أفكار هنا ليست خاصة بالإسماعيلية وإن كان خطابنا قد استمر تجاهها بل ويدخل في ذلك الإثنا عشرية والروافض وأضرابهما.

لا غنى عنه، فإن النزوع إلى التأمل الواعي والتفكير الحر بالنسبة للفكر الإسماعيلي يعتبر حالة مرضية لا تتم عن صلاح الفرد وصحة التزامه، فالأفضل أن يبقى الفرد عضواً متلقياً، وأن يتعلم فضيلة الصمت أمام أئمته، وأن يظل مستمعاً أكثر منه متكلماً، لأن المذهب لا يطبق الاستفسار ولا النقاش، فكل بنيانه قائمة على غير أساس من العقل أو المنطق، وهل مبدأ (الستر) أو (التأويل الباطني) أو (العصمة) أو حتى دعوى (حب آل البيت) في الفكر الإسماعيلي قضايا تحمل تناوها على بساط البحث؟ وهل يمكن أن تصمد أمام نواميس الكون، وقوانين الحياة، ومعايير العلم، وهي إنما بنيت في الواقع على أنقاض هذه القواعد؟

إن ديناً أو مذهباً يكون أساس اعتماده على رصيد العاطفة، وبمجرد الطاعة العمياء، مذهب بدائي لا يستحق البقاء، فما بالنا بأناس يدعون انتماءهم لدين الإسلام، هذا الدين الذي جاء حرباً على الخرافات والكهانة والشرك، وداعياً إلى إعمال العقل والأخذ بأسباب العلم والتعلم في مئات الآيات وعشرات الأحاديث.

الحقيقة التي يجب إعادة تأكيدها في هذا المؤلف، أن الإسماعيليين ليسوا على شيء، وأن مآلديهم من الأفكار إن هي إلا جملة من الأساليب التدميرية، التي استهدفت العقل والعلم، وأرادت مصادرة وعي الإنسان وحقه في التفكير، كوسيلة جهنمية لنسف العقيدة بعد ذلك ومحو وجودها.

نقول هذا ونحن حريصون على عدم الخوض في إصدار الأحكام، ولسنا معنيين بتحديد مواقع الناس من اللجنة أو النار، بل ربما كانت حاجتنا أمس لأن نلتمس المعاذير، ولكننا أمام تغاير لا يحتمل التضليل.

وإذا كانت الكتابات حول الإسماعيلية -على كثرتها- قد وقفت عند مجرد التشخيص، ووصف الداء دون إعطاء الدواء، فإن الواجب يقتضي تجديد اللغة

وتطوير إستراتيجية الخطاب الذي يتعدى الفتيا، إلى محاولة المعالجة واستنطاق عقول القوم ومداركهم، ولا حاجة لأن نشترط معرفة النتائج، بقدر ما يجب أن ننهض بعبء المسؤولية: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الأعراف: ١٦٤) .

من أجل ذلك سنقوم -بتوفيق الله- بمحاولة جادة لمناقشة الأسس التدميرية في الفكر الإسماعيلي، نوضح من خلالها لأي شئ حكم عليها علماء وعامة المسلمين بالانحراف واستحقت حربهم وبغضهم.

أما تلك الأسس التدميرية فكما تجدها ممثلة في النقاط الآتية :

أولاً: القول بباطن القرآن.

ثانياً: تكفير الصحابة والتشكيك في عدالتهم.

ثالثاً: القول بعصمة الإمام.

رابعاً: القول بالغيبة والرجعة (الستر).

خامساً: التحلي بلبوس حُب آل البيت.

سادساً: فرض سلاح التجهيل، والإقصاء ضد أتباع الطائفة.

أساليب تدميرية لم تلجأ إليها أشهر مذاهب التاريخ إنحرفاً، حيث تحرص على المواجهة مع نواميس الكون، وحقائق التاريخ المحكومة بضوابط يصعب تزييفها، على أن هناك أساليب غير هذه كثيرة، ولكننا نكتفي بهذه النقاط الجوهرية، لنقف عندها في نقاش علمي ملتزم، على أمل توضيح ما يجب توضيحه في ضوء مصادر الشرع والواقع.

أولاً: القول بباطن القرآن

أ- إلغاء العقل وطرق الاستدلال العلمية في التأويل الباطني :

لقد كان من عظمة الإسلام أنه جعل العقل والعلم والحرية من أهم شروط التكليف، وإن لم يكن الرجل عالماً فلا أقل من أن يكون مميزاً وأن يكون حراً مختاراً.

حثّ على استعمال العقل، وحرّض على العلم والتعلم، وجعل الإيمان الحق ما جاء عن طريق الاستدلال، والتأمل الواعي، والبحث في آيات الله، ودلائل قدرته.

وعلى العكس من ذلك حيث نجد الفكر الإسماعيلي في مجمله، يعتمد إلى تحاشي دور العقل، ويتفنن في التحايل عليه، إلى أن يصبح الفرد مجرد أداة غير واعية، لا يملك سوى رصيد العاطفة والتقليد الأعمى، وتنفيذ ما يملي عليه من الأوامر الصادرة عن زعمائه دون نقاش.

ومن أظهر دلالات التحايل على قدرات الذات الواعية في الفكر الإسماعيلي، هو القول "بباطن القرآن"، وهو التأويل البعيد المتعسف الذي تتحطم معه المعايير العقلية وطرق الاستدلال العلمية، والقرائن اللفظية، ويتعارض جذرياً مع سياق النص، وأسباب النزول ومناسبته، فيصبح الرفث والفسوق والعصيان، في تأويلهم يعني "أبا بكر وعمر وعثمان" ولا يهم في الفكر الإسماعيلي ألا يكون هناك وجه شبه بين اللفظ وتأويله، أو أن يكون في ناحية من الدلالة المعجمية للمفرد، أو أن يلفظه الذوق ويرفضه العقل، بقدر ما يهمهم أن يقبل أتباعهم هذا التأويل، بعد أن يزهّدوهم في دور العقل، وجدوى التفكير، ويقنعوهم بأن التأويل الباطن حق، لا يكتمل إيمان الفرد إلا بالتسليم به، فهو علم الحقائق المخفية.

يقولون: إن المعاني الظاهرة إنما هي شريعة "محمد"، فيما يعتبر التأويل الباطني من مهمة "علي" النبي الصامت، وأبنائه من بعده، وهم الأئمة من آل البيت، فلا يستطيع أحد الاهتداء إلى حقائق القرآن الدفينة، ويغوص في محيط أسرار الخفية، غير الإمام المعصوم، المنصوص عليه من آل البيت، وله أن يمنح هذا التأويل من يشاء ويصرفه عن من يشاء.

يقول السجستاني: "إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة، هو الرسول محمد ﷺ، وصاحب الحقيقة، الوصي علي ابن أبي طالب"^(١).

ويقول الداعي/ علي بن الوليد: "كانت الدعوة الظاهرة قسط الرسول صلوات الله عليه، والدعوة الباطنة قسط وصيه الذي فاض عليه جزيلا الإنعام"^(٢).

ويقول القاضي النعماني: جعل سبحانه ظاهر القرآن معجزة رسوله، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، وهو علم متوافر بينهم، مستودع فيهم، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون، ويعطون كل أحد منه ما يستحقون ويمنعون منه من يجب منعه، ويدفعون عنه من يستحق دفعه"^(٣).

ب- الأهداف التدميرية من وراء هذا التأويل :

ولا يخفى على ذي بصيره ما في هذا الاعتقاد من بعد تدميري واضح شديد الخطورة على محكمات هذا الدين، وبمعزل عن سلطان العقل وأدوات الاستنباط العلمية، مضى الباطنيون على غير منهاج، إلا من قانون الهوى والريغ "يجرفون الكلم عن مواضعه"، ويفسرون آيات الله "بغير هدى ولا كتاب منير"، ويحملون آيات العقيدة والشريعة والعبادة ما لا تحتل من التأويلات الفاسدة.

(١) انظر "الإفتخار" للداعي أبي يعقوب السجستاني (ص: ٧١)، ط. لبنان.

(٢) انظر "كتاب الذخيرة في الحقيقة" للداعي علي بن الوليد (ص: ١١٣)، ط. دار الثقافة بيروت ١٩٧١م.

(٣) "أساس التأويل" (ص: ٣٢، ٣١).

وإمعاناً منهم في تكريس الغواية والتدليس على العوام، يقولون: نحن نعتزف بظاهر القرآن الذي هو شريعة محمد، إلا أن لكل آية تأويلاً باطنياً، وهو علم الحقائق، الذي جاء به علي وأبناؤه.

وهذا التأويل ليس ملحوظاً في السياق، ولا مفهوماً بالقياس، وليس من قبيل الكناية، ولا الاستعارة، وليس بينه وبين المعنى الظاهر علاقة كعلاقة الحقيقة بالجاز، ولا حتى علاقة مشابهة أو توافق، فإذا سئلوا عن معنى التين قالوا: "محمد"، والزيتون: "علي"، وطور سنين: "الحسن" وهذا البلد الأمين: "الحسين"، وصاروا يقولون بالشيء ونقيضه، فالأسود أسود ولكن إلى جانب كونه أبيضاً! وما أراه أمامي هو عين ما أحس به، ولكنه غيره في نفس الوقت.

ويهدف الفكر الإسماعيلي من هذا المسلك الاعتقادي في التأويل إلى تحقيق

التالي:

١- هدم العقيدة الإسلامية، ووضع أفكار وتصورات مغايرة لما يفهم المسلمون عن الله وملائكته ورسوله واليوم الآخر، فيكون "التأويل الباطن" كفيلاً يمزج الثوابت الإيمانية من خلال صرف الآية إلى غير ما وضعت له، وتطويع ألفاظها لأهداف خطيرة مفضوحة، لا سيما بعد أن تكفل الله بحفظ القرآن من التحريف، فلما فشلوا في القيام بما قام به أهل الكتاب من تحريف التوراة والإنجيل، لجأوا إلى هذه الحيلة التي صعب على العقل هضمها.

وإليك نماذج من ثمرة التأويل الباطني الذي يؤدي إلى نسف العقيدة، بعد أن أصبح لا قيمة للعلم والعقل وكل أدوات التمييز.

وإليك نماذج من ثمره التأويل الباطني الذي يؤدي إلى نفس العقيدة، بعد أن أصبح لا قيمة للعلم والعقل وكل أدوات التمييز.

قال جعفر بن منصور اليماني مبيناً (الرب) في قوله تعالى: (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) (القيامة: ٢٢) يعني: مشرقة، (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة: ٢٣) يعني: أمير المؤمنين صلوات الله عليه^(١).

ويفسر قوله تعالى: (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) (الفجر: ٢٨)، فيقول في الباطن - في بعض الشرح - أن الرب في هذا الموضع أمير المؤمنين^(٢).
"والرب في قوله (ربي أهانن) "المسمى به هو رسول الله"^(٣).

ويقول حاتم بن إبراهيم: "خمس كلمات: الله أحد، محمد الصمد، فاطمة لم تلد الحسن، ولم يولد الحسين، ولم يكن لأمر المؤمنين كفوواً أحد"^(٤).

ونحن هنا إنما نسرد نماذج مختصرة، على فرض أن القارئ ملم بشيء من هذا، أما لو أخذنا في استقراء التأويل الباطني في العقيدة الإسماعيلية^(٥)، فسوف لا نستقصيها في غير مئات من الصفحات، ولا نريد أن نستنسخ كتبهم من جديد، وكتب الذين تحدثوا عن عقائدهم، وأفاضوا فيها.

وبكفيك أن تعرف أن لكل معنى ظاهر من المعاني الباطنة، ما قد يصل عندهم إلى سبعين باطناً، وأن المعنى الباطن هو حق بيد الإمام بموجب تفويض إلهي يستخرج منها ما يشاء، لما شاء من كل معنى ظاهر.

(١) "كتاب الكشف" لجعفر بن منصور اليماني، تحقيق مصطفى غالب، ط. دار الأندلس بيروت (ص: ٣٧).

(٢) "كتاب الكشف" (ص: ٦٤).

(٣) "كتاب الكشف" (ص: ٦٩).

(٤) "الشموس الزاهرة" (ص: ٣٦).

(٥) لا يختلف كثيراً النهج الجعفري الاثنا عشري في التفسير عن منهج هذه النحلة.

ويكفيك من ذلك أن تعلم أن باطن جل آيات الكفر والنفاق، والبطش والطغيان، والتفريع والتوبيخ، والتهديد والتشنيع، إنما هي في مخالفي آل البيت المغتصبين حقهم من الصحابة، وأن جميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر (وأن الباطن من ذلك هم أئمة الجور)، وأن جميع ما أحل الله في القرآن هو الظاهر (وأن الباطن من ذلك هم أئمة الحق في تأويلهم).

وأن لفظ الجلالة، والرب، والرحمن، والرحيم، وكل أسماء الله وصفاته، هي في الباطن تشير إلى الإمام علي عليه السلام.

هذا ناهيك عن تأويل البدء والمعاد، والقيامة، والجنة والنار، وخلاف ذلك من مسائل العقيدة.

٢ - كما يرمي الفكر الباطني من هذا التأويل الباطن، إلى تجريد الله جل وعلا من أسمائه وصفاته، وإحلال الإمام محل الله، في معاني القدرة والتصرف، وتحويل مقاصد الشرع ودلالات العبودية، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، (كما سبق وأن أشرنا) إلى ما فيه خدمة أئمتهم، وإرواء غليل تسلطهم، ونهم استبدادهم، ويعطيهم سعة للعب بالدين، وتقويض أركانه.

ولقد وجدت بالشواهد الموثقة في الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب، كيف أنهم ينسبون لأئمتهم من الصفات والأفعال، ما لا يجوز إلا لله وحده، فجعلوا من الإمام - رغم وضوح عجزه، وقلة حيلته، جعلوا منه الواهب والمعطي - رغم جشعه البين وكسب رزقه من الضرائب الباهضة التي يفرضها على أتباعه وجعلوا منه الخالق البارئ المصور، وهم يدركون أنه لا يملك أن يؤخر من عمره ساعة من نهار.

ولو كان تصوير الخلق بيده، لعلم كيف يصلح من شكله الممسوخ، ولظهر على الناس بأحسن ما يكون الخلق نظارة وفتوة، لا بصور الموتى والعجائز الهلكى. وجعلوا منه الملحاً والملجأ، وهو لا يجرؤ على التحرك في أضيق الحدود، إلا خلف حراسة مشددة، ومليشيات مدربة، واحتياطات أمنية كبيرة.

وجعلوا له من صفات القدرة والمشية والخلق... إلخ، ما لم يجرؤ كفار قريش على جعل ذلك صفة لأهنتهم، بل لقد كان كفار قريش في تفكيرهم أوفى حظاً من مشركي القرن العشرين، إذ لم يكونوا يرون في أصنامهم أكثر من كونها تقرهم إلى الله زلفى: (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: ٣).

(وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت: ٦١).

(وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ) (الزخرف: ٨٧).

(وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت: ٦٣).

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (يونس: ٣١).

هؤلاء مشركوا مكة الذين جاء الإسلام لهدم وثنتهم، وتحطيم أصنامهم، فبماذا يختلف عنهم إخوانهم في القرن العشرين؟ الذين جعلوا المخلوق الضعيف الفقير بيده مقاليد كل شيء، ولجهلهم المفرط وغبائهم لا يحتاطون لأنفسهم حتى بسؤال عابر عن برهان ما ينسبون لأئمة الزبير من صفات القدرة الإلهية، فأين دليل

الخلق والصنع، من إنسان مخلوق؟ وأين دليل الضر والنفع من كائن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً؟، فضلاً عن أن يدفع عن غيره الضر أو يجلب له النفع.

وصدق الله إذ يقول: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) (الأعراف: ١٩٧).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج: ٧٣).

ويقول جل ذكره: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) (فاطر: ٤٠).

ويقول: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّةَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلَّةَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّةَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (النمل: ٦٢-٦٤).

ولا ندري كيف صلح لدى هؤلاء الباطنيين الغلاة، أن يدعوا انتسابهم إلى محمد بن عبد الله، ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو خير من مشى على ظهرها، وأفضل من نام في بطنها- لم يدع لنفسه من القدرة ما هو خاص بالله العلي القدير، فلم يزعم أن بيده التصرف في شئون الخلق، أو أنه القادر على كل شيء، - كما يزعم أصنام القرن العشرين- أو أن بيده أن يقدم أو يؤخر

شيئاً مما قضاه الله وقدره، لم يأمر الناس بالسجود أمامه كما يفعل الباطنيون أمام زعمائهم، أو يدعوهم لحمله على رؤوسهم، ليطأ بنعاله تكبراً على رقابهم.

حاشا لله أن يكون ذلك من خلق وسجايا النبي ﷺ، والذي إنما أرسل لتحقيق العبادة المحضة لله عز وجل، والخضوع، والتسليم المطلق له وحده: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ) (آل عمران: ٧٩).

كان النبي ﷺ يتحدث مع الصغير والكبير، والغني والفقير، والحر والعبد، - على حد سواء- لم يكن يحول وجهه عن محدثه حتى يكون محدثه هو الذي يحول عنه نظره، ولم يكن ينزع يده من يد رجل سلم عليه إلا أن ينزع الرجل يده عنه، منع أصحابه من القيام له تكريماً وتعظيماً لشرف مكانته، فقال: "لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم لملوكها"، كان ﷺ، يقوم بمؤونة أهل بيته فيجمع الخطب، ويقم البيت، ويرقع الثوب، ويخصف النعل، كان كما وصفه ربه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤).

فهذا هو نبي الإسلام محمد ﷺ، فهل للإسماعيليين محمد غير محمد بن عبد الله، فلو كان محمد بن عبد الله هو قدوهم لما ابتعدوا عن هديه كل هذا البعد، ولو عدنا إلى نظام النطقاء في الفكر الإسماعيلي، سنجد أن محمداً الذي يتحدث عنه الإسماعيليون إنما هو "محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق" لأنه سابع النطقاء، والسابع من النطقاء عندهم -يأتي ناسخاً لشرعية من قبله- وهذا ما يؤكدونه في كتبهم.

٣ - كما يهدف القول بأن للقرآن بطن وظهر أو (باطن وظاهر) إلى إلغاء الشريعة المنزلة كالحودود، والمعاملات والمواريث وإبدالها بجملة من التخريفات،

والهرطقات الوثنية، التي لا تمت لشريعة محمد بن عبد الله بأي صلة، حيث أصبح الخمر، والميسر، والزنا، ومعنى الربا... إلخ، تحمل مدلولات ومفاهيم بعيدة كل البعد عن المعنى المراد منها في القرآن.

وهذا معنى الزنا عندهم، يقول جعفر بن منصور: "الزنا في الباطن: التقصير وكشف الستر له، والدعوة بغير إذن، فلا يحل لك أن تفعل ذلك"^(١).

ويقول في تأويل الفحشاء، والمنكر، والبغي: (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) (النحل: ٩٠)، فهذه الأسماء الثلاثة التي ينهى عنها أن تقع على الثلاثة الذين ظلموا أنفسهم، وظلموا علياً، وتعدوا على مقامه من قبله، فنهى الله عن فعلهم وعن أتباعهم"^(٢) (يقصد الخلفاء الراشدين الثلاثة).

ومثل ذلك: "الرفث والفسوق والعصيان" وكذا: "الخمر والميسر والأنصاب والأزلام" ليست المحرمات المادية كما يفهمها أهل الظاهر، بل هي الصحابة عندهم وأعداء علي، وكفى بهذا علماً وفهماً.

ولذلك عندهم أن أحكام الحلال والحرام، والفروض، والعبادات، إنما هي مسائل يتلها بها أهل الظاهر (أي المسلمين)، ويجادلون فيها وينفقون أوقاتهم فيما لا طائل من ورائه، لأنهم بعيدون عن المعنى الحقيقي لها، والذي لا يوجد إلا في الباطن ولا يعرفه إلا الأئمة منهم، يقول مصطفى غالب: "إن ما ظهر من أمور الدين من العبادة العلمية، وما جاء في ظاهر آيات القرآن هي معان يعرفها وينطق ويجادل ويناقش بها علماء أهل الظاهر، ولكن في العرفان الإسماعيلي لكل فريضة

(١) كتاب "الكشف" (ص: ١١٤) جعفر بن منصور اليمن.

(٢) المصدر نفسه.

من فرائض الدين تأويلاً باطنياً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم وأبوابهم ودعواتهم، لذلك جعلوا الأئمة المرجع في تأويل الرموز وكشف بواطن الأحكام" (١).

والذي يصل إلى معرفة التأويل الباطن تسقط عنه جميع الفرائض والواجبات، انظر ما قاله محدثهم الأكبر "المفضل بن عمر الجعفي" مدعياً أنه رواه عن أحد أئمة أهل البيت وهو جعفر الصادق - عليه السلام - حيث زعم أنه سأل جعفرأ في تفسير قوله تعالى: (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) (الزخرف: ٣٢) قلت: يا مولاي، هل علينا - نحن - معرفة هذه الدرجات؟

قال الصادق: نعم، من عرف هذا الباطن؛ فقد سقط عنه عمل الظاهر، وما دام لا يعرف هذه الدرجات، ولا يبلغها بمعرفته، فإذا بلغها وعرفها منزلة منزلة ودرجة، فهو حينئذ حر، قد سقطت عنه العبودية، وخرج من حد المملوكية إلى حد الحر باشتهاته ومعرفته.

قلت يا مولاي: فهل ذلك في كتاب الله، قال: نعم، أما سمعت قوله تعالى: (وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ) (النجم: ٤٢)، فإذا عرف الرجل ربه فقد انتهى للمطلوب، ولا شيء أبلغ إلى الله من الوحدانية والمعرفة، وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين، وأما من قرأ وبلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأها لك فقد أعتقه من الرق ورفعته عنه الأغلال (٢) والأصفاد وإقامة الظاهر" (٣).

(١) من مقدمته "للكشف" (ص: ٧).

(٢) وفي هذا تأكيد لما ذكره محمد بن مالك الحمادي في كتابه الشهير "كشف أسرار الباطنية" من إسقاط الشرائع، وإبطال الأحكام، وتحليل المحرمات، وقد عرف ذلك الحمادي من خلال تظاهرة بالدخول في مذهبهم، وكشف أسرارهم بالتجربة والملاحظة

(٣) "ألهمت الشريف" (ص: ٤١).

وهذه من الطعنات النجلاء التي سددها الباطنيون في صحة وسلامة عقيدة آل البيت، من خلال حشد الافتراءات واختلاق الأكاذيب ضدهم، فهل مثل هذا التفسير يمكن أن يصدر من إمام فاضل تقي - كجعفر الصادق - وهل هذا الانتحال والوضع يدخل أيضاً ضمن (حب آل البيت)؟!

وفي إسقاط الشرائع وصلاحيية الإمام في ذلك، يقول الباطني مصطفى غالب، "ولما كان الإمام يتمتع بسلطات روحية غير محدودة(!) تخوله حق التصرف في شئون الدعوة والمؤمنين بها، بحسب مقتضيات المصلحة العامة ووفق المعنى الروحي الذي يمكن تحت التأريخ الشخصي والمسائل التطورية، لا نستغرب إذا وجدنا الإمام النزارى في "الموت" يعلن أمام أتباعه في اجتماع كبير عقده في قلعة "الموت" سنة (٥٥٧هـ) بأن ساعة التخلص من عبودية الشريعة قد دفنت، نتيجة لبلوغ العلوم الباطنية الروحية الذروة [أي نتيجة للانتهاء من إبدال المعاني الظاهرة بمعاني باطنة تسقطها وتصرف مفهوم الشريعة كلية إلى مفاهيم أخرى] وهذا يعني بمقتضى الأصول والأحكام الإسماعيلية أن المؤمنين قد تقدموا روحياً، فانتقلت نفوسهم القائمة بالقوة إلى درجة القيام بالفعل، وخرجت من حد القوة إلى حد الفعل، فأصبحوا مجمعاً للفضائل صفراً من الرذائل، وبذلك سقطت عنهم كافة القيود والالتزامات التي توجبها العبادة العملية - أي: الظاهر - وقامت قيامتهم الكبرى وأعلنت ولادتهم الروحانية الخالصة"^(١).

ولذلك فإن أئمتهم وما يسمى بحججهم، ونوابهم، ودعائمهم لا يقيمون الفرائض، ولا يقولون بالشرائع الدينية، ويرتادون بيوت اللهو والدعارة، يمارسون الفحور، ويرتكبون المحرمات، ويسيرون الليالي الحمراء (كما وجدت في الوثيقة رقم

(١) من مقدمته لكتاب "الكشف" (ص: ١٠٠).

(١٦) من هذا الكتاب)، ويستغلون نساء وأطفال عوامهم، أو عميانهم بالأصح باسم [البركة والتكريم... إلخ] التي يعرفونها، ويتعاملون بالربا، ويشكلون عصابات السطو من أصحاب السوابق والأوغاد والحشاشين، لممارسة ألوان الابتزاز والاضطهاد والظلم، ضد ضعفائهم، وجرائم كثيرة وكبيرة تمس الكرامة وتخدش العرض، وتصادر الآدمية المصانة في الإسلام، وكل هذا يتم من مدخل "التأويل الباطن"، فإذا سئلوا عن ذلك، قالوا: لهذا أصل في علم الكشف الباطن الذي لا يعرفه غيرهم.

٤- لما قدح القداحيون في عدالة صحابة رسول الله، وكفروهم، ووصموهم بالردة والنفاق، وجدوا أن كلام الله يدحض افتراءاتهم ويشهد للصحابة بالإيمان تارة، والصلاح تارة، والإخلاص تارة... إلخ.

ويشهرهم بجنات عدن ورضوان منه، ففروا من هذا الحق الأبلج، كما يفر الشيطان من نداء الحق، ولجئوا إلى تأويل الهوى وكتاب الزيغ، ينقبون عن معائب ومثالب في الصحابة من المهاجرين والأنصار، وساروا كعادتهم يلوون أعناق الدلالات الواضحة لأي الذكر الحكيم، بحيث يجعلون منها منطلقاً للتأثر ممن دان على أيديهم دولة الجوس والصليبيين وعبدة الأوثان.

وهذا ما قاله لنا -التأويل الباطني- في رموز الفتح الأوائل من الصحابة، يقول جعفر بن منصور اليماني، في تفسير قوله تعالى: (فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة: ١٩٧) "هم: أبو بكر وعمر وعثمان"^(١).

ويفسر الآية: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا) (الفرقان: ٢٩) أي: عمر لأبي بكر"^(٢).

(١) "كتاب الكشف" (ص: ١٢٥).

(٢) "سائر النطقاء" جعفر بن منصور اليماني، (ص: ٣٠) (نسخة خطية).

وأما ضياء الدين الإسماعيلي فقد كفر الصحابة في مواضع لا حصر لها من مؤلفاته، حيث جاء في تفسيره لقوله تعالى: (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (النمل: ٤٨) قال: هم الثلاثة، ومعاذ وعبيد وسالم وعبد الرحمن ومعوية وعمرو وطلحة والزبير، إنهم رأس الضلال في كل دور من أدوار الستر^(١).

وينسب "الشيرازي" إلى الرسول أنه قال: "أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين" فقال: فقد أنكر المسلمون علياً، فإذا هم أولاد الزنا".
فالمسلمون - وليس الصحابة فقط - هم أولاد الزنا في نظره.

وهكذا يصبح هذا التأويل الباطل الذي يسمونه بالباطن، معول هدم وأداة تدمير، ويمكن أن يطال أي شيء من أسس الدين، باعتباره تأويلاً لا يخضع للضوابط ولا يقرها، ولا يحكمه غير الهوى والمزاج، وكذا خطط المسخ الباطنية المعروفة.

ج : دحض فكرة التأويل الباطن :

ومن المهم أن نقف من هذا الأسلوب التدميري موقف الناقد الذي ينشر الزيف على حبل الغسيل، ويعري ما فيه من دلائل البطلان وعلامات الضعف والفساد، فتقول:

١- ما الحكمة في أن يجعل الله تعالى للآية الواحدة تأويلين، متباينين، متبايعين في الغاية والهدف، إذا كان الله يريد أن يقول زيادة على ما نجده من الأحكام، والأخبار، والأوامر، والنواهي، أو حتى في موضوع الولاية والوصاية، وما

(١) من كتاب "مزاج التنسيم" (ص: ٥٣٣).

كان من مواقف بعض الصحابة!؟ فلماذا لا يذكره الله تعالى وفق ما نجده في "التأويل الباطن" ووفق ما يريده الباطنيون، وكيف نفهم قوله تعالى: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨)؟!

٢ - الباطنيون يقولون: إن علم الحقائق إنما هو في التأويل الباطن، فهذا الله يقول: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) (الجاثية: ٢٩).

قال: "ينطق"، ولم يقل: "يتضمن"، والحق يشمل ما يتصل بعلوم العقيدة، الشريعة وغيرهما، وقال تعالى أيضاً: (آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) (الصفافات: ١١٧).
قال: "المستبين" ولم يقل: "المستتر".

ويقول: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) (الأنعام: ١١٤).

ولم يقل: فصلنا شريعة النبي الناطق وأخفينا حقائق النبي الصامت.

ومثل ذلك قوله تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) (الحجر: ١).

ولم يقل: قرآن مبين وآخر مبهم.

وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام: ٥٥).

ويقول في آية أخرى: (وَأَنْ أَلْتَلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ) (النمل: ٩٢).

فقد ترتبت هداية العبد على تلاوة القرآن، أي: على آياته المنطوقة وأحكامه،

ودلالاته الملموسة، ولم يشترط قرآناً غير هذا الذي يتلى لصحة هداية العبد وعدم ضلالته.

٣- قد يقول الباطنيون: إن كل ما ورد في الآيات السابقة، من معنى التفصيل

والتبيين وما في حكمه، إنما هو خاص بالقرآن الظاهر، ودلالات القرآن السطحية،

التي تحمل أحكام الشريعة الظاهرة والتي يؤمنون بها كما يدعون، وليست متعلقة بالدلالات الباطنة، لأن لها حكمها باعتبار أنها من نصيب "علي": النبي الصامت. صاحب الحقائق الخفية، والركائز الأساسية.

ولكن ثمة آيات أخرى لا تدع مجالاً لمثل هذا الادعاء، حيث ورد فيها التفصيل بصيغة الشمول، والاستغراق لكل شيء (وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) (الإسراء: ١٢).

ويقول الله عز وجل مخاطباً لنبيه محمد ﷺ: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) (النحل: ٨٩).

فهذه الآيات قطعية الدلالة، تشير إلى أن كل شيء سواء من أحكام تشريعية، أو تعبدية، أو ما كان متصلاً بالحقائق، وأسس العقيدة، أو الأخبار، وما فيها من العبر والعظات كل ذلك قد ورد على لسان محمد ﷺ مفصلاً ومبيناً، ولم يترك الله تعالى مما أراده إلا وفصله ووضحه في الكتاب والسنة، وهذه الآيات حجة كافية بيد العباد على مولاهم ألا يطالبهم بأكثر مما خاطبهم به، ودلهم عليه.

٤- سيقول لك الباطنيون لا معدى عن التسليم بما اشتهر في عقيدتنا من أن الله أرسل أنبياء نطقاء، وهم المعروفون للناس، مع أنبياء صامتين وهم المعنيين بالتأويل واستنباط علم الحقائق..

ونحن نقول حاشا لله أن تجوز عليه هذه الازدواجية، فينزل لعباده كتاباً ظاهراً يوههم بأن فيه كل شيء واضح، ثم يجعل إلى جانبه تأويلاً باطنياً لا تدركه الأفهام، ولا تمر به الأوهام، ويرسل نبياً ناطقاً يوههم الناس أنه ينقل إليهم كل مراد الله، ثم يجعل له ضدّاً آخر من الناس يسميه النبي الصامت، يؤول كلام الله بخلاف ما بينه الناطق، ويذهب بالناس في الفهم مذهباً آخر، وتصبح كتب الله ورسله،

بدلاً من أن تكون مصدر هداية، تيارات متناقضة، تتقاذف العباد ذات اليمين وذات الشمال، فلا يدرون إن كان الله أراد المعنى الباطن أم الظاهر، ومن على الحق: النبي الناطق أم الصامت.. إلخ.

ولقد علم الله جلت قدرته ما سيكون من أمر هؤلاء الباطنيين، فرد عليهم بما لا لبس فيه ولا غموض، وأوضح بأن مهمة الرسل جميعاً لم تتجاوز مسؤولية التبليغ المعلن بالرسالة الواضحة المنزلة من عند الله، ولا شيء غير ذلك.

وصدق الحق: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النحل: ٣٥).

وقال تعالى: (وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (يس: ١٧).

حصر وقصر بأن ليس على الله ورسله إلا البلاغ المبين والواضح.

ويقول: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ) (الحديد: ٢٥).

ولم يقل: بالبينات، والمبهمات، والمخفيات، أو بالظاهر والباطن، والطلاسم والألغاز.

(فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (المائدة: ٩٢).

(فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النحل: ٨٢).

فلم يرسل الله رسله وأنبياءه إلا بالبلاغ البين الواضح المفهوم، وما كان غير ذلك فلا شأن لنا به، ولا يدخل في إطار مهمة الأنبياء والرسل، وإذا كان كل رسول يؤكد لقومه بأن ليس عليه سوى البلاغ المبين ولا شيء أكثر، فما حاجتنا إلى البحث عن بلاغ غير مبين ولا واضح، لم يشر إليه الأنبياء ولم يأذن به الله، ولم يوصنا بالاستماع إلى أحد غيرهم، أو الأخذ بشيء ممن لم ينص عليه ربنا بالتبليغ.

٥- إذا كان الباطنيون يجعلون هذا التأويل الباطن شأنًا خاصاً بالأئمة وخدمهم، كإرث ورثوه عن الإمام علي كرم الله وجهه، فلماذا ندبنا الله إلى التأمل في القرآن وتدبر معانيه؟ وقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤).

وقال: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) (القمر: ١٧).

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢).

وقال: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١)، و(لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)، و(لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران: ١٩٠) إلى آخر ذلك.

فما جدوى هذا التأمل والتدبر ومشروعيته إذا كان ذلك من حق الأئمة وخدمهم! وإذا كان علينا أن نتهم عقولنا بالعجز ونفوسنا بالضعف وننتظر فقط لتأويل الإمام وتخريصاته الباطنية؟

إن الإسلام يرفض فكرة التفويض الإلهي وفكرة الوصاية على الدين، فهذه فكرة لاهوتية بابوية، لا مكان لها في الإسلام، كما يرفض فكرة الوساطة بين العبد ودينه، وفكرة الوساطة بين المخلوق وخالقه، فلم يخلق الله البشر ناقصين ولا عاجزين، بل كل واحد يسر له سبيل البحث، وأعطاه القدرة على التأمل والاستنباط، وجعله مسؤولاً عن أقواله وأفعاله بما أعطاه من عقل، لا بما أعطى غيره من عقل.

٦- محال على الله أن يترك عباده ييرون وراء أئمة وهميين، ليتبين حقائق الدين، وأسس العقيدة، ثم لا يتولّى - سبحانه - توضيح ذلك ومخاطبة عقول عباده

باللغة التي يفهمونها، حتى لا يضلون، وحتى يكون طريقهم إلى الإيمان والتقوى واضحاً جلياً.

وصدق الله إذ يقول: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التوبة: ١١٥).

وقوله: (... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٧).

٧ - تجرأ الباطنيون بالقول بأن القرآن المنطوق (أي: القرآن الكريم) هو خاص بالشريعة، التي هي من نصيب محمد النبي الناطق، وأن علم الحقائق التي هي العقيدة بقيت من نصيب علي النبي الصامت، ولا توجد إلا في التأويل الباطن.

ولا يخفى على كل من عرف كتاب الله، وتدبره حتى تدبر، أن معظم آياته إنما تدور حول العقيدة، وأن معظم الآيات المكية التي تمثل بداية نزول الوحي جاءت حول العقيدة، وأن معظم أحكام الشريعة نزلت في المدينة، أي: أن أول ما عني به القرآن الكريم إنما هي مرتكزات العقيدة وحقائق التوحيد، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقضايا المبدأ والمعاد، ونظرة الإسلام إلى الكون والحياة، وقد جاءت الآيات من الكثرة الكاثرة في هذا المجال، بحيث لم تترك أي فرصة للقول بوجود قرآن آخر خاص بالحقائق، وأن هذا القرآن فقط خاص بالشريعة، بل هو شامل كامل لكل المسائل المتصلة بالعقيدة، والعبادة، والشريعة، والسلوك، فهل يقرأ الباطنيون كتاب الله الواضح البين حتى ينفوا عنه ما أسموه بعلم الحقائق؟ وصدق الله العظيم: (فَأِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦).

إن آيات الأحكام الخاصة بالجانب التشريعي لم يتجاوز عددها في أعلا تقدير عند بعض الآراء على ٦٠٠ آية، هي كل ما يخص الجانب التشريعي، فأين يذهب

الباطنيون بباقي القرآن إذا كانوا قد خصوا التأويل الظاهر بالشريعة التي هي من نصيب محمد - كما يقولون - وهل آيات العقيدة والتوحيد ليست من علم الحقائق حتى يضطر الباطنيون إلى اختراع نبي خاص بما؟.

د- مناقشة أدلة الباطنيين على وجود ما يسمى بالتأويل الباطن :

وقبل أن نقفل باب الحديث عن موضوع تهميش دور العلم، وتحجيم سلطة العقل، في "التأويل الباطن" أرى من المهم أن نقف لمعالجة بعض الركائز المتهاوية، التي استند عليها الباطنيون لتدعيم مذهبهم القائل بوجود هذا الضرب من التأويل.

أولها: ما نسبوه إلى النبي ﷺ، أنه قال: "ما نزلت عليّ من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن".

وما رواه أبو حاتم الرازي عن النبي ﷺ أنه قال: "ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع".

فنعول أولاً: هذان الحديثان مطعون في صحة ورودهما عن النبي ﷺ، ثم إن القاعدة الأصولية تقول: كل متن يناقض المعقول، أو يخالف الأصول، أو يعارض الثابت من المنقول؛ فهو موضوع على الرسول.

ثانياً: على فرض قطعية ورودهما، فإن دلالتهما - بالنظر إلى العقل والأدلة المعارضة - تظل غير قطعية، فهل المراد بهذا الباطن لمعنى ظاهر اللفظ الواحد، أو الجملة الواحدة، أو الحكم الواحد هو التأويل الخارج عن إطار الحقل الدلالي للمعنى المنطوق، كالترادف، والجماز، والكناية، والاستعارة، وقياس المماثلة أو المخالفة... إلخ، إذا كان المراد به هذا، وهو ما يقوله الباطنيون فهو مرفوض قطعاً، ومن المحال أن يكون الرسول قد أراد ذلك، فأبي تأويل لا يوجد بينه وبين المعنى الأصلي أي

علاقة لفظية أو حالية، أو لا يقره العقل ولا تأنس له الفطرة، أو ليس له مستند من الشرع، يكون من باب العبث والخلط والتكلف، الذي يجر إلى فتن عظيمة ويفتح باباً واسعاً للأهواء، والأمراض، والاجتهادات الفاسدة.

ولا تجد ما هو أعظم زيفاً، من أن يصبح تأويل بقرة بني إسرائيل هو "عائشة" أم المؤمنين رضي الله عنها، مثل هذا التأويل لا يقول به الكهنة ولا المنجمون، فكيف يصح عن مراد الله تعالى، ولماذا لا يذكر الله ذلك صراحة، والله لا يستحي من الحق وقد قال: (وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) (التحریم: ١٢) لماذا يقول الشيعة رب العالمين ما لم يقل؟

وإذا كان المراد بالباطن في الحديثين هو ما يمكن أن يفهم ويلحظ من الآية وبواسطة أدوات العلم ومناهج التأويل المعتبرة فهذا بابه واسع عند المفسرين.

أما ما يسمونه بنظرية المثل والمثول، فهي لعبة مكشوفة ليست من العلم في شيء، ولماذا يصبح (فرعون) ماثولة: (عمر) في التأويل الباطني، وكيف صار معنى "ليال عشر" ماثولة: "علي" في التأويل الباطني، وأين مستند ذلك من العقل والنقل!! وما أسهل وأيسر من أن نجعل من آيات القرآن بهذه النظرية الأضحوكة ميداناً للأهواء والأمزجة، فيصبح في إمكان الطفل أن يلحق ما شاء من المثولات بما أراد من الأمثال، ولا يحتاج لغير قليل من الهوى والجرأة ليكون كل شيء ممكناً.

الدليل الثاني من أدلة الباطنيين: هو قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (آل عمران: ٧).

ثم يقفون عند هذا الموضوع من الآية، لتحقيق عطف (الراسخون في العلم) على الله في حصر التأويل، وليكون المراد بالراسخين في العلم هم أئمتهم، ومن يسموهم بالأبواب والحجج من دعايمهم، والواقع أن عدم الوقف عند لفظ الجلالة قراءة شاذة

تخالف قراءة الجمهور التي تقف وقفاً لازماً عند لفظ الجلالة، لتصبح القراءة: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) وقف لازم، وتواصل بعده: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)، فتصبح الواو للاستئناف لا للعطف. ويبقى قصر الله في التأويل، المراد به تأويل المتشابهات المذكورة في الآية من بدايتها.

وحتى على فرض صحة القراءة الشاذة، فيكون المراد أن تأويل القرآن لا يمكن إدراكه لمن هب ودب، ولكنه متحصل لكل عالم مجتهد من آل البيت ومن غير آل البيت وكل من يملك أسلحة التفسير العلمية، وذلك في (المتشابهات) وهي قليلة لا في المحكمات، فهذه ممكنة لكم مسلم يمتلك الفطنة والعقل السليم.

الثالث: من أدلتهم التي يوردونها والتي يعتمدون فيها على التشابه اللغوي، الذي عادة ما يجهله العوام، هو قوله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (يس: ١٢).

فهم يقولون: نعم الله أحصى كل شيء وبينه، ولكن للإمام والإمام يقوم بدوره في التوضيح للناس وإخراج الباطن، وهذه خدعة وشبهة خطيرة عند الجهلاء من الناس، لأن مفهوم الإمام في الآية يبدو لأول وهله على أن المراد به الإمام والزعيم الديني، والمعنى غير ذلك بطبيعة الحال، بل المراد به هنا الكتاب، كما يدل على ذلك سياق الآية من بدايتها، حيث يقول: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (يس: ١٢).

أي: وكل شيء أثبتناه في كتاب واضح لم يترك شيئاً من أفعال العباد إلا أحصاها، وقيل: "الإمام المبين" هنا هو: أم الكتاب واللوح المحفوظ، فكل حياة الإنسان وما تركه فيها من أعمال في كتاب مسطور.

ومما ورد لفظ "إمام" بمعنى: "كتاب" في القرآن، قوله تعالى: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ) (الأحقاف: ١٢).

ومنه قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيَالًا) (الإسراء: ٧١) وآيات أخرى غيرها.

إن الحقيقة التي لا تخفى على ذي بصيرة، أن الإسماعيليين قد عمدوا إلى هدم آيات الله وأحكامه، واستبدلوا بتأويلات من وحي أفكارهم وأهوائهم، ونسبوا لآل بيت الرسول، وقالوا هذا من عند الله: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: ٧٩).

وقال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الأنعام: ١٤٤).

ومثل الباطنيين في موقفهم من كتاب الله، كمشركي مكة الذين غاظهم كلام الله المعجز البين، فأنزل الله فيهم: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ) (يونس: ١٥).

وقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) (فصلت: ٢٦).

ولقد استبعد الله تعالى مثل هذه الازدواجية في الكتاب العزيز، كأن ينزل بلغتين أو بمعنىين مستقلين، متنافرين، لأن هذا مدخل كبير للتشكيك في دلالته ومراده.

قال جل شأنه: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) (فصلت: ٤٤).

هـ - من غرائب التأويل الباطني وتناقضاته :

صدق الله العظيم، إذ يقول: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢).

عندما يقف المرء متأملاً في الوجه الغريب من التفسير، المسمى بالتأويل الباطن، يستطيع أن يفهم لأي شيء حرص المنظرون الإسماعيليون - وإلى جانبهم الإثنا عشرية - على عدم تسريب هذا العلم وإظهاره، حتى على أتباع الطائفة أنفسهم، وأن يدرك مغزى هذه العهود، والمواثيق، والأيمان المغلظة التي تؤخذ على كل من ينتهي إليه شيء من هذا العلم الباطن، حتى لا يجازف بالحديث وإفشائه لغير مستحقة - كما يقولون -.

وقبل أن نسأل "لماذا"؟ يجمل بنا أن نبين عدم صحة التبرير الباطني، الذي يعزون هذا التستر المبالغ فيه إلى خوف السلطة وقمع الحكام المسلمين لما يتضح من الأسباب التالية:

١ - أي حركة فكرية وجدت في التأريخ تؤمن بصواب ما آمنت به من المبادئ والمعتقدات - إذا لم يكن لها من ورائه أي هدف آخر - فإنها لا تجد ما هو أحق بها من الاشتغال بنشر أفكارها بين الناس، لأنها ستفعل ذلك وهي على يقين بأن ما تنشره هو الأولى بالاتباع مما سواه، وأحق بالناس من غيره، وأنه يمتلك من القوة في إثبات الحجة، والقدرة على الإقناع، بحيث يستطيع فرض وجوده، وكسب الأنصار إلى جانبه، ولذلك ظهرت أفكار الخوارج، والجبرية، والقدرية

وغيرها، من المذاهب الفكرية، وانبرى أتباعها يقارعون خصومهم ويجادلونهم بما لديهم من الأدلة، ولم يكونوا يحرصون على تصيد ضعفاء الناس، أو الظهور في البيئات المعروفة بحمولها الذهني والمعرفي، كما كان يفعل المكاسرون^(١) الإسماعيليون، كما لم يكونوا يعتمدون على أساليب الخداع والتمظهر بالمظاهر التي من شأنها الإيقاع بالضحية، بل كانوا واضحين بأفكارهم وضوح الشمس، فمن آمن بها قبلوه، ومن عارضها نازلوه - كما فعلت الخوارج - وهكذا حتى ماتت تلك الفرق وذهب الزبد جفاء، وبقي ما ينفع الناس، بينما لا يزال الإسماعيليون حتى اليوم ينفقون مئات الملايين في سبيل تنظيف الأسواق مما تسرب إليها من كتبهم، ومن كل ما يكتب عنهم ولا يزال مثولهم في محاضرة أو مناظرة عامة لحد كبير، وأمنية غالية من الصعب تحقيقها، مهما كانت الضمانات في زمن الحريات، ولقد عرض عليهم ذلك في اليمن وتحت إلحاح شديد، ولكن دون جدوى.

٢- إذا كان السبب من وراء هذا التكتم الشديد والحرص على معتقدات المذهب، هو الخوف من بطش السلطات وحرب الدول المسلمة في زمن الضعف ودور الستر الإسماعيلي، فكيف نفسر امتداد هذا الخوف حتى وهم في أوج قوتهم السياسي والعسكري، إذ لم تجرؤ الدولة الصليحية رغم فرصة التمكين الفريدة التي توفرت لها في حكم اليمن على إظهار مذهبها التي كانت تدعو إليه في سر واحتياط وتكتم شديد، كما أشار إلى ذلك - محمد بن مالك الحمادي - الذي انخرط في دعوتهم ثم كشفهم في كتابه: "كشف أسرار الباطنية".

(١) هم الذين كانوا يقومون بوضع الشبهات وبذرها في عقول العامة ويزينونها بفلسفات يكون لها أثر في نفس الجاهل منهم، ويعتبرون هذا من باب مكاسرة الخصوم

وليس ذلك متوقف على الدولة الصليحية، بل نفس الشيء نجده في الدولة الفاطمية التي امتلكت من القوة والنفوذ، بحيث أصبحت مصدر تهديد للعالم الإسلامي كله، فقد تم فيها تأليف معظم الكتب الإسماعيلية ذات المكانة المرجعية العالية، والملفت الغريب أن تلك الكتب رغم طبيعة الزمن التي ألفت فيه وهو زمن القوة والتمكين الإسماعيلي، لم يخل أي كتاب فيها من فكرة التشدد على إخفاء الأسرار الباطنية، وعدم إذاعتها إلا للثقات بعد أخذ ما يجب من الأيمان الكفيلة بعدم حدوث الخيانة والقيام بإفشاء أسرارها المصونة.

وأمامنا كتاب إسماعيلي يسمى "الكشف" تم تأليفه في أوج ازدهار الدولة الفاطمية في مصر، على يد أبرز المؤلفين الإسماعيليين ذي المنزلة الكبيرة عند الفاطميين في زمنه، وعند الفرق الإسماعيلية على امتداد تاريخها حتى اليوم.

ذلك هو "جعفر بن منصور اليمن" فانظر بماذا صدر كتابه هذا، فقد استهله في تحذير القارئ بقوله: "إني - يا أخي - آخذ عليك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذه الله على أنبيائه، ورسله، وأبوابه، وحججه، وكذلك أبوك الذي سقاك، وأحباك الذي رضع معك من شرب واحد مثل الميتة والدم ولحم الخنزير أن تذيعه، ولا يقرأه غيرك، ولا تلفظ به لأحد من ولد آدم: (فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم: ٣٠) ولا تكتبه لأحد إلا لمستحق، مؤمن محق^(١)؛ فإن تعديت وفعلت غير الذي أمرك به وأذعته، فقد برئ الله منك ورسوله ووصيه، وسلط الله عليك سيف الحق ينفذ فيك حكمه ولو كره المشركون، فإنه جاء عن الأولياء، والأولياء عن الأوصياء، والأوصياء عن الدعاة، والدعاة عن النقباء، والنقباء عن النجباء، والنجباء عن الأبواب والأبواب، عن الحجج، أنهم قالوا: قولوا لأهل

(١) لو كان فيه شيء من الحق لكان كل الناس مستحق.

الولاية: اكنتموا سرنا، وأطيعوا أمرنا، ولا تدفعوا قولنا، نجعلكم الصفوة من الخلق. فقد كان من قبلكم من الأمم السالفة أدوا الأمانة وكنتموا السر، وقد عملوا بما أمروا فجعلهم الله رسلاً إلى أمنائه، وأبواباً إلى أوليائه، فالله الله -يا أخي- لا تتعرض لسخط الله، ولولا ما فهمت منك وعلمته من مبلغ درجتك؛ ما كشفت لك في هذا الباب، وقد جعلت الله عليك كفيلاً، من ذلك قول السيد الأكبر صلوات الله عليه: (إنما هلك من الأمم من هلك إذ لم يتفكروا في ذلك ولم يتدبروا وأذاعوا السر)، فمن أذاع السر فقد جحد الحق بعدما عرفه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

والعجيب بعد كل هذا العهد أن المؤلف لجأ في كتابة بعض الكلمات إلى أسلوب الشفرة واستعمال الرموز الكتابية التي تشبه حروف الخط المسند مثل (ΧΦΦμ) و(ΧΨμ) و(Εμψλ) التي ترجمها المحقق إلى أبي بكر وعمر وعثمان كزيادة في الاحتياط.

كل هذا التحفظ والتخفي، في الوقت الذي يحكمون الناس فيه، وليس هناك ما يدعو إلى إعمال الحيلة والخوف، فلماذا كل هذا الاحتراز إذاً؟

الجواب: هو أن الإسماعيليين يدركون أن فكرهم لا يعدو كونه مجرد وسيلة تدميرية، يهدف بجملة من الوسائل والأساليب السرية إلى تدمير بنية الإسلام، ثم إنه من الضحالة والعقم، بحيث يتصادم مع الفطرة ويرفضه العقل السليم، ولو ظهر للناس بحقيقته، لكان ذلك كفيلاً بإهتاء مشاريعهم البعيدة، إذ سرعان ما يقاومه الناس ويعلنون حربهم ضده، ويكون ذلك سبب نهايتهم، ولذلك اندثرت الحركات

(١) كتاب "الكشف" (ص: ٢٤-٢٥).

القرمطية التي جاهرت بفكرها كالحشاشين، وقرامطة البحرين، وعلي بن الفضل، وابن حوشب في اليمن وغيرهم.

لنرجع إلى كتاب "الكشف" لكي ندرك العورات والمخازي، التي حرص المؤلف على سترها من خلال ما ظهر من تأويلاته المحرفة لآيات القرآن الكريم، وتناقضاته الواضحة الفاضحة، هذا المؤلف الإسماعيلي الذي وصل عندهم إلى درجة الحجة أو الباب والذي أخرج له المحقق الإسماعيلي/ مصطفى غالب أكثر من (٣٦) خطأ فاحشاً في الآيات التي أوردها بقصد تأويلها في كتابه الذي لا يتعدى (١٥٠) صفحة، لم ينبج من التناقض مع نفسه حتى على مستوى الصفحات.

فمثلاً: أورد جعفر بن منصور اليمن آيات من أكثر من خمسين سورة من السور المكية، قال: إنها نزلت فيمن كذب بولاية علي من الصحابة بعد حجة الوداع، وحديث (غدير خم) مع العلم أن السور المكية نزلت في مكة قبل الهجرة، إلا النادر منها فكيف استدل بالمكي على أحداث وقعت في المدينة - كما يقولون- ويجول كل آيات العذاب والأمم الدارسة، كعاد، وثمود، وقوم صالح، وأصحاب الأيكة، وإرم، لتصبح كلها في مجتمع الصحابة والخلفاء الراشدين.

ثم يمضي هذا الرجل في تأويلاته العجيبة، مطمئناً إلى جهل أتباعه المطبق وابتعادهم عن آيات القرآن، وهدى سيد الأنام، ولا يبالي أن يشطح وينطح، فيقرب بين المتباعدات، ويباعد بين المتقاربات، ويؤلف بين المفترق، ويفرق بين المؤلف، وكما تجدد في هذا الضرب من التأويل.

فيقول في تأويل قوله تعالى: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) (الفجر: ١٠) هو "عثمان" ثم يلعبه ويقول: "لأنه تفرعن عن أولياء الله، وأظهر أفعال الملوك، وأقام لنفسه الحجاب" (١).

ولا يهم عنده أن يكون السياق في عشرات الآيات، إنما يتحدث عن فرعون موسى الذي بغى في الأرض، وعاش ملكاً، وانتهى غرقاً.

وفي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) (الفجر: ٧) يقول: "عاد في هذا الموضع أبو بكر (ثم يلعبه) لأنه عاد إلى ما بدى منه من الكذب والظلام، ثم ادعى ما ليس له بحق، فهو العائد إلى الجحود والإنكار، وإلى الجهل بعد العلم، وإلى المعصية بعد الطاعة... و "عاد" يعني رجوع فهو العائد، والبدال في "عاد" تحفّض فالمعنى معاد، فالمعادي: الظالم، والعادي: الذي عدى على الشيء وتجاوزته إلى غيره".

وفي نفس الصفحة، يعود فيقول: "وقوله عز وجل بعد: (إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) (الفجر: ٧-٨)، أي: في الحجج، وهو عماد الدين، وقوله عز وجل: (إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) (الفجر: ٧-٨) يشار بها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الذي لم يخلق مثله في الحجج، وهو عماد الدين.

ومرة ثانية، وفي نفس الصفحة، يرجع في تأويله ويقول: "وقوله عز وجل بعاد (إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، يعني: الذي عدا علياً، وجازه، وتكبر عنه وعن طاعته، ولم يجعله كما جعله الله واسطة بينه وبين العباد، فعادى هذا الظالم، أول الظلمة طوره، وعصى ولي الأمر وظلمه، وعدا على مقامه" (٢).

(١) "الكشف" (ص: ٦٨).

(٢) نفسه (ص: ٦٧).

أي أن تأويل عاد (إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)، يشمل عند هذا العبقرى المعصوم أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والأبواب الحجج... إلخ.

وهذا التأويل أصبح (علي) داخلاً في قوله تعالى: (كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ) (الشعراء: ١٢٣)، وقوله: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ) (الحاقة: ٤) فهل رأيتم ضلالاً أظهر من هذا؟!.

ونسوق مثلاً آخر على هذا الشكل من التناقض، وذلك في تأويله لمعنى الآيات التالية، حيث يفسر "الحجج" بمعنى "الإمام" في الآية: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) (الحج: ٢٧)، ويقول: "يعني أقم في الناس الإمام يدعو إلى الناطق"^(١).

بينما يفسر الآية: (فَلَا رَفْتَ وَلَا فَسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة: ١٩٧)، على أنها تعني على التوالي "أبا بكر، وعمر، وعثمان"، ويصبح السياق على أساس هذا يقرأ: ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان في الإمام؛ لأن "الحجج" يعني: "الإمام" فكيف يتفق هذا وكيف يستقيم المعنى؟!.

ويقول في تأويل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المتحنة: ١٢).

يقول: يعني بالمؤمنات ههنا المؤمنين الذي قد رفعت درجاتهم، وأراد الحجة أن يأذهم في الدعوة، فيقول الله سبحانه هذا للحجة، يعني إذا جاءك هؤلاء المؤمنون

(١) "الكشف" (ص: ١٠٦).

يأخذوا منك العهد ليباعوا الإمام، على أن لا يشركن بالله شيئاً " على ألا يدعوا إلى غير الإمام الذي اختاره الله، فإنه من دعا إلى غير إمام يختاره الله، فقد أشرك بالله... " (١).

ثم يواصل تفسير الآية جاعلاً "المؤمنات" بمعنى "المؤمنين"، وضمير النسوة للغائبين ويريد أن يقنعنا بأن هذا هو الصحيح، وأن لا نفرنا نون النسوة، ولكن ماذا نقول لمثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) (الأحزاب: ٤٩)، هل يفسرها بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ)، وهل المذكر والمؤنث بمعنى واحد في الفكر الباطني؟.

وقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...) (النساء: ٢٥).

وهذا شبيهه بتأويل الداعي "إدريس عماد الدين" لقوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) (الرحمن: ١٩) حيث يزعم أن الإمام علي قال: ليس بيني وبين محمد فرق، أنا محمد ومحمد أنا، أنا منه وهو مني، لقوله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) (الرحمن: ١٩-٢٠) (٢).

ثم ينسى أن يوضح من منهما العذب الفرات، ومن منهما الملح الأحاج فالآية في سورة الفرقان تقول: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَحَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) (الفرقان: ٥٣).

(١) نفسه (ص: ١٤٤).

(٢) من كتاب " زهر المعاني " (ص: ٢٢٥).

نريد من هذه الأمثلة أن نخلص إلى توضيح مغزى تهرب الإسماعيلي من إبراز هذه التراهاات التي يسمونها بـ "التأويل الباطن"، وهو الخوف من تعرية تناقضاتهم، وإبرازها أمام الناس في ضوء معايير العقل وطرق الاستدلال العلمية، فوقعوا رغم ذلك في تناقضات مضحكة، لا تنفع إلا مجرد التسالي والاستطراف.

ولو كانوا ملتزمين فعلاً بدعوى الإنتماء إلى الإسلام، لأدركوا أن الإسلام قام على الوضوح والتحدي بالحجة والمنطق: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (النمل: ٦٤).

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف: ١٠٨). ولم يقل: على جملة من الطلاسم والشعوذات، بل على بصيرة، وقد شنع الله ببني إسرائيل الذين كتموا دين الله، وأخفوا معالم الحق فيه، قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (آل عمران: ٧١).

وقال: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: ١٨٧)، أي: لا تكتُمونه على غيركم من الأمم.

بينما الفكر الإسماعيلي يأخذ على أتباعه الموائيق والعهود لعدم إظهاره للناس، لأنه عبارة عن جملة من العورات والمساوي التي لا تتحمل الظهور على أشعة الشمس، ولا تقوى على الوقوف أمام الحجج والبراهين.

ثانياً: تكفير الصحابة والتشكيك في عدالتهم:

يعتبر مجتمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نظر فرق الباطنية مجتمعاً متآمراً، لم ينج من الانحراف والمروق عن الدين، باستثناء اثنا عشر صحابي هم -بالإضافة إلى علي- عم العباس، والفضل، وسهل بن حنيف، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، ونخالد بن سعيد، وأبو أيوب الأنصاري.

يقول الإسماعيلي إدريس: "لم يبق له من الصحابة فئة تنصره (أي: علي) غير الاثني عشر الباقيين وهم الستة من الأنصار والستة من المهاجرين"^(١)، وبعض الفرق الباطنية لا تزيد على ثلاثة نفر.

أما بقية أصحاب محمد، فهم مجرد عصابة، بقيت تظهر من الولاء للرسول، خلاف ما تضمنر من المكيدة، تعلن الطاعة وهي تتوق لليوم الذي تشهد فيه موت الرسول لتخطف منه عرش الملك، وتستأثر بالسلطة دون أبنائه، أو بالأصح أبناء بنته فاطمة الزهراء -عليها السلام-، ومن قبلهم أبوهم الإمام علي -كرم الله وجهه- حيث يعتقدون أنه الوريث الشرعي في قيادة المسلمين بعد النبي ﷺ، بوصية مشهودة، لولا أن الصحابة تواطأوا على انتزاع هذا الحق منه، ويرون أن أحقية الإمامة حكر على آل بيت رسول الله، وتعتبر في الإسلام قضية محورية، بل هي أساس العقيدة التي لا معنى للدين بغيرها -كما سبق-.

(١) "كتاب زهر المعاني" (ص: ١٦٨) للداعي عماد الدين إدريس.

وانطلاقاً من هذا المعتقد، فإن لعن صحابة الرسول وسبهم، أصبح في الفكر الباطني مجالاً تعبدياً، يتقربون به إلى الله عز وجل، لأن الصحابة اغتصبوا عرش الخلافة - في تصورهم - وبهذا الاغتصاب قضاوا على جوهر الدين، وانتهى بذلك الهدف الأول من وجود الإسلام برمته، الذي ما جاء إلا لترتيب وضع السلطة الهاشمية وحسب.

هذا ما تجده في الفكر الباطني، بل هو خلاصة الفكر الباطني ومؤداه، وعلى وجه الخصوص العلة الإسماعيلية، التي بالغت في تأليه الأئمة، واعتبارهم غاية الدين، كما بالغت في تجريم وتكفير الصحابة، ووصمها لهم بنعوت الجبروت والطغيان، واعتبارهم في درجة واحدة مع أبي لهب، وأمّية بن خلف، وغيرهم من أئمة الكفر والطغيان، وهذا ما نلمسه في كثير من كتبهم مثل كتاب: "زهر المعاني" للمؤرخ الإسماعيلي اليمني عماد الدين إدريس القرشي، حيث جاء فيه: "ولما كان محمد ﷺ جامعاً لمن تقدمه عن الأنبياء، اجتمع في دوره الاضداد الكبراء، العظماء، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) (الفرقان: ٣١) " وكان من اضطداده أبو لهب.. الذي كان من أعوانه على ذلك أبو جهل بن هشام، وابن أبي قحافة (أبو بكر)، وابن الخطاب، فكان كيد الشيطان أبي جهل ضعيفاً، وكان كيد عتيق وعمر عظيمًا فمكروا، وغدروا، وأصروا، واستكبروا، وغيروا الشريعة، وأفسدوها، وأحالوا الأمة عن سبيل هداها" (١).

ثم يقول: وقوله تعالى: (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) أي: في الشريعة: (تَسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (النمل: ٤٨)، وهؤلاء التسعة، هم: عتيق، وابن الضحاك، وابن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو

(١) "زهر المعاني" (ص: ١٥٤).

عبدة بن الجراح، فهم الذين أفسدوا أرض الشريعة، وما أصلحوا، وهم باينوا أمير المؤمنين بالعداوة فحسروا الدنيا وما ربجوا^(١).

أ- مخالفة الباطنيين لصريح القرآن والسنة في موقفهم من

الصحابة:

وكالعادة يظل أمامنا مسؤولية الرد على دعاوى هؤلاء الباطنيين، كواجب تحتمه العقيدة، وعهد قطعناه على أنفسنا في تنفيذ الباطل، وتبيين معالم الحق ومواطن الخير، في عقيدة الإسلام، وذلك بقدر ما نستطيع، وبحسب ما يمدنا الله من فيض بصيرته، وكمال هدايته فنقول -وبه المستعان-:

إن مقياس صدق الانتماء إلى الإسلام من عدمه، يتوقف على مدى تفاعل المرء الفكري والوجداني مع كتاب الله وسنة رسول الله، والتسليم بما ورد فيهما من الأوامر، والنواهي، والأخبار.

فما يقوله لنا القرآن الكريم، وتحدثنا به السنة المطهرة، عن صحابة رسول الله، هو غير ما يقوله الباطنيون، ومناقض لما ذهب إليه هؤلاء بالنسبة للصحابة.

فليس أمام الفرد سوى أن يختار بين أن يكون مسلماً، فيجعل هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ويدعن لما قاله كتاب الله، أو أن يختار التقليد الأعمى، ويلوي عنقه مستكبراً ولا مجال له عندئذٍ سوى أن يسمي معتقده اسماً غير اسم الإسلام.

وإليك بعضاً مما ورد في كتاب الله من آيات التزكية في الصحابة رضي الله

تعالى عنهم أجمعين:

(١) "زمر المعاني" (ص: ١٥٥).

- قال الله عز وجل: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولُو الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١٠٠).

- وقال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ١٨).

وقد كان المبايعون للرسول ﷺ أكثر من ألف وأربعمائة صحابي، بينما لا يعترف الباطنيون بأكثر من اثني عشر صحابياً، هم كل المؤمنين في نظرهم والذين - - وحدهم.

ولقد اجتمع لرسول الله ﷺ في فتح مكة عشرة ألف صحابي وفي غزوة تبوك ثلاثون ألف صحابي فهل استعان الرسول بثلاثين ألف منافق، كما تقول الإسماعلية والإثنا عشرية وغيرهم من غلاة التشيع؟! وهل ينصر الله دينه بمنافقين؟!

وفي تبوك يقول الله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) (التوبة: ١١٧).

علماً أن الجيش الإسلامي الكبير الذي خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، والذي يعد أكبر تجمع للعرب للخرج من الجزيرة، قد أتى الله عليه في كتابه، بعد أن عرّى نوايا المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، واستأذنه فقال: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمَتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) (التوبة: ٤٥).

ويقول في شأن هذه الغزوة فيمن تخلف وفيمن جاهد أيضاً: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ٨٧-٨٩).

ومعلوم أن الذين تخلفوا كانوا نفرًا من المنافقين معدودين على رأسهم (عبدالله بن أبي) و(الجد بن قيس)، وإلا الثلاثة الذين خلفوا وقد عاتبهم الله وتاب عليهم في آيات من سورة التوبة.

ومعلوم أن الصحابة الذين خرجوا مع الرسول ووصفهم الله بصفات البذل والتضحية - كما في الآيات السابقة - ووصفهم بالفلاح، وأعد لهم الخيرات والجنات والفوز العظيم، معلوم أن هذا الجيش كان على رأسه الخلفاء الراشدين^(١) وجميع المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن أسلم.

ومعلوم أن أبا بكر - رضي الله عنه -، أنفق في هذه الغزوة كل ماله وأنفق فيها عمر نصف ماله، بينما جهز عثمان هذا الجيش - جيش العسرة - حيث قال عنه الرسول ﷺ: (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم).

فأين نذهب من كتاب الله ومن الوقائع والشواهد، حتى تصدق أهواء هؤلاء الشيعة الغريبيين في تشيعهم، الذين جعلوا من محبة نسل النبي نفس لكل قائم من دينه، وكره لكل منتمي إلى عقيدته، فلا أبقى الله حباً كهذا ولا أحوج أهل البيت إلى مثله.

(١) إلا ما كان من الإمام علي الذي استخلفه الرسول على المدينة .

- ويقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة: ٢١٨) والباطنيون يقولون: بل يرجون سلطة وملكاً.

(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (التوبة: ٢٠) والباطنيون يقولون: بل المرتدون، والهالكون، والخاسرون.

- وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٧٤).

ولقد صدق الله وعده فبوأهم في الدنيا، واستخلفهم فيها، وسيجزئهم أجرهم في الآخرة كما وعدهم.

الله يقول فيهم: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) والباطنيون واحوائهم الروافض يقولون: بل هم المؤمنون خداعاً، وزيفاً، ونفاقاً.

وفيهم يقول: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانَ وَزَيْنَتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات: ٧)، فكيف يأتي منهم عصيان لأوامر الله ورسوله وقد زكاهم الله وكره ذلك في قلوبهم وشهد لهم بالرشاد.

- ويقول تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: ٢٩).

لقد شبه الله تعالى الصحابة بالزرع، فمن الذي بذر بذره ونماه وسقاه من فيض هديه حتى استغلظ واستوى على سوقه، إنه رسول الله، وما كان من وصفه الله أنه على خُلُقٍ عظيم إلا أن يزرع مجتمعاً عظيماً في أخلاقه، عظيماً في تضحياته؛ ولقد كان كذلك حتى أعجب النبي بزرعه الذي لاحت عليه بوادر الثمر الطيب والغطاء الخير.

وإذا كان هذا الزرع المتناسك المتناسق قد أصبح محل إعجاب النبي وغبطته فإنه إلى جانب ذلك قد أصبح مجال إغاظه الكفار. وسبب حقدهم، ومثلهم أبناء فارس الذين على أيدي هذا الزرع المبارك زالت دولتهم ونكست رايتهم والله الحمد.

- وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: ٦٢).

فقد كان من تمام تأييد دعوة الرسول وجهاده هو التفاف المؤمنين حول نبئهم، مآزرين ومضحين بأموالهم وأنفسهم، وبأنفس ما يملكون، وهل يمكن لانتشار هذا الدين واستقامة أسسه على يد اثني عشر رجلاً من الصحابة، هم كل خلاصة الدعوة؟

- ويقول تعالى: (وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) (آل عمران: ١٠٣).

فهذا الله يقول: (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) والباطنيون يقولون: بل كانوا أحزاباً متناحرة، وفئات متآمرة، ثم يقول: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) (آل عمران: ١٠٣) والباطنيون يقولون: لا هذا غلط بل هم في النار.

- وقال جل ثناؤه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: ٥٥).

فهل ينقم الباطنيون على وعد الله في أن جعل من الصحابة خلفاء راشدين، ومكن على أيديهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبسط على أيديهم نفوذ الإسلام وقوة سيطرته، فشاع الأمن، وحلت السكينة، وسقطت الأصنام، وانطفأت نار فارس، وانتهت صراعات الجاهلية والعصبيات القبلية، وأصبح المسلمون كلهم أخوة تحت مظلة الإسلام، ولم يتضعع المسلمون إلا بعد ذهاب أولئك الفاتحين العظام، وبعد أن ساد الفاسقون الإماميين والأعميين.

يروى أن رجلاً أراد أن يتقرب إلى جعفر الصادق - عليه السلام - بشتم صحابة رسول الله، فقال له جعفر: "مه يا هذا، هل أنت ممن قال الله فيهم: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحشر: ٨).

قال الرجل: اللهم أولئك قوم مضوا.

فقال الإمام: فهل أنت ممن قال فيهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكُلُوا كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةً وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩).

قال الرجل: اللهم أولئك قوم مضوا.

فقال الإمام: وإني لأشهد أنك لست من قال الله فيهم: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحشر: ١٠).

الله تعالى يقول في جملة المهاجرين والذين على رأسهم -ولا شك- الخلفاء الراشدون، أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، فإذا كان تركهم للدنيا والمال والأهل من أجل رضوان الله، ومن أجل نصره الله ورسوله فكيف تقول بعد ذلك أنهم إنما كانوا طلاب ديناً؟

وفي الآية يشهد الله بصدق نواياهم وتجردهم فيقول: (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: ١٥)، وكفى بالله شهيداً.

وفي الأنصار نجد شهادة الله لهم بالإيثار والتجرد فتسع صدورهم لجموع المهاجرين، ويقتسمون معهم القليل والكثير ابتغاء وجه الله، فكيف ضاع مثل هذا التجرد، لتصبح الدنيا ومتعتها هي كل همهم بعد موت رسول الله كما يشيع الروافض.

ثم يصف الله الذين جاءوا من بعد الصحابة -وهم نحن- أنهم يرعون حق من حمل إليهم هذا الدين، فيدعون لهم ويشنون عليهم نظير فضلهم عليهم ومن ليس متصفاً بهذه الصفة ليس داخلاً في الآية: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحشر: ١٠).

كذلك ليس من ﷺ الله عنهم قوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (التوبة: ١٠٠) إلى

آخر الآية، والتابعون للصحابة بإحسان هم نحن، ومن تبعهم بسخط وكرهية فقد سخط الله عليهم وأعد لهم جهنم خالدين فيها بالنتيجة.

ويحكى أن جعفرياً ذهب إلى الغرب ليدعو إلى مذهبه، فقال له النصراني الذي جاء ليسلم على يديه: إلى ما يدعو مذهبك، فقال: أنا أدعوك إلى لعن صحابة محمد وتكفير المسلمين، فأجاب النصراني: إذاً لا أرى فرقاً بيننا وبينكم فهذا مذهبي في الأصل، ولا أرى إلا أن ملتنا واحدة.

لقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين - وغيره - أن رسول الله ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" رواه الطبراني.

وإن من علامة الساعة أن تلعن آخر هذه الأمة أولها، كما جاء في الحديث وكما نجده اليوم من قبل الروافض.

وقال ﷺ: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيروا اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" صحيح - كما قال الترمذي -.

ب - الرد على الشيعة الغلاة في موضوع الصحابة :

لا يستوفي المؤمن شروط الإيمان حتى يعتقد أولاً أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن رسالته هي خاتمة الرسالات، وهذا يعني ضرورة أن تجتمع لهذه الرسالة كل مقومات النجاح، إذ لا نبي بعد النبي محمد، ولا رسالة بعد الإسلام.

ومن أبرز علامات النجاح اللازمة لثبات أصول هذا الدين، ودوام استمراريته، أن يكون حاملوه إلى الناس هم في أعلا درجات الأمانة، والتجرد، وإلا قلنا: إن الله قد أضاع خلقه وترك دينه رهن أناس غير جديرين بحمل الأمانة، وهذا يتناقض مع كمال العدل الإلهي فكيف يطالب أمته بدين لم ينبج من التحريف، أو على الأقل مشكوك في قطعية وروده سليماً إلينا.

أوليس من جمعوا القرآن هم الصحابة؟ أو ليس من دوّن السنة ونقله عن النبي ﷺ هم جموع الصحابة والتابعين؟

وإذاً الذي ينال من مجتمع الصحابة -وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين- يظل خارج دائرة الوعي بطبيعة هذا الدين الخاتم، وعلى غير فهم بما يقتضيه عدل الله من ضرورة الحفاظ عليه، وسلامة نقله، وثبات أركانه، كاملة غير منقوصة، شاهدة في كل زمان ومكان.

يقول الله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩) ويقول: (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣).

فقد تكفل الله بحفظ دينه، وصون كتابه من عبث العابثين، وهوى الزائغين، ثم شهد بكمال دينه وتمام نعمته علينا، ومن أظهر أسباب هذا الكمال، وهذا التمام، هو هذا المجتمع الرباني من جيل الصحابة الذي شاء الله أن يجعل منه أعظم جيل أخرج الناس، ليتشرف بحمل أعظم رسالة في تاريخ البشرية كلها.

قال جل ذكره: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: ١١٠).

٢ - تدل متانة الصلة وعلائق القرى ووشائج الرحم التي كانت بين النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ جميعاً، على مستوى من الائتلاف الفريد، وعلى حب وإدلال قل أن يكون له نظير... فقد تزوج النبي ﷺ عائشة بنت أبي بكر، وتزوج بحفصة بنت عمر، كما تزوج الإمام علي بابنة النبي ﷺ: فاطمة الزهراء - رضوان الله عليها-.

وزوج عثمان بابتيه (رقية وأم كلثوم) فلقب عثمان بذي النورين لذلك، ثم زوج الإمام علي عمر بابتته (أم كلثوم) في عهد خلافته، كما سمي الإمام علي أحد أبنائه عمر، والآخر عثمان - ﷺ أجمعين-.

ولا غرو، فإن هذا التصاهر الذي أضاف إلى أخوة العقيدة بعداً حميمياً آخر، قد جاء نتيجة تماثل الأدوار الطليعية التي جمعتهم على نشر هذا الدين، فالإمام علي أول من انظم إلى قافلة الدعوة من الصبيان، وأبو بكر الصديق، أول من استجاب لنداء الإسلام، من الرجال، ثم يسلم عمر بعد ذلك ليعطي المسيرة قوتها المعنوية، ويكون أحد العمرين الذي فرق الله به بين صفوف الحق و صفوف الباطل.. ويسلم عثمان ليكون رمز القوة المادية في قافلة الخير، والبذل، والعطاء، حتى قال النبي ﷺ : "اللهم ارض عن عثمان فإني راضٍ عنه، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم" كأنما أعاظ صدور الباطنيين هذا النموذج الطليعي الفريد فأرادوا تفكيك ما كان بينهم من وشائج الصلة، ومتانة الأخوة، وأرادوا أن يثأروا من هذه الركائز الدعوية الأولى التي كان لها الحظ الأوفى، والقدر المعلى في خدمة الإسلام ودحر الجوسية.

إن شتم أبي بكر، وعمر، وعثمان، هو شتم محمد وعلي، فعلائق الرحم وروابط العقيدة، أقوى بين هؤلاء من محاولات التفريق اليائسة، وأشد صلابة من معاول الهدم المثلومة.. فهم الشجرة الظليلة، المتشابكة الأغصان، المتحدة الجذور.

عن الزيد بن بكار رحمته الله قال: "جاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون، فجلس إليهم فقال لهم: رثوني رثوني: فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: "تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسبي وصهري، وكان لي به النسب والسبب فأردت أن أجمع إليه الصهر: فرفأؤه فولدت له زيدا ورقية".

٣ - إن الله - عز وجل - لم يتعبد الخلق بلعن وشتم أكابر مجرميها كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وإبليس وجنوده.. فلو أنفقت العمر في لعن هؤلاء لما زاد ذلك شيئا في سجل حسناتك. فما بالك بمن نسي هؤلاء، وأنفق عمره في النيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - أجمعين - ومما هو معلوم لدى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أن المسلم يجب أن يكون عف اللسان، ليس بلعان، ولا بطعان، ولا بفاحش، ولا بذيء، فكيف بمن أصبحت البذاءة هي دينه وديده!، فمن هو مثله في ذلك وقدوته! هل هو محمد بن عبد الله الذي قال الله فيه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤) أم هل هو ذلك الإمام العظيم علي بن أبي طالب!؟

وهذا الإمام القدوة، والولي الأسوة علي كرم الله وجهه يسمع بعض أصحابه يسبون أهل الشام، فيقول: "إني أكره أن تكونوا سبايين، ولكنكم لو وصفتم".

وقوله: "شغلتنى عيويى عن تتبع عيوب الناس والحكم عليهم"، والله تعالى يقول: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ١٣٤).

إنه لا قدوة لهم في ذلك ولا أسوة إلا جدتهم الجوسى الديصانى (ميمون القداح) ولعله آن للشيعه الغلاة، أن يدركوا أن الاشتغال في أعراض "إخواننا الذين سبقونا بالإيمان" والانصراف عن الأعداء الحقيقيين إلى أعداء وهميين، يعتبر خدمة مجانية، يصب في مصلحة من يهمهم هدم أركان الإسلام، والتشكيك في سلامة نبعه وصفاء مورده.

لقد فطن المستشرقون إلى مكن الخلل في أمة المسلمين، كما فطن ابن سبأ والجوس من قبل، فعمدوا من خلال كتبهم المسمومة، إلى تأجيج نار الفتنة، وإحيائها من جديد، حيث صاروا ينشغلون بالحديث عن الفتنة، ويتصيدون الشغرات، ويثيرون النعرات، وأصبحت "صفين، والجمل، وكربلاء" في كتبهم هي أول الإسلام وآخره.

وإذا كان هناك من الباطنيين من ينظر إلى هذه الكتابات كدور تكميلي لهدف مشترك، ويعتبرونها فتحاً جديداً في سياق حربهم الطويلة ضد كل ما هو جميل ومشرق في الإسلام.. فإن هناك من الشيعة السذج من هلل -بحسن نية- لما كتبه "ماكدونالد" و"إيوانوف" و"برنارد حويس" و"ماسيتون".

واعتبروا ذلك ذخيرة لآل البيت، لأن فيها تقديسهم والتعريض بمن عداهم، وهم لا يدركون أن هؤلاء المستشرقين إنما قاموا بدورهم الكيدي حياً في الإيقاع بين أهل السنة والشيعة، لا حياً في آل البيت ولا اغتباطاً في شخص علي وأبنائه.

كما نشير إلى النبي ﷺ قد تنبأ بوقوع هذه الفتنة التي نشبت بين المسلمين، فقد ورد في الصحيحين من حديث أبي بكر أن النبي ﷺ قال في الحسن بن علي رضي الله عنهما: "إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"، وقد تمثل هذا في تنازل الحسن لمعاوية حقناً لدماء المسلمين، وإذا عاد القائلون إلى قولهم بأن هذا التنازل قد تم عن خوف أو إكراه تاماً، كما قالوا عن الإمام علي -كرم الله وجهه- بأنه بايع من قبله مكرهاً ومرغماً، فهم بهذا إنما يوسعون آل البيت شتماً ويتهمونهم بالجن والضعف والنفاق، إضافة إلى أن التنازل لمن لا يمتلك أهلية الولاية على المسلمين - كما يقولون - يعتبر خيانة لله ورسوله والإسلام.

٤ - إن القول بفسق جل الصحابة أسلوب تدميري عميق الخطورة، حيث ستبقى آثاره على امتداد التاريخ، وسيكون لهذه الأجيال اللاحقة الحق كل الحق إذا ما عرفت عن هذا الدين، لأن ديناً يفشل في التأثير على السلف وهو يتنزل عليهم غظاً طرياً، حري بالخلق أن يزهّدوا في الانتماء إليه، وألا يعيروه شيئاً من اهتمام، ولعمري هذا ما سعى إلى تحقيقه أرباب الفكر الباطني، ومن أجله وضعوا هذه الأساليب التدميرية الخطيرة.

٥ - إن تبني فكرة التحريم والتخوين ضد الصحابة توحى بأن الله -جلت عظمته- قد ضحك عليه من قبل الصحابة، وظل يمدحهم حسب ما يرى من ظاهرهم - تعالى الله عن ذلك- ولم يكن يعرف بما في طوايا نفوسهم من الشر المبيّت، كما عُرر بالنبي، فكان طيباً معهم إلى حد السداجة، وساذجاً إلى حد الغفلة، فما هو إلا أن مات حتى قلبوا لأهله ظهر الجن، ولم يرعوه في أهله، ولم يكونوا في ذلك عند مستوى حسن ظنه بهم، بل خذلوه في الإسلام برمته، فهل

يصح أن يقال مثل ذلك على الله ورسوله؟ - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وهو الذي كشف له حجب الغيب، وهل رسول الله الذي ما هاب أحداً ولا حتى مع صناديد مكة ومشركي قريش، يصبح أمام تلامذته ألبين وأضعف لو أنه بدا له فيهم مكرراً بالدين!!!.

٦ - الطعن في صحابة رسول الله ﷺ وأمنه وحيه، سوف يقودنا ذلك إلى نفس المصدر الثاني من التشريع، وهو ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، بواسطة أصحابه، فلا مجال بعد الطعن في عدالتهم، سوى الطعن في سنة رسول الله ﷺ لأنها عن طريقهم جاءت، وبواسطتهم حملت، أما الخمسة أو العشرة الأفراد الذين فازوا برضى الباطنية من جملة الصحابة فما رووا من الأحاديث عن رسول الله تبقى ضئيلة العدد في مسائل محصورة، وبهذا تصبح شرائع الدين وفرائض العبادات معلومة الورود بمجهولة الكيف، باعتبار أن السنة جاءت مفصلة لمحمل أحكام القرآن، وقد وجدنا من الشيعة المعتدلين من يقول: ما حاجتنا إلى أناس من الشارع ليحدثونا عن النبي وعندنا من أهل بيته، وأهل البيت أدري بالذي فيه، ولا يخفى ما في هذا القياس من السذاجة وقصر النظر، فمعلوم أن الإمام علي وزوجته البتول الزهراء وولديهما الحسنين لم يكونوا مع النبي في بيته، بل الذي مع النبي في بيته والأكثر معايشة له هن زوجاته، وكذا مواليه، وكان أكثر تفرغاً للنبي بعد هؤلاء هم أهل الصفة الفقراء وكذا الشباب الناشئين، ثم إن عصر تدوين السنة والاهتمام بها جاء بعد الخلفاء الراشدين وكان الأوفر حظاً في الرواية هم الصحابة الأصغر سناً، وكانت أم المؤمنين عائشة من أصغر نساء النبي ﷺ، فكثرت أحاديث هؤلاء الشباب ونقلت السنة في معظمها عن طريقهم.

ومن غريب تناقض بعض الشيعة أنهم يعملون بجميع أحاديث الصحابة حتى الذين يلعنونهم بالإسم، وذلك عندما يتعلق الأمر بمسائل الفقه، لأنه بدون ذلك لن يكون لهم دين، ولكن عندما يتعلق الأمر بمسائل السياسة ومسائل العقائد وبعض المسائل المخالفة التي لا دليل لهم عليها، يقولون: إنهم ملتزمون بمذهب آل البيت الذي شرعه لهم الأئمة المعصومون، وها هنا تبدأ روايات أبي عبدالله، وأبي محمد، وأسماء أهل الكوفة وأبناء فارس، ولو أنهم آمنوا بما أنزل على محمد لوجدوا أن الله لم يأمر أحداً غير طاعة نبي واحد، وفي عشرات الآيات مثل: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: ٨٠)، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر: ٧)، (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النور: ٥٤)، (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء: ١١٥).

ويوم القيامة لن يسأل الله عباده عن اتباع أئمة ولا أولياء ولا أوصياء بل عن اتباع الرسل: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) (القصص: ٦٥)، وحنة الله قائمة على عباده بالرسل وليس بالأئمة: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء: ١٦٥)، والذي سيشهد لنا أو علينا يوم القيامة هو النبي وليس الإمام: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (النساء: ٤١).

وسيندم المخالفون لسنة رسول الله ﷺ يوم القيامة: (يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) (الأحزاب: ٦٦).

فكل نبي إمام وليس كل إمام نبي فبعضهم يهدون إلى النار ، واتباع إبليس وجنوده، وأما طاعة أولي الأمر أهل الذكر والراسخون في العلم، فهي الطاعة التي لا تناقض كتاب الله وسنة رسوله، إذ عليهم أيتقيدوا بذلك فالله يقول: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (النساء: ٥٩) أي إلى كتاب الله وسنة رسوله، فليس لنا سوى كتاب واحد ونبي واحد معصوم، لا ينطق عن الهوى، وعن النبي نقل رجال حوله، أقواله وأفعاله وسيرته، ونشروا ذلك بالألسنة وبجد الألسنة، فرضي الله عنهم وأعلى منزلتهم، وجزاهم الله عنا كل خير.

٧ - إن القدح في دين مجتمع الرسول وجرح عدالته، تحت مظلة حب آل النبي، الذي لا يستقيم عندهم إلا ببغض الآخرين، لهي إساءة بالغة في حق النبي وآله وفي حق الإسلام ونخس شائن يمسهم بالأذى ويلحق الإسلام بأفدح الضرر، لأن ذلك معناه فشل الدعوة المحمدية الذي جاء نتيجة فشل في التربية.. فالنبي ﷺ لم ينجح في تركيبة نفوس أصحابه، كما يقود ذلك إلى الاعتقاد بأن الإسلام لم تكن لديه القدرة الكافية على توفير الفناعات الاعتقادية في النفوس، وإيجاد عنصر الامتثال لأوامر الله، والإخلاص والتجرد له وحده.

كما يعني ذلك أن كل ما أثمرت عنه رسالة النبي ﷺ، ليس أكثر من إيجاد لفيف من المتربصين الانتهازيين الذين لم يتخلصوا من رواسب الوثنية والشرك، والتي بقيت الأكثر تأثيراً وتحكماً في اتجاهات سلوكهم، وهكذا يكون محمد قد قضى ولما يشهد العالم أثراً ملموساً لدعوته، ولما يحدث انقلاباً فكرياً ذا قوة تأثيرية ملموسة، يستطيع ترك بصماته في العالم أجمع لأنه بعث للناس أجمع.

وهذا ما لا يقول به الواقع، وما لا يتفق مع طبيعة الرسالة المحمدية، ومن السبديهي أن يكون تلامذة النبي ﷺ هم الأكثر التزاماً، وإخلاصاً لدعوته، لأنهم

عابنوا معجزات الرسالة وتربوا على مائدته، وليس لصاحب الخلق العظيم سوى أن يربي مجتمعاً ذا خلق عظيم.

كما أنه من البديهي أن يكون الحواريون هم أصلح الناس من أتباع عيسى، وأن يكون أصحاب موسى هم أتقى الناس في بني إسرائيل، لأنهم لمسوا الحق بعين اليقين، ولو أنك سألت النصارى عن أصلح الناس في ملتهم، لقالوا: أصحاب عيسى، ولو سألت اليهود عن خير أهل ملتهم، لقالوا: أصحاب موسى، بينما تسأل الباطنيين والروافض عن شر الناس وأهلكهم، فيجيبوك: أصحاب محمد!!.

٨- حتى ندرك أن شخص النبي ﷺ هو -أيضاً- مستهدف من قدحهم في عدالة صحابته الذين رباهم على يده، فإن الإسماعيلين -مع الاثنا عشرية والرافضة- يسبون أيضاً نساء رسول الله ﷺ، ويطعنون في أعراضهن، ويريدون بذلك الطعن في شرف النبي ﷺ، لأن الله يقول -في سورة النور التي برأ الله فيها أمنا عائشة رضي الله عنها- قال بعد أن برأها من حديث الإفك: (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (النور: ٢٦)، فإذا كانت زوجات رسول الله ﷺ -خبيثات- كما يقول الطعانون اللعانون، فإن النبي ﷺ -والعباد بالله- يصبح (...)، وهذا ما يريده الباطنيون ويهدفون إليه أخزاهم الله.

٩- إن من مظاهر اجترأ الشيعية على الله أنهم منحوا أنفسهم حق إصدار الأحكام ضد صحابة رسول الله ﷺ، ولم يتورعوا في إلباسهم أثواب الغي وسرايل الارتداد، ومضوا يحددون مواقع الناس من الجنة والنار بمعيار الهوى والشهوة، وبمنظار السادية وروح الاقصاء والإلغاء لكل من عداهم.

ولقد وجدنا حتى بعض المحسوين على آل البيت من مجرد الصحابة من كل الألقاب والنعوت التي وصفهم بها الرسول ﷺ مثل الصديق والفاروق وسيف الله المسلول، وأمين الأمة ، وكاتم سرها ... إلخ.

ويضيفوها إلى (علي) الذي له من أحاديث الفضل ما لو كان له منها إلا حديثاً واحداً لكفاه فضلاً وسمو منزلة، ولكنهم يصرون على الاستثثار بكل مزية، واحتكار كل فضيلة، حتى يصلوا بالإمام إلى منزلة (ابن الله) عند المسيحيين، وحتى يصلوا بدرجة أبنائه من بعده إلى منزلة (أبناء الله وأحباؤه) عند اليهود.

وهذا ناتج عن مرض الغرور والافتتان بالذات التي أعمت بني إسرائيل من قبل وأوردتهم المهالك^(١) .

(١) وعند المعتدلين من الشيعة ليست صفات الأنبياء سوى أبعاض ما عند الإمام (علي) ، وهذا الحسين بن بدر الدين صاحب كتاب ينابيع النصيحة، الذي حققه المرتضى المحطوري يروي حديثاً يقول: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي). انظر: صفحة (٤٣٩) ، ويروي لنا حديثاً آخر يقول: (علي خير البشر فمن أي فقد كفر) ، انظر: (ص: ٤٢٤) ، وفي اليمن أيضاً بدأت بعض الآيات الهاشمية التي ظهرت كثمرة للثورة الثقافية الإيرانية، تروج لأسطورة (أخطأ الأمين) ، وتعني أن جبريل أخطأ في نقل الرسالة التي كانت من نصيب جدهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأعطاه لابن عمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الخطأ، يذكر أن الوحي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلي لا يزال صبياً .

وفي اليمن أيضاً شرعت هذه الآيات التي أخذت تدرس المذهب القداحي في خلايا بيتية بدعم من إيران، تحت ذريعة إحياء مذهب آل البيت، شرعت تروج لزواج المتعة المعمول به في إيران، بمساعدة المدرسين العراقيين الشيعة في بعض المدارس الخاصة والمختلطة، وبعض الكليات، عن طريق دكاترة أرسلوا للعمل كمبشرين للثورة الإيرانية، وقد ظهرت حالات حمل بين الفتيات بفضل هذا الفكر الخميني القادم، الذي يجد له قاعدة في اليمن من قبل الإمامية، والتي تهدف بدورها إلى إعادة الملكية في اليمن تحت ذريعة الحق السياسي لآل البيت الذي سلبته الثورة.

وليس من شك في أن الكثير من فكر أهل الكتاب قد سرَّبه أبناء (ميمون) على فكر الشيعة ولو قمت بمطابقة الكثير من جوانبها لوجدت عجباً.

ج - مناقشة موضوع الخلافة :

ندب الباطنيون -أنفسهم- لشن غاراتهم على الصحابة وعلى الخلفاء الراشدين منهم بخاصة، للدفاع عن حق آل البيت، لم يدعيه آل البيت أنفسهم، ذلك ما يسمونه بالحق السياسي، أو الوراثة في الحكم لآل البيت بعد موت النبي ﷺ ويصرون على أن ثمة وصية، وعهداً عهد به النبي إلى الإمام علي -كرم الله وجهه- في هذا الخصوص، يتمثل ذلك في رواية "غدير خم"، وأن الصحابة قد اغتصبوا هذا الحق في (سقيفة بني ساعدة)، واستعجلوا مصادرتهم من أصحابه الأصليين، ولما يوارى جثمان النبي ﷺ بعد مستغلين انشغال الإمام علي وآل البيت في غسل وتكفين النبي ﷺ وتجهيزه، ثم ينسجون لذلك أفاصيص يبكي لها الصبي الجاهل، ويضحك منها النبي العالم.

ونحن نقول، وبالله التوفيق، وعليه المتكل :

١ - إن فضل آل بيت رسول الله ومزيتهم هي في عيون المسلمين من أهل السنة أوضح من أن تحتاج إلى تفصيل وتبيين، وأن بديهة محبتهم لدى كل مسلم صحيح العقيدة، هي أوثق من سباقات الولاء الزائف، وأصدق من دموع المخادعين، ولبوس المتنطعين.

وإذا كانت الأحاديث المروية في فضل آل البيت، قد جاءت عن طريق من يعتبرون في الفكر الباطني من أشد الخصوم، كأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما فإن أهم المراجع الصحيحة في فضل آل البيت، هي من تأليف علماء أهل

السنة والجماعة، ولا يرجع الشيعة عندما يريدون أن يحتجوا بمكانة آل رسول الله ﷺ إلا إلى كتب الصحاح، التي يوسعها الشيعة شتياً.

وصحيح أن الباطنيين تفوقوا على غيرهم بنسج الأساطير في آل البيت، ولكن الصحيح أن فضائل آل النبي ولزوم حبهم، ليس من إصدار الباطنيين، ولا حق محفوظ بأيديهم وحدهم.

ولقد كان للأسرة العلوية - لدى أهل السنة - ولا يزال مكان الصدارة في المجتمع السني، ولم يترك للعلويين فرصة الحكم مثلما نجده في الأقطار السنية، وكما يظهر في أكثر من قطر إسلامي حتى اليوم.

٢ - ورب قائل يقول: إن هذا الاعتراف بالفضل، يلزم القول بأفضلية الهاشميين على غيرهم، وهذه الأفضلية تجعل من عداهم مفضولين، ولا حق للمفضول أن يستأثر بالحكم في حال وجود الفاضل.

نقول: إن مقام الفضيلة والفضل ليس بالضرورة شهادة على الأفضلية، فإذا كان فضل عموم آل البيت قد جاء؛ لأن منهم خرج أكرم الأنبياء والمرسلين، وفيهم نزل الوحي من السماء، فإن هذا الفضل ليس ملتزماً في آحاد آل البيت، فقد يكون منهم العاصي والمذنب، والخارج عن الدين، ومثل هذا يسحب منه هذا الشرف - أي: شرف الاختصاص والاصطفاء بالرسالة منهم، وشرف الانتساب إلى آل بيت النبي ﷺ - والرجل الفاضل من آل البيت، لا يعني أن غيره بالنسبة إليه هو مفضول بالضرورة؛ لأن الأفضلية عند الله، يحددها التقوى لا النسب.

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣) فقد يكون هذا فاضل من آل البيت، وقد يوجد من هو أفضل منه في الورع والتقوى.. إلخ، ولا قيمة لنسب

الطين إن لم يسعفه نسب الدين: (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) (هود:٤٦).

أما بالنسبة لموضوع السياسة والحكم، فإن الأفضلية في هذه الناحية تبقى مسألة نسبية، فقد يصعب تحديد الأفضل من ملايين الناس، كما أن معيار الاختيار في هذا الجانب لا يتوقف على الأفضل ديناً و فقط بل والأفضل قدرة ومهارة على سياسة الحياة وقيادتها، وعلى قضايا تحدها ظروف الزمان والمكان، وتفرضها مصلحة المسلمين العامة.

٣ - أما قصة "سقيفة بني ساعدة"، فهي تشير إلى أول مجلس استشاري عقد في الإسلام، وأول ممارسة لمفهوم الديمقراطية المعاصرة، فقد شب الخلاف بين المهاجرين والأنصار على مسألة الخلافة بعد النبي ﷺ، وأرادوا ألا يغيب وجه الحبيب ويدفن حتى يكون المسلمون قد باتوا على أمر جامع، ولو دفن قبل ذلك لحدث فراغ سياسي، وربما ترتب عنه تفكك لمجتمع الرسول، وتمزق لوحدة المسلمين، فكان أن حسم الأمر وتم مبايعة أبي بكر بناء على استخلاف الرسول له في إمامة المسلمين في الصلاة، واستناداً إلى ما ورد في فضله -أيضاً- من الأحاديث، وإلى خصوصية صحبته للنبي ﷺ وشدة ملازمته له، ومكانته عنده، ولقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: (يأبي الله والمسلمون إلا أبا بكر).

وقوله: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" متفق عليه.

ومما يدل على مكانة أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ما أخبر به ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وُضع عمر على سريره (بعد أن طعن) فتكفنه الناس

يدعون، ويشنون، ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه، فإذا هو علي فترحم على عمر، وقال: ما حلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: (جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما) صحيح رواه ابن أبي عاصم.

٤ - لقد جعل الفكر الباطني من قضية الحق السياسي لآل البيت محور اهتمام العقيدة، ومدار شغلها، فأصبح لا مغزى من رسالة النبي ﷺ ولا هدف من ورائها إلا تكريس هذا الحق، وتأسيس الحكم لأبنائه من بعده، وظل هذا الحق هو هاجس الشيعة، الذي استهلك معظم شغلهم وتفكيرهم وسبب لهم الكثير من المتاعب ونسجوا فيه الكثير من الشعوذات والأساطير.

وأول عهدٍ عهد به النبي - في الفكر الإسماعيلي - هي تسلم الأمانة إلى علي وهي الوصية والإرث السياسي من بعده، وولاية الإمام هي الأولى والأخيرة في الدين، وهي أول مقاصد الشريعة وغاية الغايات، وصلاة العبد وإيمانه رهن بوجود الإمام الحاكم من آل البيت، هذا ما يروج له الباطنيون.

وهذا التصور الساساني في الفكر الباطني، ينقل محمداً ﷺ من مرتبة النبي إلى منزلة الإمبراطور، كأنما لم يهتم بالرسالة اهتمامه بكرسي العرش وتأسيس الحكم لأبنائه من بعده، مع العلم أن آل بيته كانوا في مقدمة صفوف الجهاد والابتلاء، وحرّم الله عليهم الزكاة حتى لا يكونوا مضنة للشبهة أو يوجد منهم من يستأثر

بهذا المال باسم القرابة، ولم يجعل عطاءهم إلا من الفيء الذي يأتي عن طريق البذل والتضحية ورفع رؤية الدين، لأنهم أهل لذلك أو هكذا يجب أن يكونوا.

٥ - إن روح الإسلام وجوهره لم يفسح أي مجال للحديث عن مصلحة أحد من مصالح الدنيا، ولم يتعبد الناس في ولاء شخص لذاته، وحدد قيمة الفرد بدرجة قربه أو بعده من الله، كما لم يرتبط الإسلام بأبعاده المثلى، بمنفعة أسرته من الأسر، ولا سلالة من السلالات، ولم يلزم الله تعالى نفسه وهو المالك المتصرف في كل شيء بإعطاء صك أبدي لأحد في أي شيء من ملكه، إلا لعباده الصالحين.

ثم إن هذا يتناقض مع عالمية هذا الدين ونظرته الأوسع للعالم بأسره.

قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (سبأ: ٢٨)، وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧).

ولو ظهر في هذا الدين أي مسحة من مصلحة أو استئثار في مجال السلطة وبسط النفوذ، لكان ذلك مدخلاً، وأي مدخل للتشكيك في رسالة الإسلام العظمى، وأهدافه العالية المثلى، إذ سيقول الأعداء إنما محمد إمبراطور ظهر في ثياب نبي، والدليل على ذلك جعله أمر الناس في عقبه، وربما كان ذلك أول سبب لعزوف القبائل العربية عن هذا الدين، التي جبلت على النفور من سلطة المخلوقين، إلا أن تكون سلطة الله وحده، عندها يمكن أن يسقطوا تيجان زعمائهم ليبقى سلطان الله دون منازع.

ولذلك كان الإسلام حاسماً في هذا المجال، فجعل الأمر شورى بين المسلمين، قال تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (الشورى: ٣٨).

وجاءت سورة باسم الشورى، دليل على أهمية المشاركة الجماعية في هذا الأمر، بل ومن حكمته أنه لم يجعل للنبي - ﷺ - عقباً من الذكور، وقد توفي أبناؤه

الذكور صغاراً، وكان الله أراد نفي أي شبهة حول اختصاص النبي لمجرد الرسالة والتبليغ.

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الأحزاب: ٤٠).

كما أراد الله -عز وجل- بذلك حسم قضية الاستخلاف، وإخراجها من الإطار الفئوي السلافي الضيق إلى أمة الإسلام، إلى أحمرها، وأبيضها، وأسودها وعربها وعجمها، وحتى لا يكون الأبناء مصدر فتنة في الدين، وتنتهي قدسية الدين فيهم، فيصبحوا كما كان ينظر الفرس إلى الأسرة "الساسانية"، وكما ينظر المسيحيون إلى عيسى بن مريم، ويصبح الدين تبعاً للناس لا متبوعاً من الناس، يسير خلفهم لا يسرون خلفه، وهذا ما صرنا نلمسه عند الشيعة، حيث صاروا يجرون وراء الأئمة وتركوا كتاب الله وهدى نبيه وراءهم ظهرياً.

وعلى هذا نجد النبي ﷺ يقول: "اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة" أو كما قال، ولم يشترط الله في موالاته أحد من الناس حسبه ونسبه بل صلاحه وتقواه.

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥)، وليست جملة (وَهُمْ رَاكِعُونَ) جملة حالية -هنا- كما فسرها البعض، وجعلها حكراً على الإمام (علي) لقولهم: إنه زكى راعياً، وإلا لكانت الصدقة حال الصلاة أفضل، وهذا ما لم يقل به أحد.

ولم يختص الله أحداً من الناس ليرثه شرعية الحكم، إلا أن تتوفر فيه شروط الصلاح، وهو شرط عام يمكن أن يتحقق في أي مسلم، وهذا ما نجد في آية الاستخلاف.

يقول تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (النور: ٥٥).

وقال: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ١٢٨).

٦ - إذا كانت دعوى السيادة والوصاية لآل البيت على الناس، قد جاءت - كما يرى الإسماعيليون، كفرضة شرعية، وضرورة بشرية، وعليها يتوقف منهج الحياة، وصلاح الأمة، وصحة العقيدة، وقبول الطاعات، فلماذا لا يشير الله صراحة إلى هذه القضية المحورية، ويذكر ذلك في أكثر من آية صريحة لا تحتمل التأويل. والله يقول: (... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨).

هذه ناحية، أما الناحية الثانية: أليس حق على الله - وقد صار دينه رهناً بزعامة آل الرسول - أن يوفر لهم أسباب النصر وسبل التمكين، كمقتضى من مقتضيات كمال هذا الدين وتمام بنائه، وكيف نفسر قول الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة: ٣).

٧ - لم يكن الإمام علي - كرم الله وجهه - من طلاب الدنيا، وكذا جميع الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم، فقد عاشوا جميعاً في حال من التقشف، وشطف العيش والتواضع، وابتعدوا عن كل مواطن الأثرة، ومنازل الشبهة حتى ظل أبو بكر وهو خليفه فترة يأكل من عمل يده.. وبقي عمر يقتات على الملح والزيت حتى محل عوده وأصفر وجهه، وكان الإمام علي أبلغ من ذم الدنيا ورغب عنها.. ولو كانوا طلاب جاه ومناصب، لبناوا القصور المشيدة، وركبوا الميآثر، واتخذوا الجواري والغلمان، ولبسوا الحرير والديباج.

ولو كان تحمل أبي بكر أمر الأمة فيه أثرة أو مغنم، لكان أوصى بالخلافة لولده من بعده، ولقد نهر عمر من أشار عليه باستخلاف ابنه من بعده، فقال: "ثكلتك أمك، إن كان في هذا الأمر خير فقد أصبنا منه، وإن كان فيه شراً فيكفي عمر".

وأبلغ رد على من يذرفون دموع التماسيح على خلافة آل البيت المنهوبة، أن الإمام علي لم يوص بها لأحد من أبنائه، ولو كان قد أوصى بها لما تنازل عنها ابنه الحسن لمعاوية، ثم هل يتنازل الحسن سبط رسول الله وربحائه عن ولاية يرى فيها ما يراه الباطنيون من لزوم حصرها في آل البيت كفريضة شرعية، وضرورة بشرية. وعليها يتوقف صحة الدين، وسلامة العقيدة!!؟.

إن هؤلاء الشيعة الغلاة والروافض ينظرون إلى الدين من الناحية الانتهازية فيبحثون فقط عن مواطن الاستحقاق، عملاً بمنطق الإرث، ومنطق الأقرب في النسب، ولا ينظرون إلى الإسلام كرسالة عالمية بعيدة عن شهوة الشهرة والحكم والتسلط، وأن محمداً ﷺ ما هو إلا مبلغ وكفى وليس له من الأمر شيء كما قال الله.

٨- إن الإسلام دين هداية لا دين وصاية، وإذا وجد من نسل النبي ﷺ من يريد أن يأخذ الإسلام ليستعمله له، لا يعمل به، ويستخدم به، لا ليخدمه، ويمثل به، لا ليتمثل به، فقد أخطأ الصواب، إذ القياس أن الأبناء إمتداد لسيرة الآباء ومن عقوق الأبناء أن يتخذوا غير سبيل آبائهم، وكان المنطق يقتضي أن يكون آل رسول الله ﷺ هم أهل السنة الحقيقيون، لأن السنة هدي جدهم.

فكيف. عن يصبح منهم أعداء لما جاء به جدهم؟ وإن النسب الأقوى في الإسلام هو نسب الدين، لا نسب الطين، ومن ليس لهدي النبي تبعاً، لا يكون جديراً بشرف النسب إليه، كما قال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)، مثل عم النبي أبي لهب الهاشمي القرشي.

د- مناقشة أدلة الشيعة في مبدأ الحق السياسي لآل البيت :

وردت أحاديث جليلة في فضل الإمام علي وآل البيت، منها ما أجمع الجمهور واتفق الرواة على صحة ورودها، ومنها ما اختلف في صحتها، ومنها ما اعتبرها الجمهور من الأحاديث الموضوعة التي انتحلها الباطنيون في الإمام علي وآل البيت -رضي الله عنهم- ولقد جعل الباطنيون من مجموع تلك الأحاديث والآيات الواردة في آل البيت التي تذكر فضلهم ولزوم مودتهم، جعلوا منها دليلاً وافياً على أحقية الإمام علي في الخلافة بعد رسول الله وأبنائه من بعده إلى يوم القيامة.

أما ما يستدلون به من الآيات، فمن مثل قوله تعالى:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: ٢٣).

وقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا) (الأحزاب: ٣٣).

أما المودة ومعناها هنا وسبب نزولها، فقد اختلف فيها، وأحسن الآراء أنها نزلت في قريش عندما نابذوا النبي ﷺ العداوة فجاءت الآية تطلب تطبيق مبدأ صلة الرحم الذي يجمع بينهم، وبين النبي وبينه هاشم، ويذكرهم بحقه عليهم من حسن المودة وقربه منهم، ولا يمنع من خصوص السبب أن نأخذ بعموم اللفظ ونُبرّ النبي صلى الله عليه وسلم في أهل بيته، كما طبق ذلك الخلفاء الراشدون، وأن يكونوا محل احترام المسلمين في كل زمان ومكان، ولكن الاحترام المشروع.

والمراد بأهل البيت في الآية الثانية هم -عند الشيعة- الخمسة، أهل الكساء وهم: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، رضي الله عنهم أجمعين، وقد وردت بذلك أحاديث موثوقة.

وهناك آيات أخرى اعتبرها الشيعة أنها نزلت في الإمام علي، غير أن جمهور أهل السنة والجماعة ينفون اختصاصها بالإمام علي.

ومن الأحاديث ما ورد في تفسير قوله تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: ٦١) دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" رواه مسلم في صحيحه، من حديث سعد بن أبي وقاص، وله شاهد عند ابن أبي عاصم.

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" صحيح، رواه ابن أبي عاصم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"، فقال: ادعوا لي علياً: فأتي به أرمم فبصق في عينيه ودفن الراية إليه، ففتح الله عليه" متفق عليه من حديث سهل بن سعد. ورواه ابن أبي عاصم.

أما أشهر تلك الأحاديث التي يستند عليها الشيعة للقول بوجوب إمامة أهل البيت، فهي الأحاديث الواردة في قريش، وحديث (غدير خم)، فأما أحاديث قريش فقد ورد في البخاري: "استقيموا لقريش ما استقاموا لكم" و "قدموا قريشاً ولا تقدّموها" (بفتح الدال).

وأما حديث (غدير خم)^(١) فقد اختلف في نص روايته، حيث نجد في الأحاديث الصحيحة روايات لا تتفق مع ما يذكره الباطنيون من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقع.

ففي صحيح مسلم، عن زيد ابن أرقم قال: قام فينا رسول الله خطيباً بماء يدعى "خما" بين مكة والمدينة، فقال: "أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، موشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا كتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً" رواه ابن أبي عاصم.

وأما كتب الشيعة فتروي هذا النص: "أيها الناس! إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله".

فهذه النصوص من الكتاب والسنة التي وردت في فضل آل البيت، وفي فضل علي خاصة إلى جانب (أحاديث أخرى مطعون في صحتها)، يتسلح بها الشيعة أمام من يعتبرونهم منكري هذا الحق الوارد من الله لآل البيت في الحكم والسيادة، حقاً خالداً أبدياً، لا ينازعهم فيه إلا هالك، ولا يستأثر به دونهم إلا ظالم جائر.

ولقد دارت معركة كلامية طويلة بين أهل السنة والباطنيين حول مدلولات هذه النصوص.

(١) منطقة بين مكة والمدينة وقد كان بعد حجة الوداع والعودة إلى المدينة.

فما ورد في فضل الإمام علي من الآيات والأحاديث -تظل- على سمو قدرها وجلالها، غير دالة على وجوب حبس الخلافة فيه وفي عقبه من بعده، بحيث لا معدّى عنه إلى غيره.

ولا يوجد بين دلالات هذه النصوص أي علاقة مع مفهوم الحكم ولزوم الصدارة السياسية، كما يفهمه الباطنيون، وذلك للاعتبارات الآتية:

١ - بالنسبة لحديث المنزلة، فهو مرتبط بالمناسبة التي قيل فيها، إذ يروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استخلف الإمام علي، على من بقي في المدينة وذلك في غزوة تبوك، كما استخلف موسى أخاه هارون في من بقي من قومه وذلك عند ذهابه لميقات ربه، ولما شكى الإمام من نيز المنافقين وتعييرهم له بالجن والبقاء إلى جانب النساء والأطفال، قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم -مواسياً ومذكراً له بمثل من سبقه-: "أما تحب أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى..".

أي: إنك بذلك قد أشبهت خليفة موسى وهو أخوه هارون.

فهو من ناحية طبيعة الحدث المتشابه لا من ناحية ميراث الخلافة، فقد توفي هارون قبل موسى، وربما كان التشابه في المكانة الدينية، ومثله حديث الراية فقد أسندت راية الجهاد وقيادة بعض الغزوات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى صحابة آخرين، ولا يشير إلى غير فضل الإمام ومكانته من الله ورسوله.

٢ - أما أحاديث قريش، فبعض العلماء يرى أنهما من أحاديث الأخبار، فهي لا تتضمن أمراً بوجوب لزوم حصر الإمامة في قريش الذين منهم بني هاشم، وأن مثله في ذلك حديث: "الأذان في الحبشة" قياساً على بلال الحبشي مؤذن الرسول، ولا يوقف عليه وجوب حصر الأذان في أهل الحبشة، ولعل هذا من باب التغليب،

فلما كان قريش هم أكثر العرب في ذلك الزمان استقراراً وأكثر انفتاحاً على الحضارات المجاورة، وأكثر دراية لشئون السياسة والحكم في ذلك العهد، فالغالب أن يكونوا أفضل قدرة من غيرهم على تسيير دفة الحكم، وقيادة العرب الذين كانوا يعترفون لها بالسيادة، وإلا فيما تفضل قريش على غيرها، وهي التي حاربت الله ورسوله ولم تدعن إلا بعد فتح مكة، ورسوخ قوة المسلمين، وصلابة شوكتهم، ولو كانت هذه الأحاديث من الوضوح في لزوم الإمامة في قريش بحيث يترتب على مخالفتها مخالفة شرعية، لما نازع الأنصار إخوانهم المهاجرين على مسألة الخلافة في سقيفة بني ساعدة، فلعلها متعلقة بزمن الريادة القرشية على قبائل الجزيرة، وهو ما أشار إليه أبو بكر -رضي الله عنه- بقوله: "إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش".

٣ - ليس فيما رواه مسلم من حديث (غدير خم) أي إشارة للإمام علي وولايته، فضلاً عن أن صيغته لم تجعل الجمع بين كتاب الله وأهل البيت جمعاً حتمياً متلازماً، كما جاء في بعض الروايات: "عليكم بكتاب الله وعترتي أهل بيتي".

وعلى فرض صحة ورود الرواية الشيعية من خطبة (غدير خم) فهي لا تشير صراحة إلى وجوب حصر الخلافة في آل البيت؛ ولفظ "مولى" لا يفيد معنى أولى، إذ لم يثبت علماء النحو أن "مفعل" تكون بمعنى "أفعل" التفضيل وهذه يقتضي أن يكون المولى بمعنى (الناصر) لأن الموالات هنا ضد العداوة^(١).

وقد جاءت في القرآن بهذا المعنى، قال تعالى: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الأنفال: ٤٠)، وقال تعالى: (بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) (آل عمران: ١٥٠)، كذلك: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ

(١) من كتاب: "نظرية الإمام لدى الشيعة الاثنا عشرية" (ص: ٢١٥) د/ أحمد صبحي، دار المعارف مصر.

الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) (محمد: ١١)، أي: لا ناصر لهم، إذ لا يخلو أن يكون للكافرين أمير - لو كانت بمعنى والي- وقد ذهب بعض العلماء في تأويل ما جاء عن الرسول من التذكير بآل بيته، والتوصية بهم، إلى أنه عليه الصلاة والسلام قد كشف له ما سيلحق بآل بيته من بعده من الإيذاء، وما سيصيبهم من الاضطهاد على يد مبغضيه، ومحبيه - على حد سواء- فكانت دعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يرعوه في أهل بيته، وأن يكونوا (أي: المسلمين) عوناً لهم، لا حرباً عليهم.

وهذا ما حدث بالفعل، فقد تعرض آل البيت لصنوف من الحرب والتنكيل، سواء في العهد الأموي أو العباسي أو على يد الباطنيين أنفسهم، وكما سترى فيما سيأتي من هذا الكتاب.

٤ - إذا فرضنا جداولاً أن هذه الأحاديث الكثيرة الواردة في فضل ومكانة الإمام علي، يفهم منها أن الإمام علي كان الأفضل من غيره، وبالتالي الأجدر بالخلافة، فقد أجاز الإمام زيد بن علي -رضي الله عنه- وغيره من آل البيت - ناهيك عن جمهور علماء المسلمين- إمامة المفضول مع وجود الفاضل، لأن المسألة تظل نسبية، وتقدير ذلك خاص بالعلیم الخبير.

٥ - وإذا قيل: بل كل حديث من هذه الأحاديث تحمل تلميحاً مفهوماً، وإشارة ضمنية، على حق علي في الخلافة، وأن مجموع هذه الأحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعده لهذا الأمر، ويوضح للصحابة منزلته التي توهله لذلك.

ونحن نقول: إن قاعدة الأصوليين في ترتيب الأحكام، هي تقديم النص الصريح على المؤول، والراجح على المرجوح، والقطعي على الظني، والمنطوق على المفهوم، والناسخ على المنسوخ..

وهناك عشرات من الآيات والأحاديث في مسألة الحكم والخلافة، تؤكد على كون ذلك شأنًا يخص كل المسلمين، ولا يشترط فيه غير الصلاح والأهلية والإجماع.

ثم إن الحكمة في أن يكون هذا الأمر حقاً عاماً، حاصلة ومفهومة، باعتبار عالمية الإسلام، فما الحكمة أن يبقى رهن سلالة معينة من الناس.

٦ - لو كان هناك وصية صريحة للإمام علي لكان واقع الحال يقتضي أن يقوم الصحابة بتنفيذ أمر نبيهم، ويستحال أن يتواطؤوا على معصية الرسول، لأن التزام جموع الصحابة بمهدي نبيهم حقيقة تاريخية، بل هي فريضة شرعية، وضرورة اعتقادية، إذ كيف يتصور تواطؤهم على معصية الرسول، وعن طريقهم جاء الإسلام.

كما أنه يلزم وقوف الإمام علي ولو بمفرده لتنفيذ أمر الرسول، والبحث عن شتى السبل المشروعة لإعادة الحق إلى أصحابه، مثلما قام بالقتال بعد مبايعته، لإجبار من ناصبه العداة على التسليم بخلافته الشرعية، ثم كيف يقبل الإمام علي بتحكيم عبد الرحمن بن عوف على تعيين الخليفة بعد استشهاد عمر، ثم يسلم لحكم عبد الرحمن في اختيار عثمان؟ أفصح أن يقبل بمبدأ التفويض في نص قضاه الله ورسوله لو كان حقاً وصياً؟!

إن ما نجده هو أن الإمام علي -رضي الله عنه- ظل سندا للخلفاء الراشدين الثلاثة، ينصح إذا استنصحوه، ويقدم إذا استقدموه، ويغزو إذا استغزوه، ويضرب

السوط بين أيديهم، وكانوا لا يقطعون أمراً إذا بال حتى يكون علي في مجلس الشورى يدلي برأيه، ويحكم بعلمه وفقهه.

حتى قال عمر: "لولا علي هلك عمر" وقال: "لا أبقاني الله في مسألة ليس فيها أبو الحسن" فأين -عسى أن- تلمس مواقف العدا، ودلالات السخط في سيرة الإمام مع الخلفاء الثلاثة، إذا كان التأريخ لا يثبت إلا المودة بينهم في أحسن صورها- ولماذا لا نجد الإمام علي وقد آثر الانتصار لما أمر الله ورسوله، لو أنه موصى إليه يخرج مغاضباً من المدينة في عهد من سبقه من الخلفاء، وأعذر إلى الله بالاجتهاد في حمل الأمانة من خلال البحث عن المؤيدين والأنصار.

والحق أنه لا وصية بسلطة لعلي، لا على طريق التصريح ولا التلميح، والذين يصرون على هذا المبدأ إنما يصرون على وضع الخليفة الرابع في قفص الاتهام، لأنه بذلك أولى بالعتب من غيره على التقصير، والأولى باللوم على إثارة السلامة وترك الأمانة، وحاشا أن يكون الإمام علي -كرم الله وجهه- من هذا الصنف، وهو الذي نام في فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير خوار ولا هيّاب من الموت، ولم يخف من فرسان العرب الأشداء الذي أحاطوا به مضطجعاً أعزلاً، وهو لا يأمن أن يصير طُعماً لسيوفهم المسلولة.

ثالثاً: القول بعصمة الإمام

لقد كان من مقتضيات الحكمة الإلهية، أن يكون للأنبياء والمرسلين صفة العصمة، كشرط لازم لسلامة النقل عن السماء، وتجنب العقيدة آثار ومضار القصور البشري، وتنزيهها من حدوث الخلط والتحريف، فتصل حجة الله إلى الإنس والجن كما أراد لها أن تكون.

كما أن العصمة تتجاوز هذه الدائرة إلى دائرة أخرى، تتصل بتنزيه الرسول، مما قد يكون سبباً في جرح عدالته، أو الغض من مكانته كقدوة، وأسوة في الأخلاق والسلوك، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم في التبليغ عن ربه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٣-٤)، معصوم عن المعاصي، وباستثناء هذا فالرسول يظل على بشريته، وقد يتعرض لخطأ اجتهادي في التطبيق، ومن أجل ذلك كان يشرك أصحابه في الخطط العسكرية، ويستشيرهم في أمور الدنيا وشؤونها، وقد ينزل عند رأيهم ولو خالف رأيه، وقد قال صلوات الله عليه فيما روي عن أم سلمة: "إنما أنا بشر وإنكم لتختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار" رواه البخاري، ومثل هذا، حديث تأبير النخل المشهور، فيدخل الرسول في هذا، في عموم الحديث "كل ابن آدم خطاء...".

كما قد يسهو النبي في الجانب الإجرائي وليس التبليغي، فقد صلى الرباعية ثلاث ركعات، حتى ذكره ذو اليمين، فقام، وأكمل، وسجد للسهو.

وإنما أردنا بهذا أن نشير إلى أن العصمة لم تكن للأنبياء، إلا لحفظ الوحي من آثار القصور البشري، كالهوى، ونوازع النفس الأمارة بالسوء، وكذا حفظهم مما قد يشين من مروءتهم، ويقدح في عدالتهم، ويجرح من مكانتهم كأسوة في السلوك، فهو لا يتعمد المعصية، ولا يرتكب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وها هنا تكون عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وبما أن الرسائل السماوية قد انتهت بآخر الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبما أن الوحي قد انقطع بموته بعد اكتمال الدين ونزول آخر آية من القرآن.. فإن الغرض من وجود العصمة البشرية قد زال بزوال السبب وهو وجود الأنبياء والوحي.

فما حجة الباطنيين اليوم للقول بعصمة الأئمة، ومنحهم صفة الأنبياء، والله يقول: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (الأحزاب: ٤٠).

فلا نبي بعد محمد، ولا كتاب غير كتاب الله القرآن، ولا سنة غير سنته، ولا هدي غير هديه صلى الله عليه وآله وسلم، وكل ما فيهما واضح جلي، (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: ٣٧)، فلم يبق أمام الإنسان سوى استعمال عقله، وتشغيل مداركه، واختيار سبيل الرشده وطريق الحق.

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان: ٢-٣).

فيكفي أن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وأوضح سبيل النجاة من سبيل الهلاك، وأعطى الإنسان عقله وسمعه وبصره للتمييز، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا حجة على الله بعد الرسل.

أ- الأهداف الباطنية من وراء مبدأ العصمة :

ولكن أصحاب العقائد التلفيقية، والأساليب التدميرية، أصروا إلا أن يجعلوا العصمة من نصيب الأئمة أيضاً.

وثمة مقاصد خبيثة في طوايا نفوسهم ترمي من وراء هذا الزعم إلى تحقيق ما يلي:

١- لما قضاوا بوجود قرآن لا نعرفه، أو ما يسمونه بالقرآن أو التأويل الباطن، وجدوا أنفسهم أمام سؤال كبير وهو: بما أن هذا القرآن البعيد الغريب لا يمكن الاهتداء إليه بكل القرائن اللفظية، والحجج العقلية، والأدلة النقلية، ولا يوجد بينه وبين قرآن الله أي وجه شبه أو وشيجة صلة - كما سبق معنا- فكيف لنا بمعرفته؟ أم كيف نستطيع أن تستجيب لما ندب الله إليه، من التدبر في آياته (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤) ومن الذي أوصى بهذا الابتكار العجيب في تفسير كتاب الله الذي صار اسمه عندهم تأويل الحقائق، فيصبح "التين" ومعناه: محمد، و"الزيتون": علي، و"طور سينين": الحسن، وهذا البلد الأمين: "الحسين" و"الرفث": أبو بكر، و"الفسوق": عمر، و"العصيان": عثمان.

لما كان وجود مثل هذا السؤال من البديهة، عادوا إلى الملجأ الوحيد في كل شيء، وهو: (الإمام)، ولكن بقي سؤال آخر، وهو أن المؤمنين لم يقبلوا القرآن من خالق البشر على لسان سيد البشر إلا (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء: ١٩٥) فمن هذا الذي ينتظر أن تمنحه من الطاعة العمياء، ونعطيه من التصديق والثقة، ما تقر معه بمثل هذا التأويل المتعسف!؟

في حين لا يختلف عن غيره في شيء؛ قال الباطنيون: أبداً، الإمام يختلف عن سائر الخلق، وفوق حدود التصور.. على المؤمن الصالح أن يصدقه في كل ما يقول،

ثم يمنحه بعد ذلك ما شاء من لوازم القدرة على كشف الباطن، وإظهار الحقائق والأسرار، كالعصمة وعدم الزلل وغيره.

فـ "له معجزة بل معجزات، وأخبار بالكائنات قبل كونها، وإظهاراً للعلوم المكنونة"^(١).

ويقول المعز لدين الله الإسماعيلي:

"فالحمد لله الذي مَنَّ علينا بالعصمة، ولم يجعل لنا فيما حرمه علينا من شهوة"^(٢).

٢ - عندما حكم الباطنيون بكفر الصحابة، وجرحوا في عدالتهم، وأصبحت سنة رسول الله التي جاءت عن طريقهم غير ذات جدوى، ولا قيمة لها بعد التشكيك في صحابة الرسول، وجدوا الحاجة مسيسة إلى من يشرع لهم ما يعفيهم من اللجوء إلى الأحاديث النبوية، فكان فكرة الإمام (المعصوم) هو البديل الذي سيقوم بتغطية العجز، وإعطاء ما يحتاج إليه المذهب من المواعظ والحكم، بل والأحاديث إن لزم الأمر المروية كذباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن هذا عبء يتطلب من الإمام أن يتحلى بصفة العصمة لأنه لا مبرر للأخذ بكلامه كعقيدة، ما لم يكن خالياً من الخطأ، معصوماً من الزلل، فقالوا بعصمته.

٣ - إذا كانت أحكام الشريعة، قد تم التخلص منها بالتأويل الباطن للقرآن وبتكفير جل الصحابة، فكان لا بد أن ينهض الأئمة بمسؤولية التشريع والتنظيم، ووضع فلسفة للحياة والكون، وبما يلي طموح الزعامات القداحية في مجافة الشريعة، وإبدالها بمرطقات إغريقية، ويونانية، وهندوسية، ومجوسية وغيرها.. ولكي

(١) "المصاييح في إثبات الإمامة" للكرماني، باب في وجوب إمامة الحاكم بأمر الله، (ص:١٤٠).

(٢) "المجالس والمسائرات للفاضل النعماني" الجزء التاسع عشر (ص:٤١٨)، ط. تونس.

تأخذ هذه الفلسفات طابع القدسية وتكسب احترام العامة، قالوا: ألها جاءت عن أئمة معصومين.

٤ - إن الأوامر السلطوية الديكتاتورية، المتحكمة، والإملاءات الفردية التي تأتي من الإمام، لا يمكن الاستجابة والتفاعل المطلوب معها من الأتباع، ما لم تكن مصبوغة ببعد عقائدي، وهو إضفاء صفة العصمة على تلك الأوامر، المحجفة في الغالب، فصار مرتبطاً في أذهان العامة أن زعماءهم لا ينطقون بغير الصدق، ولا يفعلون إلا الحق، مهما بدت سلوكياتهم غريبة.

٥ - يريد الباطنيون بمبدأ العصمة، أن يقولوا: مذهبنا أصح المذاهب، لأن علماءهم هم الأئمة المعصومين، وأمتنا خير الأمم، لأن زعامتها لا ككل الزعامات، فهي زعامات معصومة من الخطأ، وزعامات بهذه الصفة، سوف تقود أتباعها إلى ما فيه صلاح حالهم، وسلامة وحدتهم.. وثبات عقيدتهم.

يقول الكرماني: "إن الحاجة إلى الإمام إنما كانت لأن يكون قائماً مقام

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما كان يتعلق بأمر الدين وحفظ نظامه".

ولما كانت الحاجة إلى القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لذلك، وكان لو جاز أن يكون غير معصوم لا يقع من يسلك بالأمة غير سبيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أحكامه أو كلها، وكان ذلك مؤدياً إلى الظلم، وحمل الناس على شق العصا ومفارقة الجماعة، وجب أن يكون معصوماً فتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة"^(١).

(١) "المصايح في إثبات الإمامة" المصباح الخامس من المقالة الثانية، (ص: ٩٦).

ب- الواقع الباطني يناقض مبدأ العصمة المزعومة :

في واقع الحال عندما تتبع الحركة الباطنية، عبر تأريخها الفكري والسياسي الطويل، سوف لن تلحظ ما يبرر للباطنية زعمهم هذا.

فإذا كان من لزوميات هذه العصمة كما يقول الكرمانى: "عدم حدوث الانحراف في دين الإسلام"، فإن المذهب الإسماعيلي أصبح في الواقع أبعد ما يكون من أسس الإسلام وثوابته، وكل ما نجده في تراث الفكر الإسماعيلي هو عبارة عن مزيج من فلسفات وثنية، ونظريات فلكية، وتوافقات عديدة لا تتفق معظمها مع مبادئ الإسلام الصحيحة في شيء.

١- اضطراب العقائد الباطنية وتناقضاتها:

إن مستوى التناقضات والاختلافات الجوهرية بين المفكرين الإسماعيليين حول قضايا أساسية محورية، كالاختلاف في اليوم الآخر، وحقيقة الجنة والنار، والاختلاف في تأويل ما يسمونه بدعائم الإسلام، والحلول والتناسخ، كل هذه الاختلافات الصميمة، لا تترك أي مجال للقول بوجود "عصمة".

٢- توالد الحركات الباطنية وتمزقها:

ولقد تعددت المذاهب الباطنية بمستوى التعدد الحركي، ولا أعتقد أن ديناً قد تعرض لمثل ما تعرضت له الحركة الباطنية من تصدعات، وانشقاقات، وتعدد في الرؤى وفي الاتجاهات، إلى حد صار من الصعب على المؤرخين وضع تصور كامل وموحد حول تلك الفرق الباطنية، واستيفاء البحوث حقها من الدراسات العلمية والمحققة، عن كل فرقة على حده، نظراً لكثرة التواءات التي ظهرت في الجسم الباطني، وغياب بعضها بصور غامضة وسريعة، مثلما كان ظهورها لأسباب غامضة وغير مفهومة.

وقد أمكن للمؤرخين أن يمدونا بشيء من المعلومات عن عدد تلك الفرق، ولو بصورة مقتضبة، ولكل فرقة بحسب حجمها السياسي والعسكري والفكري الذي ظهر على الساحة.

ولا بأس أن نسرد هنا بعض أسماء تلك الفرق (الباطنية) التي ظهرت عبر التاريخ لنرى حظ العصمة في وحدة الحركة الباطنية، وأثرها في لَمَّ شملها وتوحيد صفها، وهي كما ترى على النحو الآتي:

الحنفية: ومنها خرجت: الأبوهاشمية، الراوندية، الحارثية، البيانية، الكربية، الحميرية، الكيسائية.

الحسينية ومنها: المغيرية، المنصورة، الحمدية.

الجعفرية الإمامية: الخطابية، النصرية، المباركية، الموسوية، الحمدية، المفضلية، المعمرية، اليزيفية، الباقرية، الشميطية، العمارة، القطيعية، الهاشمية، الزرارية، اليونسية، الشيطانية، الإسحاقية.

الإسماعيلية ومنها: القرامطة، الدروز، المستعلية، الداودية (البهرة) السليمانية (المكارمة)، النزارية، المؤمنية، القاسم شاهية، البيرية، الأغانانية.

وهناك الكثير من الفرق الباطنية التي لا تعترف بهم الباطنية.

كالخطابية، والخرمية، والدهرية، والوجودية،...و...و...الخ.

وصدق الله العظيم القائل: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأنعام: ١٥٩).

وهي كلها من إفراز الفكر الباطني ومدخلاته الفلسفية، التي غزت المجتمع الإسلامي، وأحدثت فيه انحرافات فكرية عديدة.

وعندما نستقرئ الأسباب التي كانت وراء كل تلك التصدعات في الباطنية، ستجد معظمها قد جاء من الأئمة (المعصومين)، إما بسبب مباشر منهم، أو بسبب الإفتتان فيهم، والإختلاف في أمرهم من قبل أتباعهم.

ج- شروط العصمة التي وضعها الباطنيون لا تنطبق على أئمتهم :

- إذا كان "من أصول العقيدة الإسماعيلية ضرورة وجود الإمام المعصوم المنصوص عليه من نسل علي بن أبي طالب"^(١)، فإن هذا الأصل لم يتوفر في التاريخ الإسماعيلي السياسي والفكري ولو لمرة واحدة من بعد استشهاد الحسين، وحتى هذا التاريخ.

شخصية واحدة يمكن أن يجادل فيها الإسماعيليون وهي: عبيد الله المهدي مؤسس الدولة (الفاطمية)، ونسبة هذا الرجل إلى علي بن أبي طالب لا أقول محاطة بالشك فقط، بل لم تكن كما عرفنا، سوى وسيلة استراتيجية استخدمتها أسرة القداح لبسط نفوذها وتنفيذ مخططاتها، وهي الوسيلة التي ما لبثت أن افتضحت في زمنها وعلى يد الهاشميين من شجرة آل البيت - كما سنرى- إن لم نقل: وعلى يد القداحيين أنفسهم.

ولولا ذلك لما أعلن علي بن الفضل تنصله من الدعوة الفاطمية، بعد أن جاءه الخبر اليقين عن نسب عبيد الله المهدي القداحي عن طريق "فيروز" الذي كان داعي دعاة المهدي وباب أبوابه ثم فر من المهدي إلى ابن الفضل، وفضح أصله، ولولا ذلك ما انسحب حمدان بن قرمط من زعامته للحركة، الذي صدم أيضاً بزيف النسب القداحي الذي تم إلحاقه بالشجرة العلوية الفاطمية.

(١) "الحركات الباطنية في الإسلام" مصطفى غالب، (ص: ٩٨).

وسوف تجد في المواضيع التالية لهذا العنوان، أن شروط العصمة في المذهب الإسماعيلي -التي هي صفة خاصة بالأئمة من أهل البيت- لم تتحقق في أي من زعمائهم السياسيين الكبار، أو فلاسفتهم، لأن جميعهم لا يمتون بصلة الرحم لأسرة آل البيت، بل أبرزهم -كما سترى- ينحدرون من أصول غير عربية ومن بيئات وثنية مختلفة، سواء من ظهر منهم في عهد الظهور السياسي، أو من جاء في عهد التراجع والاستتار.

وماذا عن مؤلفات الإسماعيلية وكتبها؟ وماذا عن فلاسفتها ومنظريها؟ كذلك لا أثر لآل البيت في هذا الميدان، اللهم إلا ما نسب إلى الإمام علي، أو علي زين العابدين، أو محمد الباقر، أو جعفر الصادق عن أحاديث موضوعة وملفقة أو محرفة على الأقل.. وما عدا ذلك فقد تولى الفرس وضع الأسس الأولى للفلسفة الإسماعيلية، وعنهم نقلها الدعاة العرب الطلقاء، واضطلعوا بأدوار تكميلية ثانوية، توقفت على الشروح، وتفصيل الجمل، وتوضيح المبهم وخلافه.

وكلهم على كثرتهم ليسوا من آل البيت، وهذا لا يعني أنه لو وجد إمام من آل البيت فإنه سيكون معصوماً، بل أردنا هنا نفي شرطهم الذي يؤكد على توفر هذا الشرط، وقد يقول قائل: ليس شرطاً في الإسماعيلية أن يكون الزعماء والأئمة الطلقاء والمؤلفون من آل البيت، بل الواجب هو إمام الزمان المنصوص عليه ممن سبقه من أبناء علي، وسواء كان ظاهراً أو مستتراً، كما ليس من اللزوم أن يباشر الإمام المعصوم مهمة التأليف، ولكنه على أية حال مصدر الإلهام ومرجع الأفهام، والذي ترد إليه الأبواب والحجج لتنهل من بحر علمه وفيض محجته، ومن هناك يكون المصدر واحد -وإن تعدد حاملوه-، ومن هنا يتضح معنى عصمة المذهب الإسماعيلي عن غيره من المذاهب.

لو كان الأمر بهذه السهولة -أي وجود أئمة معصومون لا يخطئون، يعود إليهم العلماء للاعتراف من نبعمهم النقي الصافي-، لكننا حقاً أمام مذهب متفرد في سلامة الرؤية ووحدة الفكر والتصور، بينما الواقع يشير إلى أن المذهب الإسماعيلي لم ينجح في الثبات على شيء من المنطلقات العقائدية الأولى، فأنت على سبيل المثال: تقرأ عن الإمام علي في الفكر الإسماعيلي فتجده مرة:

الإله، والخالق، المعطي، المحيي، والمميت.

ومرة ثانية: أن الله حل فيه.

وتارة: أنه الإله في الأرض، والله الإله في السماء.

وفي طائفة: أنه كان النبي في الأساس، لولا أن جبريل قد أخطأ بالرسالة.

وطائفة تقول: هو النبي الصامت، ومحمد النبي الناطق، ثم تجده في ذات الوقت وصي محمد في النبوة والحكم، ووارث علمه وهديه من بعده، فتحول من شريك إلى وصي.

ثم تفاجأ، وقد أصبح إماماً عادياً، ورجلاً مسكيناً مغلوباً على أمره، لا يملك أن يدفع عن نفسه شيئاً من تكالبات الأعداء ومؤامراتهم، يتزويج النساء، وينجب الأولاد، ثم يفاجؤوك بأن علي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد!!.

وهكذا تجد ما لا يصح على طفل من آفات التراهاات، وتجدهم في مسألة واحدة يخلطون بين ما هو عقيدة، مع ما أصله عبادة، وبين أفعال الخالق، وممارسات المخلوقين، وصفات الله مع صفات البشر، وعلى نحو ما وجدته في أكثر من موضع من هذا البحث، فهل تقول على مذهب كهذا، قائم على جملة من التباينات الجذرية، أنه مذهب معصوم أو أنه جاء عن أناس معصومين؟!.

لقد حاول الدعاة الإسماعيليون أن يوهموا أتباعهم أنهم محظوظون، لأن لهم من الأئمة المعصومين، ما يضمن سلامة الفكر من الخلل والانحراف^(١).

والعجيب أن مؤلفيهم يصدّرون كتبهم بهذه الخرافة، وينسون في أثناء كتاباتهم أن يقولوا: أخبرنا الإمام المعصوم، أو حدثنا الإمام المعصوم، أو ورد عن الإمام "المستتر" المعصوم، بل تجدهم ينسبون كل آرائهم إلى اجتهادهم هم، ولا تجد سوى ضمير المتكلم، هذا فضلاً عن اعترافهم المتكررة بتضارب آرائهم، وتناقض أفكارهم، واتهام بعضهم بالمغالاة، أو بالوهم والخطأ، أو بالتقصير وعدم التحقق... الخ.

ما عدى بعض كتبهم التي نسبت كذباً إلى الإمام جعفر، مثل كتاب "الهفت الشريف" للمفضل الضبي، ودلائل الكذب والتجني واضحة فيه.

على أن بعض الباطنيين يبالغون في توفير عوامل الراحة الفكرية، والاطمئنان العقائدي من خلال مبدأ العصمة هذه، فعند تعريفهم لها، لا يكتفون بالقول: إنها مجرد استعداد ذاتي لعدم الوقوع في الخطأ، بل يقولون: إن الإمام على اتصال مباشر بالسماء، فالله يوحى إليه ويصره ويعلمه بعلمه، ويكشف له سرائر ملكه، ويطلع على ما كان وما سيكون، ويمده بمؤيدات من عنده، فدوره لا يقل عن دور الأنبياء والرسل.

ونحن نقول: إن الإسماعيلية كحركة قد تعرضت لأسوأ حالات التخبط الفكري والتمزق الحركي، حتى أصابهم الضعف، وأحاط بهم الوهن، ولولا طرائق الانغلاق والتفوق التي ابتكروها لكان مصيرها كالخوارج، والدهرية، والوجودية، وكثير من الفرق التي انتهى أمرها إلى الزوال.

(١) فكرة العصمة موجودة في جميع الفرق الشيعية، بما فيهم الهاديوية في اليمن راجع كتاب (ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة) الذي يدرس في الدواوين ومجالس القات عند غلاة الشيعة في اليمن.

فأي (عصمة) هذه التي أسلمت أتباعها لعواصف الانشقاق والتمزق، وأين مؤيدات السماء التي تحول دون موجات الفتن والمحن التي تعرض لها الإسماعيليون في تأريخهم الطويل؟! وهل بقي من جدوى للحديث عن وجود عصمة، أو أن أئمة معصومون يقودون ويسوسون هذه النحلة أو يشرعون لها؟!!

د- الرد على أدلة الباطنية في مبدأ العصمة :

ويستدل الباطنيون على عصمة آل البيت بقول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ٣٣) .

وقد أجاب علماء الإسلام على ذلك بعدة توجيهات:

١ - منها أن هذه الآية نزلت في نساء النبي، وقد تضمنت سورة الأحزاب أكثر من عشر آيات في نساء النبي، ويدل على ذلك سياق الآيات من (٢٨-٣٤) وقد جاءت آية الطهارة ضمن الحديث عن نساء النبي، وهو قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ٣٣)

ومما يدل على أن من معاني أهل البيت تعني الزوجة، قوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (هود: ٧٣) وهذا الخطاب موجه لمرأة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وقوله: (فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً) (طه: ١٠)، وأهل موسى هي زوجته، وقد جاءت بصيغة المخاطبين مثل قوله: "ليذهب عنكم".

هذا ولا يعني خروج الخمسة أهل الكساء من الآية كما رجح بعض العلماء.

٢ - منها أن التطهير في الآية لا يدل على العصمة، لأن الآية واقعة بين آيات النهي والأمر، ومما يؤيد ذلك: إرادته منهن أن يقبلن على فعل الطاعات ويجتنبن المعاصي لكي يذهب عنهن الرجس، وأن الابتعاد عن المعاصي كفيل بتطهيرهن، كقوله تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) (المائدة:٦).

وقوله: (ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ) (البقرة:٢٣٢).

فليس في الآية ما يدل على عصمة آل البيت، أو استثنائهم عن بقية الخلق بخاصية بشرية معينة، لا تلميحاً ولا تصريحاً.

رابعاً: القول باستتار الأئمة (الغيبة والرجعة)

أ - الدوافع الحقيقية وراء ظهور فكرة الاستتار :

أشرنا في أكثر من موضع إلى أن الإسماعيلية كمنهج مرسوم، قد اضطرت إلى استخدام شعار آل البيت في طريق سيرها، باعتبار أن هذا الشعار يحمل من الجاذبية والإغراء ما يسهّل لهم تمرير مخططاتهم المرسومة.

ومن أجل إيهام العامة بسلامة النية، ونبيل المقصد وتحقيق القناعة في أذهانهم بأن آل البيت بالنسبة لمذهبهم غاية لا مجرد وسيلة، فقد أسهبوا وأطنبوا في حب آل البيت في كتبهم، مثلما أكثروا من الحديث عن الحق الإلهي في سلطة آل البيت، وجعلوا منها قضية لا تقبل المساومة، ومسألة لا تحتمل النقاش باعتبارها في نظرهم قضية توقيفية لا اجتهادية، بل وهي الركن الأول، وهي ركن (الولاية) قبل جميع أركان الإسلام.

ولما كان من وجوب التلازم المبدئي ضرورة التوفيق بين النظرية والتطبيق، بينما الأمر برمته لا يعدو كونه مجرد حيلة، لجأوا إلى التخلص من هذا المأزق بابتكار مخارج تشير بغرابتها إلى شدة الإرباك الذي صاروا فيه.. فلكي يوفقوا بين القول بضرورة أن يكون حاكمهم من آل البيت، وبين واقعهم المخالف، صاروا يخالفون لذلك قوانين الحياة وينسفون نواميس الكون للخروج من ورطتهم.

فلجأوا إلى هذا المبدأ الاضطراري، وهو القول (بالغيبة والرجعة)، أي: غيبة الإمام العلوي المنصوص عليه بالحكم إلى أجل غير مسمى، أو إلى أن تتوفر عوامل ظهوره، وتسمى هذه الغيبة بـ (الستر)، والإسماعيليون يرون أنهم استفادوا من هذه الطريقة عدة فوائد، منها:

١ - التخلّص - وإلى الأبد - من فكرة الحق الإلهي لآل البيت في السلطة، والتحرر من شبح المسؤولية، التي تلزمهم العمل على تحقيق هذه الفكرة في الواقع، بحجة لجوء الإمام المنصوص عليه إلى أسلوب الاعتكاف والستر، وبذلك تسقط المسؤولية في لزوم الحكم المحصور فيهم، بينما يظل التنطع باسم آل البيت قائماً، لأن ذلك لا يسبب لهم خسارة ولا حرج، بل الفائدة الكبيرة والربح العظيم، حيث أن الأئمة المطلقين وهم من غير آل البيت سوف يكونون دائماً هم الذين يجنون الثمرة باسم آل البيت، الذين آثروا البقاء في السرايب.

٢ - إيجاد غطاء وهمي لآل البيت، يظفي صبغة الولاية الشرعية للأئمة المطلقين منهم، الذين ينوبون مشكورين عن أئمة آل البيت، بعد أن استحسنا البقاء في كهوف الستر حتى يأذن الله لهم بالخروج.

٣ - ربط طاعة الإمام "المستتر" وموالاته، بوجوب طاعة الإمام "المطلق" النائب عنه، والمتحدث باسمه والذي لا يلزم أن يكون من آل بيت النبي، فإذا كان الله قد أوجب موالاته الإمام الفاطمي المستتر، فإن ذلك لا يكون إلا بموالاته الإمام "النائب".

لذا يقول محمد برهان الدين في ذلك: "وإن طاعة إمام العصر (الغائب) لا تصح إلا بطاعة داعيه والقائم مقامه في زمن الستر" (١).

٤ - إيجاد عامل معنوي من آل البيت ليكون هذا ادعى لشحنهم الأتباع، وحثهم على القيام بتوفير ما يسموهم بعوامل الظهور أمام هذا المعتكف في كهف الستر، وتمهيد السبل اللازمة لذلك والتي تتمثل بآليات الدولة، ومقومات الحكم، لأنه سيخرج حاكماً لا داعياً، وثائراً يقتص من الخصوم وحسب، وأما الدعوة فقد

(١) "سجل الهدايات الوضبة" (ص:٩).

انتهى أوامها، فالقائم يمثل خروجه دور الظهور والكشف، الذي تسقط معه أعباء الدعوة، لأنه يبطل شتى الطاعات التعبدية ويبقى الهم الوحيد هو الأعداء والاقتصاص منهم.

٥ - إيهام الأتباع بأن الأوامر التي لا ترضيهم، والمطالب التي تزعجهم أحياناً بل والتصرفات القمعية، والإملاءات السادية المتحكمة، وسن قوانين الجباية، وكل ما من شأنه إثارة سخط العوام، يوهوهم بأن كل هذه الواجبات لم تأت من وحي مزاج الإمام "المطلق"، ولكنها رغبة الإمام "المستتر" الذي هو من آل البيت الذين لا ناقة لهم ولا جمل، وأوامره يجب طاعتها كجزء من العقيدة، فيجعلون أعباء الظلم على آل البيت.

ب - فكرة استتار الأئمة في ضوء العقل وحقائق الواقع :

ورغم سذاجة هذه الحيلة وظهور زيفها، فقد جازت على عوامهم، فلا يرحون في أناشيدهم وزواملهم، يتهلون إلى الله بالتعجيل بظهور إمامهم المستتر، ليظفروا بشرف نصرته، والنظر إلى وجهه الذي هو غاية المنى وسبيل الوصول إلى الجنة واستحقاقها.

وكم من الأئمة الذين تشير كتب الشيعة إلى استتارهم واختفائهم عبر التاريخ، وتروي قصص ذلك وحكاياته، ولا تدري إن كان هؤلاء الناس قد لفت انتباههم وضوح هذا الزيف وتناقضه أم لا، فنحن الآن أمام عشرة مستترين أو أكثر اختفوا في ظروف غامضة أو خرجوا ولم يعودوا - كما تقول فرقهم - أولهم: إسماعيل بن جعفر - إلى محمد بن إسماعيل، إلى الطيب بن الأمر، الذي مضى على اعتكافه في السرداب أكثر من (٥٠٠) عام، وإلى جانب الطيب، يوجد للبهرة ثلاثة أسماء إضافية من الأئمة الذين دخلوا كهف الستر وهم: "عبد الله بن محمد"،

و"أحمد بن عبد الله"، و"الحسين بن أحمد" كذلك ما تراه النزارية في استتار "نزار ابن المنتصر"، والدروز في استتار، الحاكم بأمر الله، والاثنا عشرية في استتار محمد بن العسكري، والعبديون في استتار، سعيد الجنابي... الخ.

كما لا ندري إن كان هؤلاء قد ناقشوا أنفسهم عن مغزى هذا الاستتار، وقيمته وجدواه، وعن بواعثه وأسبابه، إذ لم يعد في الإمكان وصف هذا الاستتار بأنه مرحلة من مراحل التطور الدعوي، كبداية ظهور الإسلام الذي بدأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة إليه سرّاً في بضع سنوات ليرتفع صوته بعد ذلك بطول الزمان والمكان.. والرسول مع ذلك لم يحتج عن أتباعه ولم يستتر من الخصوم يوماً واحداً من عمر الدعوة.

تقول طائفة البهرة الإسماعيلية، أن الحاكم الفاطمي/ الملقب بالآمر، قد خلّف قبل هلاكه بزمن وجيز طفلاً أطلق عليه اسم "الطيب"، وأرسل إلى اليمن في عهد "أروى" سجلاً ينص على إمامة هذا المولود من بعده، فلم يلبث أن قتل الأمر.

ليصير خلفه من بعده (عبد المجيد الفاطمي)، وليس ابنه الطيب، إذ أنكر المؤرخون الفاطميون أن يكون قد ولد للآمر طفل، وقيل: إن الطفل المولود إنما كان أنثى، وأن هذا الطيب المزعوم، إنما جاء من رغبة "أروى بنت أحمد" في إنهاء الارتباط بالدولة الفاطمية في مصر بعد دعوى استتار المنصوص عليه بالإمامة الذي يجب طاعته.

ولكن لنفترض أن هذا الطيب قد وُجد، ونُصّ عليه بالولاية الشرعية بعد أبيه.. فلماذا يظهر فجأة ويختفي فجأة، إذا كان هو الخوف من بطش الأعداء فهذه مشكلته.. والبقاء للأقوى [كما يقال]، وإذا قال: البهريون إنه الأحق بالخلافة لأنه المنصوص عليه بها، ونصرتة واجب ديني، فلماذا لا تفهم أروى بنت أحمد هذا

الواجب، ولماذا لا تستقدمه وتعطيه فرصة في اليمن، للإعداد والاستعداد لإعادة حقه المغتصب، أو حتى إعطائه منصباً يساعده على الظهور والعيش تحت ضوء الشمس.

وإذا قيل: إن هذا مرفوض بدواعي وطنية تقضي بعدم تمكين الأجنبي من التحكم في السلطة، فلماذا جاز أن تتحمل اليمن في القرن العشرين وزر الاغتصاب السلطوي الذي حدث في مصر قبل أكثر من ٨٩٠ سنة، ويأخذ أتباع الطائفة على عواتقهم مسؤولية الإعداد لظهوره في اليمن، وعلى حساب حرية واستقلال اليمن... طالما رفضت ذلك أروى فمن باب أولى أن يرفض هؤلاء وهم الأقل عدداً والأضعف قدرة، اقتداءً بأهمهم الحرة أروى بنت أحمد، هذا إذا افترضنا جواز تصديق ذلك في عالم الأحلام.

٢ - إذا كان هذا الإمام "الطيب" المستتر، مثله مثل أي إنسان آخر، فهذا يعني أنه خاضع لقانون الحياة والموت، وأنه أصبح تراباً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، أما إذا قال الباطنيون: إن هذا المستتر لديه قدرات خاصة، وأنه لا يجوز عليه قانون الفناء، فلماذا استتر إذن، هل خوفاً من الموت، فقد قهر الموت وكتب له الحياة في السرداب، على مدى قرون وأجيال، ثم إن الله قد تعهد للبشر ألا يرسل إليهم إلا بشراً منهم يعرفونه ويعرفهم، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويتعمّر بأعمارهم ويموت كما يموتون، فمن لا يحمل صفات البشر لن يعرف طبيعة صلاحهم من فسادهم، ولو أرسل الله إلينا ملكاً نبياً لأعطاه نفس صفاتنا حتى يكون إلى جوارنا ونفهمه ويفهمنا.

٣ - لم يجرب هذا المستتر جيل زمانه ليرى إن كانوا سينتصرون له أم يتواطؤون على خذلانه، لأنه ما ولد حتى استتر، فلماذا يلوي عنقه من أول وهله

عرف فيه النور، ويذهب مغاضباً ويترك الناس وراءه في (حيص بيص) وتخمينات وتخرصات لا أول لها ولا آخر؟ وإذا كان جيل ظهوره لا يستحق هدايته، فما ذنب الجيل الذي تلاه حتى يعاقب بالحرمان ويؤخذ بجريرة ذنب الآخرين من قبله؟!.

٤ - إذا قيل: إنه يحتاج إلى توفير عوامل الظهور، وسبل التمكين، فما هو معروف عن جميع الدعاة والمصلحين، والأنبياء والمرسلين، إنهم لم يشترطوا على الناس أن يفرشوا الطريق أمامهم بالورود والرياحين، لكي يصلحوا من فساد حالهم، ثم إن علامة صدق وإخلاص هذه الشريحة المصلحة لا تثبت إلا من خلال تضحياتهم، ومباشرتهم مسؤولية الانتصار للمظلومين، وتغليب الحق على الباطل بأنفسهم ومن أول يوم، وقد لا يملكون شيئاً من متع الحياة وملذاتها، بل ولا يملكون من القوة المادية شيئاً إلا ما كان من قوة الحق وقوة الحجّة والبرهان، أما الذي يريد أن يتسلق على أكتاف الآخرين من الميدان ويترك لغيره مؤنة الترتيب لأوضاعه السلطوية، فمثل هذا يعتبر في حكم العرف ولدى الناس شخص انتهازي، ورجل لا يمتلك أهلية السيادة وشروطها، التي من مقتضاياتها أن يكون صاحبها شجاعاً له رصيد نظالي وتضحيوي أكثر من غيره.

٥ - ربما قيل: إنه لن يأتي لدعوة الناس إلى عقيدته، ولا لإصلاحهم للسير على طريقته، بل مهمة ظهوره تتلخص في ضرب أعناق المخالفين لمنهجه، المارقين والخارجين على طاعته.. فلماذا لم يستغل مقومات الدولة الصليحية، ويفعل هذا في عهده وضد من اغتصبوا الخلافة، وأجبروه على الاختفاء؟ وإذا كان القصد إنما هو رؤوس المخالفين للملّة وأعداء الطائفة، فلماذا لم تظهر غيرته وحميته إلا في زمن متأخر؟ ولماذا يختص بغضبه عصراً دون آخر؟ وما ذنبهم وأين دعوته فيهم، وهدية

وصلاحه حتى يسفك كل تلك الدماء، وحتى يقول الناس: ليته لم يخرج من السرداب، كما تقول الإسماعيلية والاثنا عشرية!!.

٦ - إذا كان الله قد أعد هذا المستتر لزمان غير زمانه، يبعد عنه بقرون وأجيال فلم ظهر إذن؟ هل يهدف من وراء هذا إلى تعذيب أتباعه؟ وإدخالهم في بحر من الهواجس وفترات سحيقة من الترقب والانتظار؟ أم هل يريد القداحيون أن يقولوا: أنه وقع عليه النص بالإمامة ولكنه غلب على أمره، وانتزعت منه قسراً فلجأ إلى الاختفاء من أعدائه؟ فالحاصل أنهم (أي: القداحيون) قد ربطوا مصائر الأمم ونظام الدين بزعامة أهل البيت وسياستهم، فكيف يستقيم حياة الخلق بسدون أهل البيت؟!، أو أن لهم إمام ولكنه حكم على نفسه بالسجن المؤبد وترك الناس يسرون عبر وجوههم.

أما إذا قيل: إن تعليماته تأتي منه أولاً بأول عن طريق الإمام المطلق، فالحاصل أن الإمام المستتر قد اختفى في مصر، والإمام المطلق لا يزور مصر إلا في النادر، ومكان إقامته في الهند، ولولا مواصلات النقل لتعذر زيارته ولو مرة في العمر.. ولا مجال للقول بأن لهم قدرات خارقة يستطيعون من خلالها التنسيق والاتصال لحظة بلحظة، إذ لو سلمنا بهذه المعجزات، وقوة السيطرة، والتحكم في قوانين الحياة ونظامها من قبل هذا المستتر، لما وجدنا له أي مسوغ لهذا الاستتار، فما الذي ينقصه بعد هذه القدرات الذاتية الخارقة للعادة؟ فكان في وسعه وقد تغلب على نواميس الكون أن يتغلب على خصومه، ويستعمل قدرته في الضبط والربط، والتقديم والتأخير، ويكون قد أراح واستراح، وكفى أتباعه مؤنة الإعداد له لسد عورات عجزه وضعفه التي ألجأته إلى الفرار بحجة عجزه عن المواجهة.

٧ - يستطيع الإسماعيلي البهري أن يستغني بهذه النقطة عن كل النقاط التي سبقت لدحض فكرة الاستتار، وهي أن هذا "الطيب" الذي خرج ولم يعد، لا يشكل غيابه واختفاؤه هذا أي قضية تستحق الاهتمام، لأن نسبة مشكوك فيه أصلاً، فمن المحققين الإسماعيليين من يشكّون في نسب الفاطميين لآل البيت، أما جمهور المحققين من المؤرخين العلويين، وأهل السنة والجماعة، فإنهم ينسبون الفاطميين (حكام عصره) إلى ميمون القداح ذو الأصل الجوسي، والمؤسس الأول للحكم القداحي الإسماعيلي في أكثر من عصر ومصر، وإذن لا داعي لإعمال القلق، ولا ما يدعو إلى الافتتان على سراب خادع، ووهم زائف، لا وجود له إلا في زوايا العقول المظلمة، التي لا تجد متعة في السيطرة إلا عند مصادرة عقول الآخرين وإلغاء مداركهم.

٨ - وعلى فرض أن الفاطميين ينتسبون إلى شجرة آل البيت فإن أكثر من مؤرخ وكاتب إسماعيلي، فضلاً عن المؤرخين من غير الفرقة الإسماعيلية يستبعدون أن يكون الأمر بأحكام الله الفاطمي قد خلف ولداً اسمه "الطيب"، كما تقول الإسماعيلية البهرة وحكمت بدخوله في كهف الستر.

وهذا الدكتور حسين الهمداني الحرازي في كتابه "الصليحيون" يقول: من حق الباحث أن يناقش ويشك حتى يصل إلى معرفة الحقائق أو ما يقرب إليها، وإننا نرى أن ما روي عن "الطيب بن الأمر" يكتنفه بعض الغموض، من حيث مسألة استتار الإمام، واختفائه في ظروف خاصة، كمسائل أخرى تتعلق باستتار الأئمة الفاطميين، ونقول: إن استتار الإمام لم يبق سترًا إذا كانت أحواله وأموره مكشوفة واضحة، والذي يدهشنا أن الأمر لم يعلن ولاية عهد ابنه "الطيب" في دار

الخليفة بمصر، بالرغم مما روى اليمينيون أنه نص على تعيين الطيب للإمامة بعده^(١).

وفي ذلك يقول الدكتور/ عارف تامر: "هذا ولم يثبت، ولا يوجد أي دليل يؤكد حمل امرأة الأمر بأحكام الله، وأنها وضعت طفلاً اسمه "الطيب"، فهناك مصدر آخر يؤكد بأنها وضعت أنثى اسمها "صفية" لم تلبث أن ماتت"^(٢).

٩- وربما قيل: إن الإمام (الطيب) قد مات فعلاً، وإن الإمام المنتظر سيأتي من عقبه، وأن السلسلة مستمرة من ولد إلى ولد، ولكنها مستترة، وإذا كان هذا هو المعتمد فهذا يعني كما قال الهندي (سلمان أكبر)^(٣) أن المستتر يعيش في اليمن، وأن دعوتَه قائمة باليمن، وأنه سيظهر يوماً ما، وعلى هذا يكون الهندي قد اعترف بترشيح اليمن كمملكة له عند ظهوره، وبالتالي فعلى اليمن أن تفتش عن غربمها - من الآن - قبل أن يظهر ويحدث ما لا يحمد عقباه.

(١) كتاب "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن" (ص: ٨٧).

(٢) من كتاب "تاريخ الإسماعيلية" (ج: ٣٣) (ص: ٢٢٧).

(٣) راجع الفصل الأول موضوع (التبشير بظهور الإمام المستتر من اليمن).

خامساً: التحلي بلبوس حب آل البيت

من أشهر كذبات التاريخ، التي قُدر لها أن تعيش طويلاً، وتسير وراءها الجموع باندفاع وحماس منقطع النظير، وهمون من أجلها الأموال، وترخص في سبيلها الدماء، تلك هي دعوى الإسماعيليين جبهم وإخلاصهم لآل البيت رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وكم في آل البيت تشدخ الرؤوس، وتلطم الخدود، وتشق الجيوب، وتسيل الدماء والدموع جداولاً وأثماراً.

ولسوف تجد إمام زمانه الإسماعيلي المطلق - كما يطلقون عليه - ينتقل من بلد إلى آخر لإقامة (مجالس العزاء الحسينية) ولتصوير استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه - أمام العامة - يعيد مشاهد المأساة مستخدماً المؤثرات الصوتية فيسرد لها بأسلوب بديع وعرض مثير، ونبرات الحزن تظهر من صوته المتهدج، وعباراته المكسومة، كلما مر بمشهد من فصول المأساة، أو نقل لهم خبراً من يوم كربلاء الدموي الشهير، أو تلي أبيات شعرية في رثاء الحسين، ينطقها ملحنة متكلف البكاء والنحيب، فلا تملك القلوب الرقيقة سوى أن تنفجر باكية، ثم لا تلبث أن يعلوا نحيبها وشهيقها، وتبدأ بالضرب على الصدور، واللطم على الخدود، في مشهد بديع لا يوصف.

ذلك هو الحب النائح، والعشق الباكي لآل البيت، فماذا عن (الحب النظري) لهم في عقيدة الباطنيين، الإسماعيلية والإثنا عشرية والروافض على حد سواء. يكفيك أن تجد كتبهم مشغولة بالحديث عن شيء واحد، هو آل البيت وأئمة آل البيت.. فهم سر الكون، ومحور الوجود، وهم أصحاب الحق الإلهي المطلق..

وهم المعصومون الذين قولهم حق لا يحتمل الخطأ، وكلام الناس بالنسبة لهم خطأ لا يحتمل الصواب، وهم سلطة الله في الأرض، من خرج عليهم فقد حاق بالخسران وباء بسخط الله ولعنة اللاعنين.

"لا دين إلا بطاعة علي وولايته، ولا نعمة تامة إلا مودته ومحبته، ولا قبل فرض ولا سنة، ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبته، والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله"^(١).

"ولا يكون أحد إماماً إلا من أولاد علي: الحسن والحسين، ثم في أولاد الحسين، لا في أولاد الحسن، ثم في أولاد إسماعيل بن جعفر، لا في أولاد أحد غيره"^(٢).

ويقول / عبد الله المرتضى الشيعي:

[أما الإمام فهو الإمام المعصوم، أو قطب دائرة الوجود، أو الألف المتحرك، أو قطب الغوث، أو مظهر عين الجمع، أو مجموع المظاهر، أو النبا العظيم، أو باب حطة، أو سفينة النجاة، أو صاحب العصر، أو الصراط المستقيم، أو روح الوجود، إنه لذو نعوت حمة لا يدركها إلا الحكيم الخبير]^(٣).

أ- مواقف الخذلان الباطني لآل البيت عبر التاريخ :

ذلك هو الحب الباكي، والحب النظري، لآل البيت من قبل هذه الطائفة، فأين الحب (العملي!) أكبر المقت عند الله هو قول الإنسان ما لا يفعل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ*كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

(١) "سائر النطقاء" نقلاً من هامش الرسالة الواعظة (ص: ١٥) .

(٢) انظر "دعائم الإسلام" للقااضي النعماني المغربي ج ١ (ص: ٢٨) .

(٣) "الفلك الدوار" لعبد الله المرتضى (ص: ٢٨) نقلاً عن كتاب "الإسماعيلية عقائد ومذاهب".

تَفْعَلُونَ) (الصف: ٣)، وما لم ينسجم قول الإنسان مع عمله يصير نفاقاً، ولغواً زائفاً لا يعتد به، ولا يلتفت إليه، فأين يمكن أن نلمس حب الإسماعيليين لآل بيت رسول الله على مستوى الواقع؟

أعتقد أن حقائق التاريخ هي وحدها التي تملك الإجابة عن هذه الأسئلة.

فلا شيء أفصح من لغة الواقع، وأبلغ من دروس التاريخ وتجارب الزمان، وهذه مواقف الباطنية من آل البيت، ومن أول المراحل التي ظهر فيها تيار الباطنية والشيعية الغلاة، علي يد عبد الله بن سبأ اليهودي، كم مرة صدقوا مع آل البيت وبما يتناسب مع هذا الحب الذائب والعشق المتماهي فيهم؟

لا أزعم أنني سأذيع شيئاً جديداً إذا قلت: إن الباطنيين على مر التاريخ لا يضارعهم في مواقف الخذلان والغدر بآل البيت إلا ما كان من اليهود مع أنبيائهم، مع فارق وهو أن بني إسرائيل سجلوا للتاريخ ولو بعض مواقف الصدق والثبات مع الحق.. ولست بهذا متحاملاً أو مجافياً للحقيقة.

لقد وجد أبناء رسول الله في كل مراحل الاضطهاد، أن الطعنات الأشد إيلاماً، والأكثر فتكاً، كانت تأتي من ناحية الخلف من بين الطائفة السبئية، والسلالة القداحية.

١ - مواقفهم مع الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :

نحن بحاجة إلى قراءة التاريخ من جديد، القراءة التي تريح الستار عن سر الهزائم السياسية، والانكسارات القيادية الأولى لآل البيت، هل كان ذلك لافتقاد الحنكة أو الاقترار السياسي، أو المهارة في إدارة الجيوش، وإحكام الخطط العسكرية؟! الحاصل أن مثل هذه الفرضيات غير دقيقة ولا صادقة إذا طبقناها على شخصية الإمام علي كرم الله وجهه، فهل نعزي ذلك إلى كثرة عدد المعسكر

المناوئ كجيش معاوية مثلاً في حربه مع الإمام علي، فقد كان المعسكرين على قدر من التقارب والندية.

الإجابة الصحيحة الممكنة على هذا التساؤل، هو أن الإمام علي وأبناءه من بعده -عليهم رضوان الله-، قد ابتلوا بعناصر انتهازية تتخذ من حبيهم شعاراً وصولياً لا يتصل بمصلحة آل البيت، لا من قريب ولا من بعيد، فهم مع آل البيت ظاهرة صوتية فقط، تتحلل صفة التشيع والحق الذي يضع آل البيت في مصاف الأنبياء المعصومين، وربما الآلهة المقدسين، حتى إذا ما جد الجد ولاحت مواطن الابتلاء والتمحيص، ظهر ذلك الحب الزائف على حقيقته، وانقلب من حب خرافي، إلى إرجاف وتخذيل، ذلك أن الموتورين أصحاب النفوس المنهزمة المنخرطين في صفوف أنصار آل البيت، لا يهمهم أن تكون الغلبة لآل البيت أو لا تكون، بقدر ما يهمهم القيام بدورهم التأمري المرسوم، ولكن من وسط معسكر آل البيت.

من هنا يمكن تفسير تلك الانكسارات المريرة التي لحقت بآل البيت في تأريخهم الجهادي الطويل.

ومن خلال تتبع سياق التاريخ، وكذا من خلال كلام آل البيت أنفسهم، ابتداءً من الإمام علي وحتى العصر الحديث، ستتضح صورة الشيعة على وجه الحقيقة.

وهذه خطب الإمام علي -كرم الله وجهه- تعكس مرارة الخذلان السبائي، والتمرد المحوسي من داخل الصف.

جاء في "فحج البلاغة" من خطب للإمام علي في الشيعة، قوله:

"أحمد الله على ما قضى من أمر وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيها الفرقة، التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أمهلتكم خضتم، وإن حوربتكم خسرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعتهم، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم"^(١).

وفي خطبة أخرى، يقول:

"منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنتظرون لنصركم ربكم، أما دين يجمعكم؟! ولا حمية تمشكم، أقوم فيكم مستصرخاً، أنا ديكمت متغوثناً فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً"^(٢).

فأنت تلحظ أن الإمام علي، سمى الإمارة على مثل هؤلاء المحبين بالابتلاء، وما ذلك إلا لشدة المعاناة التي وجدها منهم.

"إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم، دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الدهول في سكرة، يرتج عليكم حوارى فتعمهون، ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس -لعمر الله- سعر نار الحرب أنتم، تُكادون ولا تكيدون، وتنقص أطرافكم فلا تمتعضون، وأثم الله إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى واستحر الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس"^(٣).

(١) كتاب "نهج البلاغة" (ج ٢-ص ١٠٠) وهو مجموعة من خطب الإمام علي -كرم الله وجهه- قام بجمعها الشاعر الأدب والعالم الأريب الشريف الرضي رحمه الله، شرح الإمام محمد عبده، والملاحظ أن جمعه كان بعد زمن من استشهاد الخليفة الرابع لذا يرى أهل السنة أن الكتاب ليس كله من كلام الإمام علي فيؤخذ منه ويرد.

(٢) نفس المصدر (ج ١-ص ٩٠).

(٣) "نهج البلاغة" ج ١ ص: ٨٢.

حتى يقول:

"لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعايقا، وأصبحت أخاف ظلم رعييتي، استنفركم للجهاد فلم تنفروا، وأسعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغياب، وعبيد كأرباب؟ أتلو عليكم الحكيم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيدي سباً.. أيها الشاهدة أبدأهم، الغائبة عقولهم، المختلقة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب الشام يعصي الله وهم يطيعونه.

لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم، وأعطاني رجلاً منهم"^(١).

ومضت خطب كثيرة على هذا النحو تضج بالشكوى، وتعج بالألم وحرارة الخذلان، حتى يصل اليأس إلى منتهاه.

"أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم. ما بالكم؟! ما دواؤكم؟ ما طبكم؟!"^(٢).

ونجد الإمام يعرض بصدق نواياهم، ويفضح أساليبهم الانتهازية التي تجعل من الإمام مجرد وسيلة لتحقيق أهدافهم، فيقول:

"ليس أمري وأمركم واحد، إني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم"^(٣).

(١) "مَجِّعُ الْبِلاغَةِ" ج ١ ص: ١٨٨.

(٢) "مَجِّعُ الْبِلاغَةِ" ج ١ ص: ٧٤.

(٣) "مَجِّعُ الْبِلاغَةِ" ج ٢ ص: ١٩.

ويقول: "اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الطعام"^(١).

كما قلت: نحن أمام ظاهرة غريبة جديدة بأن تلفت عناية المؤرخين المحققين، وهي هذه الظاهرة، ظاهرة اتساع المسافة التي تظهر بين ما يقوله أديعاء التشيع لآل البيت، وما يمارسونه مع آل البيت من مواقف خذلانية لا تعكس أي معنى للحب أو المودة.

ولو أن هذه الظاهرة قد ظهرت فقط في عهد الإمام علي، وانتهت باستشهاده، لأمكننا تجاوزها، ولكنها قصة بقيت مستمرة، تكررت مع أبناء بيت النبوة، وبصور أفضع مأساوية مما حدثت للإمام علي معهم، فهذا الإمام الحسين رضي الله عنه، وقد رأى من خذلانهم لأبيه ما رأى، يجنح للسلم ويؤثر التنازل لمعاوية على أن يركن إلى قوم يظهرون ما لا يبطنون، ويقولون ما لا يفعلون.

٢ - موقفهم مع الحسن بن علي (رضي الله عنه) :

يقول الكاتب الشيعي/ محمد جواد غنيمه: عن أسباب تنازل الحسن لمعاوية:

"تنازل أهل العراق وقعودهم عن أبيه أمير المؤمنين، يوم كان معاوية يغزوهم في عقر دارهم.. والإمام يستنهضهم ويستحثهم ببلاغته وحكمته، فلا يزدادوا إلا تقلباً وتلوناً حتى تمنى فراقهم بالموت وتعجل القتل، وإذا كان هذا حالهم مع أمير المؤمنين فبالأولى أن يخذلوا ولده، وينكصوا عنه إذا جد الجد واحتدم القتال"^(٢).

(١) "نهج البلاغة" ج ١ ص: ٦٥٠ .

(٢) "كتاب الشيعة والحاكمون" محمد جواد غنيمه (ص: ٦١) الطبعة الخامسة، ط منشورات دار الجواد.

"إن الحسن صمم على القتال، وحث الناس على الجهاد، وأرسل جيشاً إلى الحدود والثغور، وتخلف عنه خلق كثير ولم يخرجوا معه بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضد عدوه، فغروه كما غروا أباه من قبل، فرجع إلى الكوفة يستنفر الناس، وخطب فيهم يقول: "قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي".

٣- موقفهم مع الحسين بن علي (رضي الله عنه) :

وكما غرروا وغرروا أباه، كذلك غرروا أخاه الحسين من بعده، وغيره من أحفادهما، غير أن غدرهم بشهيد الإسلام ونكثهم له، قد تجاوز حدود الوصف، فما هو إلا أن توفي أخوه الحسن مسموماً، حتى أهالت عليه الكتب من الكوفة والعراق تدعوه لإعلان الجهاد على يزيد بن معاوية، وتستحثه سرعة القدوم إلى العراق، وتحمله أمام الله مسؤولية التقاعس عن حقه في الخلافة إذا لم يقدم إليهم، ويعزم على الخروج ضد حكم يزيد وفجوره.

يقول الكاتب الشيعي/ باقر شريف القرشي:

"وكانت آخر الرسائل التي وصلت إليه هذه الرسالة: "عجل القدوم يا ابن رسول الله، فإن لك في الكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر"، وقد تابعت عليه الرسائل ما ملأ منها خرجين، ويقول المؤرخون: "إنه اجتمع عنده في نوب متفرقة: اثنا عشر ألف كتاب وردت إليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم، يعربون عن نصرتهم له حال ما يصل إلى الكوفة"^(١).

ولما تابعت الكتب المرسلة، من وجهاء الكوفة، وزعماء الشيعة، تستحثه على القدوم، أرسل ابن عمه/ مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليستوضح جلية ما هم عليه

(١) "كتاب حياة الإمام الحسين بن علي" لباقر شريف القرشي، ج ٢ (ص: ٢٣٥)، ط. مؤسسة الوفاء بيروت لبنان طبعة ثانية.

وليكتب له بذلك.. وعند وصول "مسلم بن عقيل" إلى الكوفة، وكان واليها من قبل الأمويين "النعمان بن بشير"، اجتمع إلى "مسلم" في أقل رواية: ثمانية عشر ألف مبايع، فبدأوا كأن قلوب العراقيين وسيوفهم مع آل البيت، فما كان من مسلم إلا أن أرسل إلى الحسين رسالة ذكر فيها أن جميع أهل الكوفة معه، وأن عدد التابعين له يربوا على ثمانية عشر ألف.

فزم الحسين على الخروج والقدوم إلى الكوفة، خرج لا يساوره شك في أن الأمر آيل إليه، وأن العراق بات في قبضة يده، ونادى على أهله بالخروج، ولما علم أخوه لأبيه / محمد بن الحنفية عزمه على الخروج، أشفق عليه من مغبة الركون إلى من غدر بأبيه وأخيه من قبل، قائلاً: "يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك حال من مضى"^(١).

وفزع ابن عباس لما علم من عزم الحسين على المضي إلى أهل الكوفة، فقال له: "إني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم، فإن كان قد فعلوا سر إليهم وإن كانوا إنما دعوك وأميرهم عليهم، قاهر لهم، وعمالمهم تجبي بلادهم، وتأخذ خراجهم، فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يغدروك، ويكذبوك، ويخذلوك، ويبيعوك، فيكونوا أشد الناس عليك"^(٢). تأمل في هذا القول!

وعبد الله بن عباس -في كلامه- يضع قضية: الواقعية معياراً لتحديد رغبة القوم في التخلص من حكم بني أمية، من مجرد المحاولة للإيقاع بالحسين وجره إلى شرك منصوب.. فلو كانوا جادين لبادروا قبل قدوم الحسين إلى التخلص من

(١) نقلاً عن "كتاب حياة الإمام الحسين بن علي" لباقر شريف القرشي، ج ٣ (ص: ٣١).

(٢) نقلاً عن "كتاب حياة الإمام الحسين بن علي" لباقر شريف القرشي، ج ٣ (ص: ٢٥).

سلطان الحكم الأموي، ممثلاً بعماله غير أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فما الذي حدث بدلاً من ذلك.

يقول باقر الشريف: دخل "زياد بن أبيه" الكوفة في جنود لا يقدر عددهم بأكثر من خمسمائة، هم كل أنصار الدولة الأموية، بينما كانت الكوفة في الظاهر قد أصبحت بخيلها وراجعها وقضها وقضيضها، مع مسلم بن عقيل، بعد أن بايعوا الحسن على يديه بالسمع والطاعة، ودخل زياد الكوفة ليلاً ليحل محل النعمان بن بشير) ولم تكن عنده أية قوة يستطيع أن يدافع بها عن نفسه، فضلاً عن الهجوم والدخول في عمليات قتالية" (١).

قلت: ورغم ضعف قوة زياد وقلة حيلته، إلا أنه كان واثقاً من نفسه، لعلمه الأكيد أن ألسنة أهل الكوفة حداد على بني أمية فيما أسنتهم تقف إلى جانبهم، فكان أول ما فعله هو حبس (هانئ بن عروة) الذي آوى إليه (مسلم)، وكذا ضربه على وجهه بقضيب حتى تناثر لحم خده على لحيته، ومنها ظهر أول الغدر حيث خرج مسلم في جموع غفيرة وسيوف مسلولة، ورماح مشرعة، وتم الإحاطة بدار زياد الذي أغلق بابه دونه، وبقي الوالي بالدار، وهم يلعنونه ويعدونّه بالويل والثبور، وبعضائم الأمور إن لم يطلق (هانئ بن عروة) ويعود من حيث أتى، وما هو إلا الشيء اليسير حتى ظهر أحفاد الحركة السبئية بدورهم المعهود وابتدروا يحذرون أنفسهم من شر ما صنعوه مع والي بني أمية، وارتفعت أصواتهم للتذكير بجيش الشام القادم غداً لقتل الذراري وسبي النساء وسلب الأموال إن لم يعودوا أدراجهم، ويتخلوا عن حماقتهم، ويقدموا بتجديد الولاء لبني أمية، ممثلاً بعمالهم زياد بن أبيه، ومضت هذه الأصوات في السر

(١) "كتاب حياة الإمام الحسين" لباقر شريف، ج ٣ (ص: ٢٠٠).

والعلن كإشارة للبدء بجريمة الخذلان، فبدأ جمع (مسلم) يتضعض وينهزم بدون قتال ولا حرب.

وإليك بقية الرواية كما جاءت بقلم الكاتب الشيعي/ باقر شريف القرشي:

"ولم يمض قليل من الوقت حتى انهزم معظمهم، وقد صلى (مسلم) بجماعة منهم صلاة العشاء في الجامع الأعظم، فكانوا يفرون في أثناء الصلاة وما أنهى (مسلم بن عقيل) صلاته حتى انهزموا بأجمعهم بما فيه قادة جيشه، ولم يجد أحداً يده على الطريق، وبقي حيران لا يدري إلى أين مسراه وموجهه، وقد أمسى طريداً مشرداً، لا مأوى يأوي إليه، ولا قلب يعطف عليه، وسار القائد العظيم -سليلى هاشم وفخر عدنان- متلداً في أزقة الكوفة وشوارعها، ومضى هائماً على وجهه في جهة كندة يتلمس داراً لينفق فيه بقية الليل، وقد خلت المدينة من المارة، وعادت كأنها واحة موحشة، فقد أسرع كل واحد من جيشه وأعوانه إلى داره وأغلق عليه الأبواب، وأحاطت (بمسلم) تيارات مذهلة من الهموم، وكاد قلبه ينفجر من شدة الألم وعظيم الحزن، وقد هاله إجماع القوم على نكث بيعته وغدرهم به، واستبان له أنه ليس في المصر رجل شريف، يقوم بضيافته وحمائته أو يده على الطريق، فقد كان لا يعرف مسالك البلد وطرقها، وسار وهو حائر الفكر حائر القوى حتى انتهى إلى سيدة يقال لها (طوعة)، فقال لها وعيناه تفيضان دموعاً: "أنا (مسلم بن عقيل) كذبتني القوم وغرو بي" فمكث عندها حتى جاء "بلال ابن السيد" فغدر به وباعه بمبلغ كان قد رصده (ابن زياد) لمن يدل عليه، فأرسل ابن زياد عشرات الفرسان للقبض عليه، وتم له ما أراد بعد أن شهدت الكوفة معركة تاريخية بين البطل (مسلم) وفرسان زياد،

إذ لم يتمكنوا منه حتى جدل منهم عدداً غير قليل، وبعد أن تعهد له بالسلامة من لا عهد له ولا ذمة"^(١).

وهكذا تقبل زياد الشقي أول قربان من ضحايا السبأين ليقتله، وليتبع بعده ابن عمه ريمحانة رسول الله وعدداً من أهله القادمين من مكة.

وخرج أهل الكوفة من جحورهم وصاروا يتدافعون ليشهدوا مصرع (مسلم) وليشاهدوه وهو يسحب في الشوارع، كما جاء في بعض الروايات، مسلم بن عقيل ابن أبي طالب (رضي الله عنه) أحد أفراد الدوحة الهاشمية يسحب أمام أنظار من بايعوه بالأمس، بايعوه على نصره آل البيت، وعلى السمع والطاعة وأوهموه أن لهم في آل البيت عقيدة حب وولاء، وأنها تستحق أنفس ما يملكون، وهي بذل الأرواح والدماء.

"وكان الواجب يقضي أن تذب سيوفهم عما يؤمنون به، وأن يناضلوا عما يعتقدون به، ولا توجد مثل هذه الظاهرة في تأريخ أي شعب من الشعوب"^(٢).

على أن أكثر فصول آل البيت مأساوية مع تيار المكر هؤلاء، وأشدّها إثارة، هي مقتل سيدنا الحسين -رضي الله عنه- في عاشوراء مع عدد من أفراد البيت. سيدنا الحسين الذي تقام له مجالس العزاء والعيول من قبل الباطنية على اختلاف مشاربها، وفي مختلف أماكنها، وصارت في المراثي الحسينية تتفنن في ابتداع وابتكار أغرب الأساليب الخرافية المملّقة والمخرجة في آن واحد.

لقد كان قتله (رضي الله عنه) مطلباً أمورياً دون ريب، ولا يستطيع أحد أن يقلل من جرم (يزيد) و(زياد) في ذلك أو يسدل الستار على إثمهما البين، وفعلهما

(١) "حياة الحسين" ج ٣ (ص: ٣٨٥).

(٢) "حياة الإمام الحسين" لباقر شريف القرشي، ج ٢ (ص: ٤٠).

الشنيع، إلا أن حديثنا يدور حول طلائع المكر الباطني مع آل البيت، وتوضيح رصيدهم الخياني، الذي جعل من تباكيهم على آل البيت، مظهراً شعاعياً، معلوم المقاصد، مفضوح النيات.

- لقد استشهد (الإمام علي)، وهو يعاني من عصيانهم وتمردهم عليه.

- وتنازل (الحسن) عن الخلافة، بعد أن ظهر منهم بوادر الغدر والنكوص، وبعد أن وثبوا عليه بالضرب، وانتزعوا رداءه من عنقه، وانتهبوا فسطاطه وجرحوه، وتخلوا عن (مسلم بن عقيل)، وبايعوه من (زياد).

- وبسيوفهم ورماحهم قتل (الحسين)، الذي بايعوه، وطلبوه للخروج إليهم، كما غرروا بأبناء الحسين من بعده، وبنفس هذا السلوك، المغيث الذي اعتاد على هذا النوع من الاستدراج لأبناء الرسول، خرج الإمام الحسين بإلحاح من باطنية العراق، ولم يكن يدور بخلده أن من بايعوه، سيستقبلونه بآلاف من المقاتلة، لا ليضعوا التاج على رأسه - كما أوهموه - بل ليحزوا رأسه ويرسلوه مع سبعين من أهله، قرباناً ليزيد بن معاوية، لسنا نحن الذي نقول هذا، بل الذي يقول هذا هو التأريخ، والشيعنة أنفسهم، وما عرفناه من التأريخ هو أن زياد بن أبيه دخل الكوفة ببضعة مئات من الأنصار، وبجده يجهز من الكوفة لقتل الحسين ثمانين ألفاً في أعلا الروايات، وأربعة آلاف في أقلها^(١) فكيف نشط أشياع آل البيت لقتلهم، ويقعدون عن نصرتهم؟ وكيف نفسر هذا الحماس اليزيدي والفتور الحسيني من أدعياء التشيع وأصحاب المقالب الشهيرة ضد من يدعون حبهم؟

(١) راجع كتاب "حياة الإمام الحسين" ج ٣ (ص: ٢٢٥).

لقد وقف الحسين مستغرباً أمام قطاعات ذلك الجيش القادم من الكوفة لحربه، والذي قوامه من بايع الحسين على الخلافة، وقواده من كاتب الحسين، وألح على قدومه لنصرته.

وقال مخاطباً إياهم: "أيها الناس! إنما معذرة إلى الله عز وجل وإيكم، إني لم آتكم حتى أتني كتبكم، وقدمت بما عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، ولعل الله أن يجعلنا بك على هدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم، فاعطوني ما اطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم"^(١).

يقول الكاتب الشيعي باقر شريف: "وأحجموا عن الجواب، لأن أكثرهم كانوا ممن كاتبوه بالقدوم إليهم، وبايعوه على يد سفيره مسلم بن عقيل".

"ثم نادى الإمام قادة الجيش الذي دعوه برسائلهم للقدوم إلى الكوفة، فقال: يا (شيث بن ربي)، ويا (مجار بن أيجر)، ويا (قيس بن الأشعث)، ويا (زيد بن الحرث)، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجندة، ولم تحجل تلك النفوس من خيانة العهد وحنث الأيمان، فأجابوه مجتمعين على الكذب.

- لم نفعل؟ واستغرب الإمام منهم ذلك، وقال:

- "سبحان الله!! بلى، والله لقد فعلتم"

ثم أمر بخرجين مليئة بالرسائل، فنشرت أمامهم^(٢).

(١) نفسه ج ٣: (ص: ٧٥) .

(٢) "حياة الإمام الحسين بن علي" ج ٣ (ص: ٧٥) .

وكان في صف الإمام أحد أنصاره، فاستأذن الإمام ليكلم القوم، فأذن له، فكان مما قاله لهم: "أدعوتموه، حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكنم بنفسه وأحظتم به، ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل البيت، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرراً، ومنعتموه ومن معه من ماء الفرات الجاري، شربه اليهودي والنصراني والمجوسي، ويتمرغ فيه خنازير السواد، وكلابه، وهاهو وأهله قد صرعهم العطش، بقسما خلقتهم محمداً في بيته"^(١).

ولكن أئني للذئاب الشرسة أن ترحم فريستها، لقد قتلوا الحسين سيد شباب أهل الجنة، وريحانة الرسول، وتسابقوا على قطع رأسه وجمع غفير من أهل البيت الطاهرين، وليرسلوها إلى العدو الألد، والخليفة الفاجر: يزيد بن معاوية، قتل آل البيت بسيوف محبيهم ورماح معاديهم، ويا بقسة من حب كاذب، ويمين معاهد فاجر، تجرد من معاني الأخلاق والقيم الإنسانية.

وصحيح أن هؤلاء الذين احترقوا فن التمثيل على آل البيت، يخرجون اليوم كل عاشوراء، ليلطموا خدودهم، ويشقوا جيوبهم، ويضربوا صدورهم، ويسيلوا الدماء على أجسادهم، إعراباً عن ندمهم على خذلانهم للحسين، إلا أن هذا لا يعني سوى إضافة معصية ثانية باسم الحسين، وهي معصية تأصيل عقدة الذنب ولكن بالخرافة وتشويه الدين بغير ما أنزل الله به من سلطان، بل باسم الحسين الذين ظلموه حياً ويظلمونه الآن ميتاً، فقد كان أحوج ما يكون إلى تلك الدماء حياً، ولكن ما أغناه عنها بعد مماته.

(١) "حياة الإمام الحسين بن علي" ج ٣ (ص: ١٩٨).

٤ - موافقهم مع زيد بن علي (رضي الله عنه) :

وبعد استشهاد الإمام الحسين في كربلاء وكوكبة من آل البيت الطاهرين، خرج القداحيون لاستثمار قتل آل الرسول، ولتحقيق حلمهم المحوسي في بناء الدولة، وكعادتهم رفعوا شعار الانتصار لآل البيت الذين قتلوهم بأيديهم، وسموا أنفسهم بالتوايين وأمروا عليهم/ المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو من ادعى ألوهية الإمام علي، وقال: إنه يوحى إليه عن طريق جبريل وميكائيل، وإنه يعلم الغيب.

وكان ممن نجا بعناية من الله في كربلاء/ ابن الحسين، الإمام الزاهد، والتقي العابد السجاد/ علي زين العابدين رضي الله عنه، وقد ترك يوم كربلاء الأسود، الأثر العميق في نفسه، وآمن أن شيعة العراق قوم بهت، لا يرقبون في آل البيت عهداً ولا ذمة، وأنهم إنما يرفعون شعار آل البيت لتحقيق غرض في نفوسهم، وهو ما ذكره جده أمير المؤمنين علي - كرم الله وجهه - عندما خاطبهم بقوله: "لقد أردتكم لله وأردتوني لأنفسكم"، فانصرف السجاد للعبادة، ولم يعطهم فرصة لاستدراجه إلى شرك الخديعة، كما دأبوا على ذلك مع أهله من قبل.

ولكنهم إن يئسوا منه، فإنهم لم يئسوا من ابنه "زيد"، فأخذوا يشددون عليه في عهد هشام بن عبد الملك لإعلان الثورة ضد حكم بني أمية، وهكذا غرأ "زيد ابن علي" الثائر العظيم، فقالوا له: "إن معك مائة ألف رجل من أهل الكوفة، يضربون دونك بأسيافهم، وقد أحصى ديوانهم، منهم خمسة عشر ألف كانوا قد بايعوه على النصر، وقد نصح (داود بن علي) (زيداً) بالأخذ بأهل الكوفة، فقال له:

"يا ابن عم، إن هؤلاء يغرونك من نفسك، أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك: جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده، بايعوه، ثم

وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه، وانتهبوا فسطاطه وجرحوه، أو ليس قد أخرجوا جلدك الحسين، وحلفوا به بأوكد الأيمان، ثم خذلوه، وأسلموه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه، وكانوا ينكثون البيعة بعد البيعة"^(١).

تقول الروايات فخرج زيد تحت ضغطهم، وأعلن الثورة، ثم ساروا معه ووصلوا به إلى منتصف الطريق، فأظهروا سريرتهم، وقد بيتوا الشر وساروا يُملّون عليه شروطاً تعجيزية، يعرفون مسبقاً أنها فوق طاقته، ولكنهم إنما أرادوا مبرراً للخذلان فجعلوا يشترطون عليه لعن الشيخين: أبي بكر وعمر، وأصرّت تلك الفلول على تحديد موقفه من الشيخين، تقول الدكتورة/ فضيلة عبد الأمير الشامي: "فاجتمعت إلى زيد، وقالوا له: ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فأجابهم بقوله: رحمهم الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يثير فيهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً؛ ففارقوه، ونكثوا ببيعته [ورفضوا السير مع زيد فسموا من يومها بالرافضة] ويقول الشهرستاني: إن شيعة الكوفة لما سمعت مقالة زيد، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه، فلما خرج من دار معاوية (ابن إسحاق الأنصاري) لم يكن معه إلا عدد قليل بقدر ثلاثمائة في حين بايعه خمس عشر ألف شخص"^(٢).

وما تغني عنه هذه المئات الثلاث أمام جيوش عامل بني أمية، ولكنها فصول مأساة الهاشميين، هذه الدوحة الرسولية الكريمة، التي لم تجن من التشيع الكاذب سوى الشوك والمتاعب، وعظيم النكبات، لقد ظل هذا الحزب الانهزامي، حزب الشيعة الغلاة، يقدم خدماته المجانية لسلطة بني أمية، من خلال تقديمه رموز آل البيت كقرايين سهلة للتمثيل بهم، وممارسة هواية اللعب بهم كجثث ميتة، كما نجد

(١) "حياة الإمام الحسين" ج ٢ (ص: ٤٢٢) .

(٢) من كتاب "تاريخ الفرقة الزيدية" (ص: ٩٩) مطبعة الآداب - النجف الأشرف - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

ذلك في جريمة هشام بن عبد الملك، الذي أمر بتشويه جثة الإمام زيد رضي الله عنه - بعد استشهاده، ومنه مواراة جسده الطاهر الشريف، لقد كان الأمويون يعانون من قلق الخوف على السلطة من بني هاشم، ولكن بشكل مهووس، ولم يكونوا يطبقون وجود شخصيات قوية ومؤثرة من المعارضة العلوية، في حين لم تكن جميع القوى الشيعية في نظرها سوى تيار محترف جعل من آل البيت وسيلة في مجال اللعبة السياسية، ولقد تعمد هشام بن عبد الملك إهانة زيد في مجلسه لكي يدفعه إلى الشيعة، ومن ثم يلقي مصير آبائه على أيديهم، ومن هنا لم يكن جرم الشيعة بأقل جرم من الأمويين، وكذا العباسيين من بعدهم في إلحاق الأذى بآل البيت.

ب- الأصول الحقيقية لغلاة الشيعة في الكوفة :

إن منطق الأحداث، وطبيعة النتائج المخزنة، التي تعرض لها آل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في كثير من الأحيان بفعل الخيانات المتكررة من أهل الكوفة، لا تعطي سوى مفهوم واحد، هو أن أتباع الجوسية الآفلة في العراق، كانت تهدف إلى زعزعة كيان الإسلام والمسلمين، ولكن تحت مظلة التشيع، لا سيما إذا عرفنا أن أعداد الفرس في الكوفة أخذت في التزايد يوماً بعد يوم، وكان هواها في الغالب تبعاً لما جاء به (زرادشت).

وكان "أكبر موجه فارسية استوطنت الكوفة عقيب تأسيسها، هي المجموعة الضخمة من بقايا الجيوش الساسانية التي انضمت إلى الجيش العربي، وأخذت تقاتل معه، وقد عرفت في التأريخ باسم "حمرء ديلم"، وقد كونت هذه الجالية مجموعة كبيرة، وقد أخذ عددهم بازدياد حتى تضاءلت نسبة

العرب في الكوفة، وتقبلوا في عصر المأمون حتى كانت اللغة الفارسية تحتل الصدارة في ذلك العصر^(١).

ويقول الدكتور/ حسن إبراهيم حسن: "وكانت الكوفة التي ظهرت فيها الدعاة العباسيون في مستهل القرن الثاني للهجرة مهذاً لتشيع متطرف غير إسلامي، وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من مذاهب ونحل شتى، على أثر اتصاله بالديانات والعقائد التي كانت سائدة في بلاد العراق قبل ظهور الإسلام؛ كالصابئة التي يعبد أتباعها النجوم والكواكب، والمانوية، والزرادشتية، ومن الفرق: الشيعة المغالية السبئية أصحاب/ عبد الله بن سبأ، الذي وضع مذهب تناسخ الأرواح من جسد وحوّلها في جسد آخر، ومذهب الوصاية الذي أخذه عن اليهود دينه القلم كما أخذ عن الفرس الحق الإلهي، بل إن السبئية أتباع/ عبد الله بن سبأ أهواً علياً (رضي الله عنه)، وتأثروا بالفلاسفة القدماء والصابئة، واعتقدوا بنبوة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، أولاد علي بن أبي طالب"^(٢).

ج : خلو الممالك الباطنية من زعامة بني هاشم :

التأريخ يحدثنا أن الفرق الإسماعيلية التي أسسها ميمون القداح، عندما بلغت مرحلة الاقتدار، وامتلكت مقومات الدولة، وأصبحوا يحتلون رقعاً من مساحات الدولة الإسلامية، نسوا مبدأ الحق الإلهي لآل البيت في الحكم الذي كان وراء كل الثورات والانتفاضات الباطنية.

(١) "تأريخ الفرقة الباطنية" ج ٢ (ص: ٤٣٧).

(٢) "كتاب تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي" للدكتور حسن إبراهيم حسن ج ٤

(ص: ٢٥٥).

وصلح عندهم بعدئذ أن يكونوا ملوكاً وحكاماً وسلاطين، دون الحاجة إلى استدعاء آل البيت لكي يحكموهم، رغم مبادئهم التي تقضي بضرورة أن يكون الحاكم من آل البيت، وهي المبادئ التي يضحكون بها على دهماء الناس وعوامهم، ويجعلون منها ذريعة للخروج على الحكام حتى إذا ما نجحوا في تأسيس الدولة رموا بها عرض الحائط.

نعم كانوا يستدعون أئمة آل البيت في مراحل ضعفهم - كما رأينا- لا ليكونوا خلفاء، وإنما كذبايح لاستثمار دمائهم لصالح المشروع التدميري الكبير، ولاستدرار عواطف العوام بعد ذلك بقصد توظيفها في غير محلها.

غير أنهم مع ذلك - لم يستغنوا عن يافطة آل البيت- بل استمروا يقولون: إن الولاية والحكم لا تصح إلا لآل البيت، ولكن الأئمة الذين هم من آل البيت والذين كنا نريدهم حكاماً علينا "استتروا" وغابوا ودخلوا في سرايب وكهوف لا يعلمها إلا الله، كما سبق معنا.

ومن هنا قضى ميمون القداح باستتار/ إسماعيل بن جعفر الصادق، وظهر أمام الناس أنه كفيل (إسماعيل) والقائم مقامه حتى يعود، وهكذا رغم موت إسماعيل في عهد أبيه إلا أنه ادعى أن إسماعيل ظهر حياً في البصرة، وعهد إليه بالأمر حتى تحين فترة الظهور من جديد.

ثم جاء عبد الله بن ميمون القداح، ووجد أن محمد بن إسماعيل بن جعفر قد غادر العراق وغابت آثاره في بلاد ما وراء النهر.

فأخذها فرصة لإعلان استتار/ محمد بن إسماعيل، وأنه مودع سره، ومحل ثقته، وقد أنابه لإعلان الدعوة إليه حتى يعجل الله بظهوره، ولكنه يفشل في حشد الأنصار، لأن الناس لم يستوعبوا فكرة الوكالة هذه، فاضطر إلى أن ينزل قبيلة

"باهله"، وهناك غير إستراتيجية الخطة وانتسب إلى (عقيل بن أبي طالب)، ومهد بذلك لحفيده (الحسن) فرصة الانتساب إلى (الحسين بن أبي طالب) - كما سنجد في السطور التالية-، ولما هلك عبدالله ورثه ابنه أحمد، وأرسل الدعاة إلى الأمصار، فبعث حسين الأهوازي إلى العراق لتأسيس الدولة القداحية، فأثمرت سفارته عن تأسيس الدولة القرظية الموالية للأسرة القداحية.

ثم جاء الحسين بن أحمد وواصل دور والده، فأرسل إلى اليمن/ علي ابن الفضل و(الحسن بن حوشب)، فظهرت على أيديهما دولة القداحية في اليمن، وإلى المغرب أرسل داعيه/ أبو عبدالله الحسين، الذي توجه إلى منطقة من البربر تسمى "سجلماسه"، وكان قد نزل حسين بن أحمد القداحي منطقة السلمية، وأكمل انتسابه إلى الحسين بن علي ليصبح علوياً حسينياً، ممهداً الطريق أمام ابنه سعيد، لكي يعلن أنه المهدي المنتظر، لأنه المعني بتولي زمام الدولة القداحية.

وبعد أن هلك أبوه، كان المقرر أن يذهب لاستلام الحكم في اليمن، ولكنه يجد أن علي بن الفضل قد أعلن انفصاله عن الارتباط القداحي، وأعلن الملك لنفسه، ونشبت المعارك بينه وبين رفيق دربه ابن حوشب، كما وجد دولة القرامطة قريبة من مركز الخلافة العباسية، فاختار التوجه إلى المغرب، وهناك وجد الثمرة يانعة، فتسمى بعبيد الله المهدي أبو محمد، وأعلن الدولة الفاطمية التي انتقلت في عهد حفيده المعز لدين الله إلى مصر.

"فعبيد الله الملقب بالمهدي، هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح بن ديسان الثنوي الأهوازي وأصلهم من الجوس"^(١).

فالدولة الفاطمية حكمها القداحيون، وليس لآل البيت فيها حظ ولا نصيب.

(١) نقلاً عن كتاب "الإسماعيلية عقائد ومذاهب" إحسان إلهي ظهير (ص: ٨٩).

د- الهاشميون ينفون نسب الفاطميين إلى آل البيت :

عندما حاول الفاطميون أن ينسبوا أنفسهم إلى شجرة آل البيت، لم يسعفهم الحظ على تمرير اللعبة حيث انبرى لهم العلويون المعاضرون للدولة الفاطمية، وقاموا بتدوين محضر في نسب الخلفاء الفاطميين، شهد فيه القضاة والأئمة أن الحاكم الفاطمي وأسلافه لا ينتسبون إلى علي بن أبي طالب.

ومن وقع على هذا المحضر/ الشريف الرضي، وأخوه المرتضى، وابن الأزرق الموسوي، ومحمد بن عمر، وابن يعلى (العلويون)، والقاضي أبو محمد الكنفاني، والقاضي الجزري، والإمام أبو حامد الإسفرائيني، والفقير أبو محمد الكشغلي، والفقير أبو حسين القدوري، والفقير أبو علي ابن خلّكان، وأبو القاسم التنوخي، والقاضي أبو عبيد الله العميري^(١)، وقد ذكر ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" أن هذا المحضر وقع عليه خلق كثير من علويين، وشيعة، وفقهاء، ومحدثين، وغيرهم.

ووقع على هذا المحضر في شهر ربيع الآخر سنة اثنين وأربعمئة، في عهد الخليفة العباسي المقتدر، الذي ولى حتى عام (٤٢٢هـ) المعاصر للعزير بالله أبو منصور نزار الفاطمي الذي توفي ٣٨٦هـ هو والحاكم بأمر الله والظاهر لإعزاز دين الله ت: ٤٢٧.

هذا ما ذكره المقرئ في كتابه "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء"^(٢).

وقد ذكر المقرئ المحضر على النحو التالي :

(١) انظر: كتاب "تاريخ الإسلام" للدكتور/ حسن إبراهيم حسن ج٤ ٦٢٣

(٢) نقلاً عن كتاب "القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام" لطفه الولي (ص: ٣٦١).

(المحضر الهاشمي في نسب الفاطميين)

هذا ما شهد به اليهود، أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد الذي ينسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار، والحزي والدمار، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، لا أسعده الله - وأن من تقدمه من سلفه الأنجاس الأرجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، ادعاء الخوارج، لا نسب لهم من ولد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأن ما ادعوه من الانتساب زوراً وباطلاً، وأنهم لا يعلمون أحداً من بيوتات علي بن أبي طالب، توقف على إطلاق القول في أنهم خوارج كذبه، وقد كان هذا الإنكار شائعاً بالحرمين، في أول أمرهم بالمغرب، منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلّس أمرهم على أحد أو يذهب وهمٌ إلى تصديقهم فيما ادعوه.

وإن هذا الناجم بمصر هو وسلفه: كفّار، فسّاق، زنادقة، ملحدون، مبطلون، للإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والجوس معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية" (١).

وقد ظل العلويون، والشيعنة المعتدلون، ينفون نسب الفاطميين إلى شجرة آل البيت، لا سيما فقهاء ومؤرخي المذهب الزيدي، والدولة الهاديوية في اليمن، نذكر من ذلك ما قاله محمد بن مالك الحمادي اليماني الزيدي في حقيقة دعوى الفاطميين نسبهم إلى آل البيت: "...هؤلاء الذين ينسبون إليه - أي إلى عبيد الله المهدي الفاطمي - الذي سمي نفسه المهدي إلى عصرنا هذا (يقصد القرن الخامس

(١) المصدر السابق (٣٦١).

المهجري) فانتسبواهم إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وانتحالهم إليه انتحال كاذب، وليس لهم في ذلك برهان، وأهل الشرف، أي آل البيت النبوي الطاهر - ينكرون ذلك، فإنهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلاً مذكوراً، ولا عرفوا في كتاب الشجرة نسباً مشهوراً، بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب، إلا من دخل معهم في كفرهم وضلالهم، فإنه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الأمور، وقد زعموا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحاشا لله ما كان لمحمد بن إسماعيل من ولد، ولا عرف ذلك من الناس أحد...^(١).

هـ : الأصول الحقيقية لأبرز زعماء الإسماعيلية بعد (عبيد الله) :

وفيما عدا الدولة الإسماعيلية الفاطمية - فإن أحداً من الإسماعيليين لا يستطيع أن يجادل في نسب غيرها من الإمارات الإسماعيلية التي قامت في فترات متقطعة من التاريخ، فكل مؤسسها بعداء كل البعد عن نسب آل البيت، ولم يتركوا مجالاً لكي يحكم أهل البيت، بل انتهت فكرة (الولاية) ولم تعد ركن الدين الأعظم، لأن السلطة صارت بأيديهم.

- حمدان بن قرمط:

زعيم القرامطة في سواد الكوفة - أصله من الصابئة الحرائية، ومثله آل مهروية بن زكرويه الذين تولوا أمر القرامطة بعده.

- سعيد الجنابي:

(١) ارجع إلى كتاب "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة" لمحمد بن مالك الحمادي اليماني، تحقيق محمد عثمان الخشب (ص: ٣٦-٣٧) .

صاحب الدولة الإسماعيلية في البحرين، من أصل فارسي يعود نسبه إلى جنابه بساحل إيران الغربي، وكذا أخوه أبو طاهر الجنابي، ابنا سليمان بن حسن الجنابي مؤسس القرامطة في البحرين.

- حاتم البوراني وأبو الفوارس في القطيف

- زعيم الحشاشين:

في قلعة (الموت) بفارس الحسن الصباح .

- وأما أبو القاسم الحسن رستم بن فرج بن حوشب بن زاذان:

فترعم الإسماعيلية أنه من نسل عقيل بن أبي طالب، ولا ندري كيف صح لهذا

الاسم الفارسي الطويل أن يكون من نسل عقيل بن أبي طالب.

- علي بن الفضل:

الذي حكم باسم الإسماعيلية في (المدية) من اليمن فهو يعني من أصل

قحطاني شديد التعصب لقحطانيته.

- علي بن محمد الصليحي:

الذي حكم اليمن، ومثل حكمه امتداداً للدولة الفاطمية في مصر، فهو أيضاً

يعني قحطاني.

- محمد برهان الدين :

السلطان الحالي للبهرة الداودية، فهو وأجداده من نسل الوزير الوثني (تارمل)

الذي كان يعكف على عبادة (الفيل)، ودخل في المذهب الإسماعيلي في مطلع القرن

السادس الهجري (راجع نسبه في الفصل الأول من هذا الكتاب).

هذا ناهيك عن حكام الاثنا عشرية في الدولة الصفوية والبهلوية، وحتى

الخمينية كما هو ظاهر اليوم.

وجميع زعامات الفرق الباطنية المعاصرة بعيدة من آل البيت، وغريبة عن أحفاد علي بن أبي طالب المعروفين في الأقطار العربية والإسلامية، المنبثقين عن أصل شجرة علوية ثابتة وموثقة، فأين (الولاية) يا عباد الله؟ التي تهدم الإسلام كله بسببها لدى الباطنيين، ولماذا حكم آل البيت فقط أهل السنة ولا يزالون؟ فمن هم الشيعة الحقيقيون الذي يرون النبي في أهله بصمت دون تنطع ولا ادعاء.

أما فلاسفتهم ومنظريهم وأساطينهم الكبار: فقد جاء معظمهم من الأعاجم، وذلك من أصل الجوس والهندوس والبوذيين وأهل الكتاب، وكما ستلاحظ في موضوع حقيقة الإسماعيلية من هذا الكتاب.

ولم يكن تشبث الفاطميين بالنسب العلوي الذي انتحلوه، إلا لمتقضى عقائدي وهدف ديني كما أشرنا، وإلى الآن لا يزال من الصعب على الإسماعيليين الجزم بحقيقة هذا النسب المنتحل، وقد جرهم إلى تناقضات تاريخية، وأوقعهم في إرباكات يلحظه كل من اطلع على مصنفاتهم التاريخية والعقائدية.

فبينما يتحدثون عن دور ميمون القداح في تأسيس (المذهب الإسماعيلي)، ودور ابنه عبد الله في (تقعيد قواعده)، وحفيده أحمد (في نشر الدعاة)، ودور (الحسن بن أحمد) إلى ابنه سعيد أو محمد علي على اختلاف، يفاجؤنك بالحديث عن ولد نسبوه إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق اسمه عبد الله، يحمل نفس مواصفات عبد الله بن ميمون وأخباره، ويحدثونك عن (أحمد بن عبد الله بن محمد ابن إسماعيل)، ولا يفرق عن (أحمد بن عبد الله بن ميمون)، وبعده (الحسن) الذي ينتهي إلى (إسماعيل بن جعفر)، الذي يقابل نفس صفات شخصية (الحسن) صاحب النسب القداحي، فيكون عندنا (الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون)

يقابله (الحسن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق) أي نسبين مختلفين، لاسمين متماثلين، ولكن في دور تاريخي واحد.

وقد يضطربهم الحال إلى محاولة الجمع بين الاسمين بالتعاقب، ولكن بطريقة لا يخفى ما فيها من تكلف، لأنها جعلت ما هو وهمي منها في موضع ما هو الحقيقة والعكس، فمثلاً عارف تامر في كتابه تأريخ الإسماعيلية، يعتمد النسب العلوي ويجعل النسب القداحي ضلالاً له وغطاء ووسيلة للتستر والتمويه، فكان تعريفه لهذه الشخصيات على نحو ما ترى، إذ يقول:

(عبدالله بن محمد بن إسماعيل) أو تقي أحمد هو الإمام الثامن بالترتيب الإسماعيلي ولد ١٥٩هـ في بلدة محمد أباد الفارسية، وعرف بين الناس باسم (عبدالله بن ميمون القداح) قال عن نفسه: بأنه حجة الإمام المستور، المسمى (عبدالله بن محمد بن إسماعيل)، أخذ بتأليف كتاب (إخوان الصفاء وخلان الوفاء).

- أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل أو تقي محمد هو الإمام التاسع من جده علي بن أبي طالب، عرف بين الناس بأنه أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ويقول عن نفسه: بأنه أحد دعاة الإمام المستور أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل.

- الحسين بن أحمد بن عبدالله، هو الإمام العاشر من جده علي بن أبي طالب، ولد في بلدة مصياف سنة ١٩٨هـ، عرف عنه بين الناس باسم الحسين الأهوازي [نسبه إلى بلدة ميمون القداح الأصلية الأهواز] وقال عن نفسه: إنه داع لإمام مستور اسمه الحسين بن أحمد بن عبدالله... " (١).

وهذا التلفيق يضع أمام "تامر" وغيره من الكتاب الإسماعيليين عدة أسئلة، فإذا كان الناس قد نسبوا هؤلاء الدعاة إلى ميمون القداح الأهوازي وعرفوا في عهدهم بهذا النسب كما يشير، وإذا كان هؤلاء الدعاة أنفسهم لم يدعوا نسبهم إلى محمد بن إسماعيل، بل قالوا: إنهم دعاة الأئمة المستورين من أبناء محمد بن إسماعيل، وعاشوا أجيالاً ثلاثة على ذلك، فهل هناك ما هو أدلّ من هذا الاعتراف القداحي وشهادة المعاصرين حتى يأتي الإسماعيليون والفاطميون ليلحقوهم بالنسب العلوي الفاطمي عن طريق محمد بن إسماعيل الذي لم يعرف له عقب من بعده؟

وهل يعقل أن يكونوا فعلاً من آل الرسول ثم يتنازلون عن نسبهم الشريف ويصرون على نسب ينتهي إلى مجوس الأهواز؟ ولم كل هذا؟

ما الذي يمنع أن يكون هؤلاء الذين عملوا على تأسيس دولة الإسماعيلية حتى تأسست على يد سعيد بن الحسن الدولة الفاطمية.

أقول: ما الذي يمنع أن يكونوا فعلاً هم أبناء ميمون القداح؟ لا سيما وقد عرفنا أن ميمون خلف أولاداً تحمل هذه الأسماء، وأنهم قد تأسوا بأسلوب جدهم ميمون القداح الذي ادعى أنه الداعي المطلق لإسماعيل بن جعفر، وقال: إنه لم يمت ولكنه استتر وسوف يعود، وأنه قد أقامه ليدعو له بين الناس، وحسب ما تقول الروايات الإسماعيلية وغيرها من المصادر.

تؤكد بعض المصادر أن الذي قام بتأليف "إخوان الصفاء" هو عبدالله بن ميمون فكيف أصبح (عبدالله بن محمد) كما يقول المؤرخ الإسماعيلي عارف تامر؟ أليس هذا دليل على الخلط المتعمد، ودلاله على محاولة التوفيق المفضوح المتكلف؟

و- التاريخ الملحمي لآل البيت ضد الباطنية في اليمن :

إذا كان التأريخ يذكر لنا تلك المواقف الالهزامية من الباطنيين لآل البيت، ويذكر استبعادهم من الحكم في فترات الظهور من الحكم الذي يتناقض مع محور اعتقادهم، فالتأريخ أيضاً يذكر أن الإسماعيليين هم أول من نازع آل البيت في اليمن على الحكم، يتمثل ذلك في مناصرتهم لدولة (يحيى بن الحسين) الذي يصل نسبه إلى الحسين بن علي -رضي الله عنهم- أجمعين، فقد قامت حروب طاحنة بين الهادي يحيى بن الحسين ثم أبنائه من بعده مع القرامطة الإسماعيليين التي أخذت طابعاً عقائدياً، إلى جانب الأطماع السياسية، فكان يقاتل (الهادي) الإسماعيليين على أساس أنهم طائفة منحرفة خارجة عن دين محمد بن عبدالله، والإسماعيليون يقاتلون على أساس أنهم أقوم طريقاً وأهدى سبيلاً من مذهب آل البيت، فكان أن أخذ الهاديون على عاتقهم وجوب تطهير اليمن من رجس هؤلاء الذين تقمصوا اسم النبي وآله وخرجوا عن هديهم، بل وناجزوهم العدا والحرب، وبالفعل فقد تمكن الأشراف أبناء الهادي من القضاء على تأريخ القرامطة السياسي في اليمن بعد حروب ووقائع تاريخية مشهودة، وقد قاد يحيى بن الحسين ضدهم نحواً من سبعين معركة.

يقول المؤرخ العلوي/ يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابه "غاية الأماني في أخبار القطر اليماني" ودخلت سنة ٨٩ وفيها انتشرت القرامطة في سواد الكوفة واستفحل هناك أمرهم، وما زالت فتنة القرامطة قائمة في كثير من أقطار الإسلام هلك فيها أمم لا تحيط بحصرها الأقلام، وتضعضت أركان الدين حتى شارفت على الانهدام، ضاعف الله لمن أثارها أنواع النكال والخزي الدائم والوبال، ولقد

دامت مدة من الزمان يزيد على ثلاثمائة سنة، وكان انقطاعها من مصر على يد صلاح الدين بن أيوب رحمه الله^(١).

ومن اليمن على أيدي الأئمة القائمين من أهل البيت عليهم السلام^(٢).

وكان فضل الإمام الهادي يعرف بقدر نصيبه في قتال القرامطة وحسن بلائه في ذلك.

وقد ظل الزيود مع الإسماعيليين في اليمن يشكلان ثنائية ضدية، تربطهما علاقة صراع تاريخي مثير ضد بعضهما، وكل طرف يحمل ضد الآخر قدراً مماثلاً من الحقد والضغينة، كأثر طبيعي لما خلفته تلك الحروب العقائدية من ثارات وجراحات محفورة في النفوس.

ولقد عاش الإسماعيليون لا يرون ألد عدو لهم في اليمن من العلويين وأشياعهم، فكانوا ربما استقوا على دولة الأشراف، بقوى أجنبية ومحلية كالمماليك والأتراك والدولة الرسولية في زيب وغيرها، واستمرت المعارك ناشبة بين الندين المتغايرين حتى كان عهد "يحيى بن حميد الدين" حفيد "يحيى بن الحسين الهادي"، وفي ذلك يحدثنا طه الولي بقوله: وآخر الحروب التي خاضها الزيود ضد القرامطة في اليمن كانت سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، وذلك حين قام الإمام يحيى بن حميد الدين سمي جدّه/ يحيى بن الحسين المذكور، بقتال هذه الفرقة عند جبل لهاب شرقي الطريق الداهية من الحجيلة نحو مناخة وكان الأسلاب التي حصل عليها الإمام يحيى من تلك الحروب العديد من كتب هذه الفرقة التي ضمها إلى المكتبة الملكية في صنعاء.

(١) استجد أحفاد الباطنية اليوم ينالون من تأريخ صلاح الدين وينعتونه بصفات لا يجرؤ عليها حتى النصارى، وذلك تاراً لأجدادهم الذين كسر شوكتهم هذا القائد العظيم.

(٢) "غاية الأمان في أخبار القطر اليماني" (ص: ١٨٤) تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة د/محمد مصطفى زيادة، ط دار الكتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

وهذه الحروب التي شنها الزيود على القرامطة بالحديد والنار، كان يصحبها حروب أخرى سلاحها الفكر والقلم، فإن الإمام الهادي يحيى بن الحسين نفسه الذي حارب هذه الفرقة بسيفه حاربها أيضاً بقلمه، ومن بين الكتب التي ألفها في الفقه الزيدي، له كتاب عنوانه "بوار القرامطة" ألفه في دحض المذهب القرمطي، والكشف عن معتقدات هذه الفرقة الباطنية، ومواقف زعمائها المتناقضة مع المبادئ الإسلامية وتقاليد المسلمين^(١).

وللإمام الهادي رحمه الله كتاب آخر أسماه "الأحكام في بيان الحلال والحرام" شنع فيه بالرافضة الباطنيين، وحكم عليهم فيه بالمروق عن الإسلام، وإبطال الشرائع وإباحة المحرمات، وزيف ادعائهم حب الإمام علي كرم الله وجهه، ولزوم قتالهم ومحاربتهم حيث قال: "وضادوا الكتاب (أي القرامطة)، وجانبوا الصواب، وأباحوا الفروج، وولدوا الكذب والهرج، وفيهم ما حدثني أبي وعمامي محمد والحسن عن أبيهم القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عليه وعليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبي يعرفون به يقال لهم: الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله فإنهم مشركون)^(٢).

ويعمضي الإمام الهادي إلى دين الحق/ يحيى بن الحسين في حكمه على جماعة الإسماعيلية، فيقول:

(١) "القرامطة أول حركة اشتراكية" (ص: ١٨).

(٢) انظر "الأحكام في بيان الحلال والحرام"، (ص: ٣٦٦).

"هذا الحزب، حزب الشيطان، الخاسر، الهالك، عندالله الجائر، المحل للشهوات، المتبع للذات، المييح للمحرمات، الأمر بالفاحشات، الواصف للعبد الذليل بصفة الواحد الجليل، القائل على الله بالمحال، المنكر للتوحيد، المشبه لله المجيد بالضعيف من العبيد، المبطل في ذلك لعدة الزوجات [أي: عدة الزوجه بعد الطلاق] الدافع لما أثبت الله من الأسباب والوراثات، المخالف لكتاب الله عز وجل في كل الحالات، الذي عادى الحق واتبع المنكر والفسق، حزب الإمامية الراضية للحق والمحقين، الطاعنة على أولياء الله المجاهدين الذين أمروا بالمعروف الأكبر، ونهوا عن النظام والمنكر، وقول هؤلاء الإمامية الذين عطلوا الجهاد، وأظهروا المنكر في البلاد والعباد، وآمنوا الظالمين من التغيير عليهم، ومكنوهم من الحكم فيهم، وصاروا خولاً، وجعلوا أموال الله بينهم دولاً، وكفروا من جاهدهم وعلى ارتكاب المنكر ناصبهم، وقول هذا الحزب الضال مما لا يلتفت إليه من المقال، لما هم عليه من الكفر والإيغال، والقول بالكذب والفسوق والمحال، فهم على الله ورسوله في كل أمر كاذبون، ولهما في كل أفعالهم مخالفون، قد جاهروهما بالعصيان، وتمردوا عليهما بالغي والطغيان، وأظهروا المنكر والفجور، وأباحوا علانية الفواحش والشور، وناصروا الأمرين بالحسنات، المنكرين للمنكر والشرارات، الأئمة الهادين من آل الرسول المطهرين، وهتكوا -يا لهم الويل- المحرمات، وأماطوا الصالحات، وحرصوا على إماتة الحق^(١).

فهذا أحد أبرز الأئمة العلويين يضحج بالشكوى من الباطنيين القرامطة، فليت شعري. أين عسى أن نلمس ولاء القرامطة الحقيقي لآل البيت في غير كتبهم وشعاراتهم.

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٦٥

لقد واصل العلويون هجومهم الماحق ضد هذه الطائفة بسلاح الفكر بعد سلاح السيف، ولا يزال يصادفنا الكثير من علماء الفقه الزيدي الذين أخذوا على عواتقهم وجوب حرب فلول الجوسية، هؤلاء الذين تذرثوا بدثار الإسلام، وتزبوا بزبي المحبين لآل بيت رسول الله الكرام، وهم أبعد ما يكونون منهم منهجاً وسلوكاً خلقاً والتزاماً.

ويحدثنا طه الولي في كتابه "القرامطة" عن مظاهر هذه الحرب الفكرية لفقهاء ومؤرخي الزيدية ضد الإسماعيليين لفضح أفكارهم المنحرفة وأساليبهم الماكرة، والتي وصلت إلى حد الدخول في الباطنية، والانخراط في صفوفها بهدف الاطلاع على أسرارهم الخفية لكشفها وفضحها للناس.

يحدثنا عن ذلك فيقول: "وفي أواسط القرن الخامس الهجري ظهر كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني المتوفي سنة (٤٧٠هـ - ١٠٧٧م).

وقد دخل هذا الحمادي في المذهب الإسماعيلي في عهد علي بن محمد الصليحي، ليكشف حقيقة هذا المذهب، فخرج منهم بشهادة خطيرة، دونها في كتابه الشهير والمرجع المهم (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) الذي أوضح فيه أساليبهم الخبيثة التي يعدونها لسلخ المسلم عن عقيدته، وتحلله من فروض العبادات^(١).

ويضيف المؤلف: "ومنهم الشريف يوسف الحسين الذي فعل مثل ما فعل الحمادي من الإندساس في جماعه القرامطة لكي يطلع على أحوالهم ويكتشف أسرارهم، ثم خرج منهم وصنف في مثالهم ونقض مذهبهم، وقد أشار إليه

(١) "القرامطة أول حركة اشتراكية" (ص: ١٧).

الديلمي وهو يتحدث عن الطرق التي أدت إلى معرفته بهذه الجماعة، وأحوالها حيث قال في كتابه "قواعد عقائد آل محمد" فاعلم أنه قد حصل لنا العلم بمعرفة مذهبهم، من طرق ثلاث:

أولها: أن كثيراً من المسلمين دخلوا بينهم تعمداً وأظهروا الاقتداء (...). بهم وأقاموا معهم سنين، حتى عرفوا اعتقادهم باليقين، ثم خرجوا وأظهروا كفرهم (أي: كفر القرامطة) المكتوم وسرهم المخزون، ووضعوا فيه الكتب كالشريف يوسف الحسيني، الذي دخل في صنعاء على شيخهم ابن الأنف (الداعي علي بن محمد الوليد الملقب بابن الأنف العبشمي القرشي المتوفى سنة (٦١٢هـ - ١٢١٥م) وكمحمد بن مالك الحمادي.

ومن الكتب التي صنفها علماء الزيود في اليمن في حرهم القلمية التي خاضوها ضد القرامطة في بلادهم وخارجها، كتاب "الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار" الذي ألفه الفقيه (حميد الدين المحلي) المتوفى سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) أحد علماء الزيود الذين اشتركوا بفعالية فكرية بالغة في إثارة الحرب القلمية وإشعال نارها ضد هذه الفرقة^(١).

(١) نفس المصدر (ص: ١٨).

سادساً: فرض سياسة التجهيل والإقصاء ضد أتباع الطائفة :

يخطئ من يظن أن أتباع الطائفة الإسماعيلية جميعهم على درجة واحدة من الفهم والإدراك، لمنطلقات مذهبهم الأساسية، أو أنه يوجد تفاعل فكري ومنهجي تام بين عامة الطائفة وزعمائها مثلما نجد من التفاعل العاطفي والوجداني القائم.

والحقيقة أن أسرار اللعبة، وفنون الفكر، وأحاييل المكر، في المعتقدات الباطنية تبقى شفرات ورسائل خاصة، في متناول خاصة الخاصة منهم، وهي ممثلة في كتبهم السرية التي يحرم الإطلاع عليها من قبل عامتهم.

وربما تقدمت بسؤال مشروع وهو: إذا كان عامتهم خارج دائرة الوعي الفكري، فكيف نفسر هذا الولاء الكبير لزعمائهم وعلى أي أساس يكون؟

ومعرفة ذلك يظهر من خلال خطة الحجر العقلي، والعزل المعرفي لأتباع الطائفة، فالولاء الأعمى لا يكون إلا في أوساط الجهلاء من الناس، حيث تجذب العاطفة هي كل رصيدهم المذهبي، التي تمنح الولاء بدون حدود.

والعاطفة بمعزل عن ترشيد الفكر والعقل، أداة تدميرية خطيرة، عرف زعماء الباطنية على مر التاريخ كيف يستغلونها أبشع استغلال، فكان يكفيهم أمام دهماء الناس أن يذرفوا دموع التماسيح على آل البيت، ويرفعوا كذباً رأيات الحب والتشيع لآل بيت النبوة، ليجعلوا منهم وقوداً لأطماعهم الاستبدادية، وأدوات مصيرة لتنفيذ أهدافهم.

أ- أسلوب التمثيل لاستدراج العوام :

وفي ظل الجهل والغوغائية، لم يكن أولئك الزعماء يجدون لادعاءاتهم حدوداً، فكانوا يخلعون على أنفسهم -دون خوف من رادع- ما عن لهم من الألقاب

والأوصاف المتناقضة في نفسها، فتجد الواحد منهم في أول مراحل ظهوره يتخلق بأخلاق النساك والزهاد المتعبدين، لاستدراج العوام إليه، حتى إذا ما التفت الناس من حوله، ووجد من نفسه قوة، تحول من ناسك إلى درجة إمام، ثم يعين نفسه المهدي المنتظر، وربما أخذته نشوة الانتصارات، فزعم أنه نبي، ثم ما يلبث أن يدعي الربوبية، وإذا به هو الرازق والمنعم والمحيي والمميت، وهو على كل شيء قدير.. وإذا بالرعاع من حوله يسبحون بحمده ويقدمون له.

لذلك يدركون أن بذور مذهبهم لا تعيش إلا في العقول الراكدة، ولا تنمو إلا في ظل التجهيل والتغفيل، واللعب بخيال العامة وعواطفهم، وهذا في الواقع ملة أيهم من قبل، وارجع إلى كتاب "الصليحيون" ومؤلفه البهري (حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري) لترى ما نقله عن جدهم / حسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح الديصاني الأهوازي، من وصايا زود بها زعيما الفتح الباطني لليمن، وهما: (علي بن الفضل) و(ابن حوشب) لتكون أساس الإيقاع بالعوام وطريق غوايتهم واستدراجهم إلى دعوتهما.

قال متحدثاً عن حسين القداحي في حديثه لابن حوشب: "ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه، وأن يقول بقرب ظهور المهدي، ثم قال له واجمع المال والرجال، والزم الصوم والصلاة والتقشف، واعمل بالظاهر، ولا تظهر الباطن، وقل: لكل شيء باطن، وإن ورد عليك مالا تعلمه، فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره، كما أوصاه بعلي بن الفضل خيراً"^(١).

(١) "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن" لحسين اليعبري، (ص: ٣١)، ط. دار المختار للطباعة والنشر، دمشق.

وبعد وصولهما إلى اليمن اتخذ الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ، فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايته وعملاً بوصية الإمام الحسين بن أحمد إليهما، كما تظاهر كل منهما التفقه في الدين وكانا يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر، فمال إليهما كثير من أهل اليمن، وأقبلوا عليهما من كل فج، وبخاصة بعد أن أظهرتا دعوتهما علناً في سنة سبعين ومائتين، بعد أن قام كل منهما بدعوته سراً سنتين^(١).

وعندما حقق ابن حوشب بعض الانتصارات العسكرية قال لأتباعه: "والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي، وإنما أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم" ^(٢).

هذا ما أخرجنا به أحد كتبهم عن أحابيل المكر الباطني مع العوام، كأدوات مشروعة عندهم.

ب- سلاح الدعاية :

وربما زارهم إمامهم إلى دولة أو مدينة، فيقوم أثريائهم بالإعداد لوليمة فخمة ضخمة، ويدعى إليها المئات من الأتباع فيجدون أمامهم من لذائذ الطعام وأطياب الشراب، والإعداد الفريد، والتنسيق البديع، ما لم يكن يخطر على بال، ثم يأكلون جميعاً وينصرفون، ويجدون أن ما تركوه أمامهم أكثر مما أكلوه، فيبدأ زعمائهم يهمسون بقولهم: ما رأينا كاليوم قط، لم نعد إلا لبضعة نفر، وهاهي المائدة لا تزال عامرة بعد أن أكل منها المئات وانصرفوا، إنها لمعجزة من معجزات الإمام الباهرة، ودليل فضله وبركته، فيكون لهذا في نفوس العامة أثر وأي أثر.

(١) أيضاً (ص: ٣٣).

(٢) أيضاً (ص: ٣٥).

ثم ينظرون إلى ما هم عليه من سعة ذات اليد، ووفرة المال، والتجارة، فيقولون لهم: هذا دليل سلامة محكمكم، وآية من آيات إمامكم، فاشكروا لمولاكم الذي أمدكم بفضلله وسابغ نعمه، وليكن شكركم بزيادة الهبات والزكوات لمولاكم السلطان حتى لا يجلب عليكم غضبه، وتحقيق بكم سخطه، فيتدافع التجار لتقدم النذور والهبات، وكل واحد يرجو أن يكون صاحب القدر المعلى والسهم الأوفى لينال رضى الإمام وعطفه.

وتكتشف في النهاية أن هذا المذهب لا يسد عوراته إلا بالدعاية، والتفنن في نسج الألاعيب وتزييف وعي العامة، شأنه في ذلك شأن كل تيار مفلس يفتقر إلى الحجة، لذلك فقد كان الفكر الإسماعيلي على امتداد عمره الطويل، يعول أكثر ما يعول في نشر أباطيله على جهاز الدعاية، الذي يكون مهمته خداع العامة من خلال طرح الشبهات التي تضمن هز العقيدة الإسلامية من نفوسهم، ومن خلال التلميح لمضامينها، ولقد تمرس أصحاب الفكر الإسماعيلي على دراسة طبائع النفوس البشرية وميولاتها، فلبسوا لكل نوع لبوساً، ودقوا لكل هواية على النغم الذي يحركها فيقودها إلى الاستسلام.

فالدعاية والتدليس ولا شيء غير ذلك، هو كل ما يملكه المذهب الإسماعيلي، ولذلك فقد حاز دعاة هذا المذهب على قصب السبق، في مجال الدعاية وخداع العامة.. ولمزيد من التوضيح نقرأ ما كتبه في هذا المجال أبرز الكتاب الإسماعيليين العقائديين، منهم/ مصطفى غالب وعارف تامر.

يقول مصطفى غالب:

"وبالحقيقة لم يوجد أي دولة من الدول أو فرقة من الفرق، اهتماماً خاصاً بالدعاية وتنظيمها كما اهتمت بها الإسماعيلية، فجعلت منها الوسيلة الرئيسة

لتحقيق نجاح الحركة في دور الستر والتخفي، ودور الظهور والبناء معاً، ولقد أحدث التخطيط الدعائي المنظم تنظيمياً عجيباً لم يسبقهم إليه أحد^(١).

أرأيتم ديناً أو مذهباً يقتات على مجرد الدعاية في شتى ظروف مراحلها؟ ما حاجة الناس إلى مذهب يشتغل في الضحك على عقولهم وتزييف مداركهم؟ إن مذهباً هذا حاله خليق أن يصير مادة للسخرية أمام الناس، لا أن يظل هو وسيلة لاستغفالهم.

ويقول د/ عارف تامر الإسماعيلي:

"سن الفاطميون لدعوتهم، ولدولتهم نظاماً دقيقاً محكماً لا نكاد نرى مثيلاً له في تأريخ الدول والدعوات، حتى في عصرنا هذا الذي قدرت فيه الدعاية حق قدرها، ولعل الفاطميين هم أول من أقاموا للدعاية مناصب رسمية في دولتهم"^(٢).

الذي تعارف عليه الناس في وقتنا الحاضر، أن الدعاية سلاح العاجزين يلجأ إليها الطغاة المفسدون لسد عجزهم وصرف الناس عن عوراتهم المكشوفة.. مثلما أنها وسيلة حربية تستعمل للتعجيل بمزيمة العدو، وبث الرعب والخوف في نفوس أفرادهم.. فهي أداة اضطرارية غير مشروعة.

لكنها في الإسماعيلية عقيدة ثابتة، ونظام قائم، كدليل واضح على بطلان هذه الملة التي اعتمدت على حشد من الدعايات المضللة، وكذا على أساليب التجهيل والعزل الفكري.

(١) من كتاب "تأريخ الدعوة الإسماعيلية" د. مصطفى غالب، (ص: ٢٧)، ط. دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت لبنان - الطبعة الثانية.

(٢) "تأريخ الإسماعيلية" د/ عارف تامر، ج ٢ (ص: ١٨٣)، ط. رياض الريس للكتاب والنشر لندن - بيروت.

ج- أسلوب العزل الفكري :

يدرك زعماء الفرق الإسماعيلية، أن سلاح الدعاية يظل بجد ذاته ضعيفاً ما لم يتم رفده بسنّ جملة من الاحتياطات الأخرى، فما أسرع ما ينتهي مفعوله عندما يتمكن ضحاياه من الاطلاع على الحقيقة من مصدرها.. لذلك كان لابد من ضرب سياج من العزلة الفكرية المنيعة على العامة منهم، تمثلت في تحريم الاطلاع على كتب المسلمين، واعتبار ذلك هي فاحشة الزنا بعينه، التي لا غفران لها سوى الاغتسال والإقلاع عن جريمة الاطلاع، وإخلاص التوبة أمام زعيمهم الذي لا يقبلها بدوره حتى تستوثق منه بأغلظ الأيمان وأوكدها، بالأفكر مرة ثانية في مثل هذا النوع من المجازفة المحضورة التي تقود صاحبها إلى غضب الإمام والخروج من الملة.

وإذا كان هذا بالنسبة لكتب المسلمين، فإن كتبهم الخاصة أو كتب الباطن محضور الاطلاع عليها إلا من قبل خاصة الخاصة، يقول مصطفى غالب: "لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنياً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار دعاةهم وحججهم، وعمدوا إلى إحاطة جميع العلوم الباطنية بالستر والكتمان، وحظروا إظهارها إلا لمن يستحق ذلك من أتباع الدعوة المخلصين"^(١).

ومن تجاسر على تلك الكتب ممن ليس محل ثقتهم فكأنما زنا بأمه، وسوف يختل عقله ويصاب بالمس والجنون.

على أنهم وجدوا أن الحضر الفكري، وتحريم القراءة وحده لا يكفي، لأن السواد الأعظم منهم لا يقرأ أو لا يهوى الاطلاع، وبالتالي قد يأتي الخطر عن طريق آخر، وهو الاتصال الاجتماعي بينهم وبين عامة المسلمين فيلزم تحريمه أيضاً.

(١) "الحركات الباطنية في الإسلام" مصطفى غالب، (ص: ١٠٤)، دار الكتب العربي.

د- أسلوب العزل الوجداني :

وهكذا يضطّهرهم شبح الخوف يضطّهرهم إلى سن جملة من العوازل والكوابح، التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، إنه انعدام الثقة بمنطلقات المذهب وهو اجس القلق من تسرب أي نقطة ضوء إلى أذهان أتباعهم، حتى حرموا عليهم كل أشكال الاتصال بالمجتمع المسلم المحيط، وعدوا ذلك خيانة للمذهب ونقظاً للعهود والمواثيق، التي تلزم القطيعة الشعورية التامة.

وإليك مناشدة (محمد برهان الدين) في هذا الجانب :

"واعلموا أن الولاء والبراء من الأعداء وترك مجالستهم ومواصلتهم في أي حال من الأحوال شرط من شروط العهد، فلا يجوز مواصلتهم بأي حيلة وبأي حال في الحلّ والعقد، فمن اتصل بهم وواصلهم في حال من الأحوال، فقد أنحل بشرط من شروط الميثاق ونكث عهده، واستحق سخط الله، وأن الله شديد المحال"^(١).

ثم ينسب في نفس الرسالة إلى الإمام علي -كرم الله وجهه- ما لا يقبله عقل عاقل، حيث زعم أنه قال:

"شيعتنا من لا يسأل أحداً إلا من إخوانه وإن مات جوعاً"^(٢).

(١) انظر: رسالة عام ١٣٩٧هـ إلى أبناء طائفته في اليمن المسماه "هدايات الدين المضني" (ص:١٣) .

(٢) أيضاً (ص:٦) .

هـ - أسلوب التقية^(١):

ولما كان الاتصال بالمجتمع المحيط ضرورة حتمية لا مناص منه، نظراً لحاجة الإنسان لأخيه الآخر من تبادل المنافع والتقاء المصالح وغيره، وحتى يضمنوا عدم حدوث التأثير والتأثر، فقد ابتكروا حيلة جهنمية أخرى وهي "التقية" التي أصبحت ضرورة صميمية في المعتقد الباطني، ووسيلة من أهم وسائل العزل الفكري التي تضمن سلامة عقيدة الفرد من الاهتزاز.

"والتقية" في مؤداها تعني: وجوب الاحتفاظ بالأفكار الباطنية، أو الممارسات المخالفة، وصونها بالكتمان، دون السماح لأي كان بالاطلاع عليها، أو تمكينه من معرفتها، وإذا بادره من ليس من ملته بالسؤال عن معتقداته الغريبة، اتقاه الباطني بالإنكار والجحود ونفي وجود أي أفكار مخالفة، والتأكيد على عدم وجود أي فرق يعول عليه بينهم وبين غيرهم من مذاهب الإسلام.

"فالتقية" أداة تسد كل أبواب النقاش، وتمنع أي محاولة لهدم أباطيل المذهب من ذهن الشخص ودحضها، طالما بادر ذلك الشخص بدافع التقية إلى إنهاء الحديث بالإنكار، علماً أن هذه التقية ركن ركين في العقيدة الباطنية إذا لم يعتقدوها

(١) (التقية) لا مكان لها في دين محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام- لا مكان لها إلا في حالات اضطرارية وعند تيقن الملاك وتكون مع الكفار لأنها مرادف الكذب ولأنها أخت النفاق، فهي تعني إظهار غير ما تظن وليس هذا السلوك من صفات المسلم، بينما هي لدى الإسماعيلية والاثنا عشرية أحد محاور العقيدة لأن بدونها ستكشف سوءاتهم فيضطرون إليها ويتسترون خلفها حتى عندما يتمكنون ويحكمون، فانظر كيف صار النفاق عندهم مقدساً باسم (التقية) وهم مع ذلك يسمون أهل السنة منافقين!! كما أن الزنا واللواط مقدس عند الاثنا عشرية باسم (المتعة) فمن لم يتمتع -أي: يزني- فليس بمسلم، وأي شيء هي المتعة، إن لم تكن هي عين الزنا؟ وقد حرمت في غزوة خيبر مع تحريم أكل لحم الحمر الأهلية، لكنها للأسف لا تزال في إيران من أفضل القربات، حتى الآن، انظر كتاب (لله ثم للتاريخ) للعالم الشيعي الكبير (الذي عرف الله) :حسين الموسوي.

الفرد ويمارسها مع المخالفين لهم، فإيمانه بالمذهب لا قيمة له، فلقد شددوا عليهم
أيما تشديد واعتبروها هي الصوم نفسه.

يقول الفقيه والمنظر الإسماعيلي القاضي النعمان المغربي:

"إن الصوم هو الستر والكتمان، ألا ترى إلى قول مريم (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ
صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (١).

"الصوم هو الصمت بين أهل الظاهر (٢) "وكتمان الأسرار عنهم" (٣).

ويقول النعمان أيضاً في تأويل الصوم:

"الصوم في الباطن: كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر، والإمساك عن
المفاتيح به، فمن يؤذن له في ذلك" (٤).

ولا نجد أن ديناً في التأريخ قد لجأ إلى حد محاسبة الأفراد على حديث النفس،
وتفكير العقل، أو ربط إيمان أتباعه بمجرد الوهم أو الإشارة في إظهاره، أو جعله
رهناً بالكناية أو التلميح.. هذا ما تفرد به الدين الإسماعيلي عن سائر الأديان.

تأمل في هذا العهد الإسماعيلي لمن ينتسب إلى الدعوة الذي يعد أول سلاح
لفرض التقية يضع داعيهم، "شمس الدين بن يعقوب الإسماعيلي" العهد، فيقول:

"وإني إذ فهمت أمراً وعرفت سراً، أكتمه وأخفيه عن من لا يعتقد بمعقدي،
ولا أظهر لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ولا إشارة ولا عبارة، ولا تكتبه
يداي، ولا ينطق به لساني وإن أضمرت خلاف ما أنطق به، أو كتبت، أو تخيلت،
أو تفكرت أو توهمت، أكون كافراً بالله وبرسله وأوليائه، وملائكته وكتبه،

(١) الرسالة المذهبية (ص: ٧٥).

(٢) هل الظاهر المراد بهم المسلمين لأنهم يؤمنون بظاهر القرآن؟

(٣) كتاب "الافتخار" لأبي يعقوب السجستاني (ص: ١٢٦)، ط. بيروت-لبنان

(٤) "تأويل الدعائم" للنعمان ج ٣ (ص: ١٠٨).

وأكون محارباً لهم، ومنكراً أمرهم، ومخالفاً قولهم، وذابحهم، وشارب دماءهم، وبريئاً منهم في الدنيا والآخرة، وخارجاً من دين الإسلام والمروءة والإيمان، والله على ما أقول شهيد" (١).

وأما محمد برهان الدين فقد اخترع لأتباعه صيغة قسم يصل طوله إلى (٣) أمتار و(٧٥ سم) بالتمام والكمال، من الصعب سردها هنا، حيث يتم أخذه من كل فرد بصورة جماعية وفي جميع المناسبات، وفيه مصادرة لكل الحقوق الآدمية منها: تطليق الرجل زوجته وتحريم تزويجه وأخذ جميع أمواله ومقاطعته فيما لو أفشى السر، ونفس الشيء يتم بالنسبة للمرأة. كتب هذا العهد بتاريخ صفر/ ١٣٧٨ هـ الموافق لعام ١٩٥٨ م، بخط طيب محمد بهائي.

وهكذا يتم الضحك على المغفلين، ويجعلونهم يخلفون بالله العظيم أن يخرجوا عن دين الإسلام، وأن يلتزموا بحفظ أسرار الباطل، ويشهدوا الله على الاستمرار في الغواية، وأداء كامل الولاء والطاعة لإبليس وجنوده، ثم يخاف هؤلاء المغفلون من الحنث بهذا العهد، ويخافون من الله في ترك معصيته والرجوع إلى الحق، لأنهم أعطوا عهد الوفاء في المروق من الدين وأتباع الطاغوت.

و- أسلوب المغالطة وتزييف الحقائق :

ولا يزال أسلوب الاستغفال سلاحاً ماضياً بيد زعماء الباطنية باعتباره هو أول ضمايرهم ورأس مالههم، إذ لا يملكون بغيره وسيلة لتحقيق ما يصبون إليه من بذر لأفكار الهدم التي تنتهي بالانحراف عن الدين.

(١) أربع رسائل إسماعيلية (الرسالة الثالثة) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور "لشمس الدين بن يعقوب الفارسي الإسماعيلي" (ص: ٥٤-٥٥) تحقيق د/ عارف تامر - ط منشورات دار المكتبة.

وكثيراً ما نجد من عوام البهرة مخدوعين بدعوى أملاها عليهم زعماءهم، وعمدوا فيها إلى أسلوب المغالطة، وقلب أوجه الحقائق مستغلين جهل هؤلاء العوام، الذين يعيشون في عزلة إجبارية فرضها عليهم المنتفعون منهم.

من تلك الأباطيل مثلاً: أن عوامهم عندما يلمسون حرب المجتمع من حولهم ضدهم لما يقومون به من الممارسات الشركية، عندما يلمسون ذلك النكير والسخط الشامل من الناس، تتعاضم في نفوسهم حجم العزلة والقطيعة، وربما قادم ذلك إلى الارتياب في سلامة مسلكهم وحقيقة ما هم عليه.

في حين لا يجد زعماءهم في تلك الحملات سوى فرصة سانحة للتماذي في الإغواء والتضليل فيقولون لأتباعهم: بشراكم أيها المؤمنون، إن ما تجدونه من حرب ضدكم، والإجماع على شتمكم وسبكم هو دليل فلاحكم وتأكيد بنجاحكم من النار، فأنتم الفرقة الناجية التي تحدث عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة".

ثم يزينون لهم الأمر، ويقولون: إن أبرز سمات هذه الفرقة أنها تكون محاربة بين الناس باعتبارها محسودة على استقلالها بالنجاة والفوز.

وهم بهذا يغشون أتباعهم ويكذبون عليهم من عدة وجوه:

الوجه الأول:

ليس بصحيح أن الفرقة الناجية يجب أن تكون محاربة ومضطهدة من الناس كعلامة من علاماتها.

الوجه الثاني:

أن نهاية الحديث الوارد، ينفي قطعياً أن يكون المراد بالفرقة الناجية: فرقة كالفرقة الإسماعيلية.

تأمل في الحديث: "وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي رواية: "من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي" أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فهل الفرقة الإسماعيلية داخلة ضمن جماعة المسلمين؟ وهل هم يحدون حدو محمد صلى الله عليه وسلم، ويتهجون نهج السلف من الصحابة؟

والذي بقي على نهج النبي وأصحابه إنما هم جماعة المسلمين، وهم كل من سار على نهجه واستن بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وأياً كانت أسماؤهم أو تفرعت مذاهبهم الاجتهادية في الفروع، وأما الباطنيون فحظهم الاعتقادي جاء من الفكر القداحي الوثني، لا عن الرسول وأصحابه.

الوجه الثالث:

أن راوي الحديث هو أحد الصحابة الذي يوسعه الباطنيون شتماً ولعناً، ويحكموا بنفاقه وكفره، ذلك هو أبو هريرة -رضي الله عنه- فكيف أصبح لدى الباطنية في هذا الحديث عادلاً وصالحاً للاستدلال بروايته؟ فهذا من التلون الذي يشير إلى اهتزاز الفكر واضطراب المعتقد، وعدم المصادقية في كل شيء.

ومثل هذا الحديث أحاديث، أخرى تشبّت بها زعماء الفكر الباطني، لأنها بنظرهم تعينهم على خداع العامة، رغم أنها مروية كذلك عن أبي هريرة أو عائشة أو عبدالله بن عمر أو غيرهم من المغضوب عليهم -عند الباطنيين- والمهم: الغاية تبرر الوسيلة.

خلاصة الفكر الإسماعيلي ومصدره

أولاً: تأثره بالفلسفات الوثنية القديمة :

إذا أردت أن تعيد الأشياء إلى أصولها في الفكر الإسماعيلي، فستجد نفسك أمام جملة من الاسقاطات النظرية، ومزيج من الفلسفات الوثنية السحيقة، التي أخذت من كل تصور أغرب ما فيه، وأصدق وصف ينبغي أن نطلقه على المنظرين الإسماعيليين هو وصف الفلاسفة، أو بالأصح نساخ الفكر الفلسفي القديم، فلا تعدو أفكارهم عن الفكر اليوناني والهندوسي والمجوسي، وغيره.

وإن كان هناك من جديد، فليس سوى محاولتهم تطويع الإسلام لتلك الفلسفات، ثم توظيف كل ذلك في النهاية لصالح مخططاتهم الرامية لزعزعة الدين الإسلامي وتلويث منابعه.

فهم -أي: هؤلاء المنظرين- غرباء عن الإسلام، وفكرهم فكر وافد، وفلسفة طارئة على الدين.

يقول الإسماعيلي الدكتور/ عارف تامر، في علماء المذهب الإسماعيلي: "فهم جميعهم من أصحاب العلم والفلسفة والمنطق الذين نهلوا من ينابيع المدرسة اليونانية الفلسفية والمشائية، وما خلفه أرسطو، وأفلاطون، وأفلاطين، وفيثاغورس، وحكماء الأسكندرية، واستخدموها للتعبير عن تعاليمهم الدينية!!"^(١).

ومما أخذوه من الفكر الهندوسي والبوذي هو نظرية الحلول والتناسخ أو النسخ والمسح، فأما النسح فكما يعرفه الدكتور الإسماعيلي/ مصطفى غالب: هو انتقال روح الإنسان بعد الموت إلى إنسان آخر.

(١) ينظر "تاريخ الإسماعيلية" لعارف تامر، ج ٤ (ص: ١٥١) ط. رياض الريس للكتب والنشر لندن- قبرص.

"أي أن الإنسان فور مفارقة روح جسده، وقبل أن يدفن ذلك الجسد، أو يحرق تتقمّص تلك الروح جسداً آخر"^(١).

فإن كان صاحب تلك الروح إنساناً خيراً ملتزماً بتعاليم المذهب فروحه- كما يقولون- تحل في جسد طيب زكي، وإن كانت تلك الروح شريرة انتقلت إلى جسد خسيس، وفي ذلك يقولون: إن الله خلق للعصاة سبعة أبدان يترددون فيها ثم ينقلون إلى غيرها.

وأما المسخ كما يقول الدكتور/ مصطفى غالب: فيعني انتقال روح الإنسان بعد الموت إلى حيوان أو نبات أو معدن من المعادن بحسب اكتساب تلك الروح عندما كانت في عالم الكون والفساد، وهذا يعني بالنسبة لأهل الحق (أي: الإسماعيليين) الخروج عن الدعوة إن كان من أبنائها ومخالفة تعاليم الإمام وحدوده الذين ينوبون عنه في جزائر الأرض المعروفة لدى أهل الحق"^(٢).

ومن أرسطو، أخذوا نظرية ما يسمى بالحقيقة الأولى أو العقل الأول، وأما فلسفتهم للمعاد واليوم الآخر فقد أخذوها من الهندوسية والمانوية التي تتلخص في انتصار النور على الظلام أو الشر على الخير في نهاية الدور، والقيامة في الإسماعيلية تعني: قيام "القائم" وهو الإمام المستور.

ويكون ظهوره لضرب أعناق المخالفين أي المسلمين، وإبادة الأقسام المخالفة للدعوة، ويشعل فيهم عذاب سعيره ونار غضبه ويكون هو المراد بجهنم في الإسلام، وأما اللجنة فهي عندهم ما ينشره "القائم" على أهل الدعوة من السعادة والنعيم

(١) من كتاب "الهفت الشريف" للمفضل الجعفي، (ص:٢٦)، ط دار الأندلس، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.

(٢) من كتابه "مفاتيح المعرفة" (ص:٩١).

والسياسة الحكيمة ورفع أعباء التكليف عنهم إلى آخر ذلك، ولا يعني ذلك نهاية الكون أو أن الأرض ستبدل غير الأرض، كما يفهم المسلمون من دينهم.

والخلاصة: أن مذهبهم شتات من أفكار ونظريات متباينة، فما تركوا ديناً، - كما قال مصطفى غالب-، ولا نظرية سواء من الديانات السماوية أو الأرضية إلا وأفسحوا له مجالاً في مذهبهم أحاطوه بعنايتهم واهتموا به كأشد ما يكون الاهتمام.

وربما وجد الإسماعيليون في هذا الخليط الفكري المتباين العجيب، مدعاة للفخر والاعتزاز، لأنهم لا يمثلون الديانة الإسلامية ولا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية، ولا البوذية، ولا الهندوسية، بل يمثلون كل الديانات السماوية والأرضية على حد سواء.

مهما تباينت، وتشاكلت، لأنها في نظر المفكرين الإسماعيليين تؤدي جميعها إلى طريق الهدى والتقى والمثل العليا، بما في ذلك عبادة البقر، والشياطين، والحجر والشجر... وغيرها.

يقول الكاتب الإسماعيلي الدكتور/ مصطفى غالب: "ومهما تعددت الطرق واختلفت المسالك، وتنوعت الدروب، فالأديان كلها مهما تباينت عقائدها، وتنوعت مذاهبها تؤدي إلى طريق واحد مستقيم، ويوصل الإنسان إلى الكمال المطلق، والمهدف الأمل"^(١).

ويقول: "صاغ جماعة أهل الحق (يقصد الإسماعيليين) نظريتهم في الشمول وجعلوها تشمل كل المذاهب والأديان، ضمن برامج عقلانية تضم تحت لوائها

(١) كتاب "مفاتيح المعرفة" لمصطفى غالب، (ص: ٢٦٣)، ط. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

ممثلي جميع الأمم، وجميع الآراء، والعقائد الدينية، ووقفوا بين عقيدتهم وكافة الأديان السماوية"^(١).

وفيه يضيف: "كما شملت عقيدتهم التوحيدية (أي: عقيدة الإسماعيلية) التي وحدت كافة الديانات في دين واحد وكافة العقائد التي اعتقدها أبناء البشر منذ البدء وحتى المعاد الأخير، وانصهرت في بوتقتهم العقلانية الروحانية الفاعلة كافة عقول عالم الأرواح، والآباء، والأمهات، من الأفلاك والكواكب"^(٢).

ثانياً: دور الفرس وفلاسفة العجم في صياغته :

عندما تجتهد في التفتيش عن الأصابع التي أسست لهذا المذهب، ستجد أول البذرة من هذه العقيدة، قد ألقنتها أيادي مجهولة في رسائل ومجلدات، مثل رسائل (إخوان الصفا)^(٣) التي وضعت المنطلقات الأولى للفكر الإسماعيلي، والتي من المرجح أن يكون أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح هو الذي قام بتأليفها، وأوهم الناس أنها مدونه من أكثر من واحد، وبقلم أكثر من شخص..

وليس هذا مجرد استنتاج بل هو ما رجحه بعض دعاة الإسماعيلية أنفسهم كالداعي إدريس عماد الدين، الذي قال: "فقام الإمام أحمد بن عبدالله صلوات الله عليه بأمر الله ووصيه، وهو الثاني من الخلفاء، وحجته عبدالله بن ميمون، وأحمد بن عبدالله ممثل النطفة في دورهم مقابل لنوح ثاني النطقاء، واجد الحسين بن علي ثاني الأئمة، فنشر العلوم ظاهراً وباطناً، وصفح الرسائل وجعلها على العلوم أربعة،

(١) نفس المصدر (ص: ٢٧٥) .

(٢) نفسه (ص: ٧٢٧) .

(٣) هذه الرسائل خليط من فلسفات متباينة، كتبت بأكثر من قلم، ويعتبرها طلائع الباطنية والحدائث من بدائع الفكر والفلسفة، وهذا صحيح ولكن في الخرافة والخزعبلات.

ثم جعلها ثلاثاً وخمسين رسالة، شاهدة له ودالة عليه، لأن اسمه بحساب الحمل ثلاث وخمسون^(١).

إذاً فقد قام أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح، بنشر الأفكار المجوسية والفلسفات الوثنية ظاهراً وباطناً، ووضع الرسائل الطويلة المشهورة والمجهولة التي أطلق عليها اسم (إخوان الصفا وخلان الوفاء).

فما لبثت هذه الرسائل القداحية أن أصبحت لدى الفلاسفة الإسماعيلية، قرآناً بدل القرآن والأجدر بالعناية، وصارت قرآن الأمة عندهم بينما القرآن الكريم قرآن العامة.

يقول المؤلف الإسماعيلي الدكتور/ حسين الهمداني: "إن الإسماعيلية يرون القرآن الكريم كتاب العامة، ويرون الرسائل كتاب الأمة"^(٢).

ومن رسائل إخوان الصفا أخذ الفلاسفة الفرس فلسفاتهم الوثنية، وكما يقول مصطفى غالب: "وهذه الفلسفة هي بالحقيقة الفلسفة الإسماعيلية التي بذرت بذورها إخوان الصفا"^(٣).

وهذه نخبة من الفلاسفة العجم الذين نظروا للإسماعيليين فكرهم ودينهم :

وستجد العيلوم الأكبر الفلسفي الإسماعيلي، (أحمد حميد الدين الكرمانى الفارسى) هو الامتداد الفكرى لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، والذي بدأ من النقطة التي انتهى عندها أسلافه وألف للإسماعيلية كتابه (راحة العقل)، فصار هذا الكتاب أحد أعمدة الفكر الإسماعيلي، وصار صاحبه علم من الأعلام الكبار الذي

(١) "الأعلام الإسماعيلية" لمصطفى غالب (ص: ١٣٤).

(٢) "الأعلام الإسماعيلية" لمصطفى غالب (ص: ١٣٤).

(٣) نفس المصدر (ص: ١٣٥).

يعترف بفتوحاته المعرفية وإبداعاته الفلسفية، كل الدعاة والمفكرين من أبناء هذه الطائفة.

يقول المؤرخ الإسماعيلي إدريس/ عماد الدين في "عيون الأخبار" المخطوط:
"هو أساس الدعوة التي عليه عمادها، وبه علا واستقام منارها، وبه استبان
المشكلات وانفرجت المعضلات"^(١).

ويصفه الداعي السوري نور الدين أحمد في كتابه (فصول وأخبار)، فقال: "لو
أن الدعوة الإسماعيلية لم تنتج غير الكرمانى لكفاها فخراً ومجداً وكان ذلك
كافياً"^(٢).

وقد ترك الكرمانى إلى جانب راحة العقل أكثر من أربعين كتاباً ورسالة في
الفكر الباطنى.

والكرمانى: نسبة إلى كرمان من بلاد ما وراء النهر ويصادفك إلى جانب
الكرمانى مداميك آخرون من فلاسفة العجم الكبار الإسماعيليين، الذين تحلوا
بالجرأة على الطرح والادعاء، من مثل:-

- أبو يعقوب بن إسحاق السجستاني، الملقب بدندان، تصل مؤلفاته إلى
نحو ٢٨ مؤلفاً في العقائد الباطنية، قتل سنة ٢٣١هـ

- أبو عبدالله النسفى البردغى، من أهم كتبه (المحصل)، (أصول الشرائع)،
(الدعوة المنجية) .

وهو من بلاد ما وراء النهر، قتل عام ٢٣١هـ .

(١) "الأعلام الإسماعيلية" لمصطفى غالب (ص:٩٩) .

(٢) نقلاً عن كتاب "الحركات الباطنية" لمصطفى غالب (ص:٥١) .

- أبو حاتم الرازي :

ولد بناحية قرية من بلاد الري، إحدى المدن ببلاد الديلم، وهو غير الطبيب محمد بن زكريا الرازي المتوفى ٣٢٠هـ.

من كتب أبي حاتم (علام النبوة)، (الإصلاح)، (الجامع)، (الزينة)، (الرجعة) (ت: ٣٢٢هـ)، وكلها محشوة بالأفكار الجوسية والهندوسية وتعاليم بوذا وغيرهما .

- يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون كلس :

كان يهودياً، فتظاهر باعتناق الإسلام، ودخل في المذهب الباطني.

أشهر كتبه: (القراءات)، (الأبدان وصلاتها)، (كتاب في الأديان)، كتاب (الرسالة الوزيرية)، (مناسك الحج الكبير).

- هبة الله بن أبي عمران بن موسى بن داود الشيرازي :

المولود عام ٣٩٠هـ من فارس مدينة شيراز، وقد اشتهر بالمؤيد في الدين، وقد نيفت كتبه على الستة عشر كتاباً، ويعتبر المؤيد في الدين أحد أساتذة الدعاة اليمنيين، أصحاب التصانيف الإسماعيلية، يقول الدكتور/ حسين الهمداني :

"وكان المؤيد كثير التأليف، ووصلت مؤلفاته كلها أو معظمها إلى اليمن، واهتم علماء اليمن بها اهتماماً بالغاً، لأنها ذكرت كثيراً واعتمد في مباحث اليمنيين، وقد ذكر صاحب (كنز الولد) المؤيد أكثر من أربعين مرة مقتبساً من مجالسه ومناجاته وشعره، وصاحب كتاب (الأنوار اللطيفة) ذكر (المؤيد) ثلاثين مرة، وكان اليمنيون قريبي العهد "بالمؤيد" واتصل به شيخهم القاضي "ملك" اتصالاً مباشراً وأخذ عنه^(١) .

(١) انظر كتاب "الصليحيون" (ص: ٢٦٥) .

- شهريار بن حسن:

من علماء الباطنية في فارس وكرمان، التحق بالدولة الصليحية في عهد الملك الصليحي المكرم، وله بصماته في الفكر الإسماعيلي، وتأثيره على علماء الباطنية في اليمن، أهم كتبه: "الرسالة".

- نصير الدين الطوسي :

ولد في مدينة طوس (٥٩٧هـ)، ترك ستة وخمسين مؤلفاً .

- فخر الدين الرازي :

ولد في مدينة الري، وله ٣٣ مؤلفاً في العقائد الإسماعيلية.

فكم عربي من بين هؤلاء؟ وكم علوي هاشمي فيهم؟

وعن طريق هؤلاء دخلت الكثير من الفلسفات، التي تتناقض مع جوهر الإسلام، وظهرت الكثير من الشبه، والأفكار الإلحادية، والفرق الضالة والمنحرفة، وأعطوا الفلاسفة درجة عظيمة من المكانة العلمية، وأصبحوا في نظرهم أعلى مستوى من الأنبياء والرسول، ولم يشترطوا فيهم الالتزام بالإسلام أو التبخر فيه، بل عندهم أن الرجل الكامل العالم الخبير المستبصر - كما جاء في رسائل إخوان الصفاء- إنما هو الفارسي النسبة العربي الدين، العراقي الآداب، العبراني المخبر (أي: اليهودي)، المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة^(١).

(١) من كتاب "الرسائل" ج٢- (ص: ٦٣١).

"إذا جادك الزمان بفرصة تطلع فيها على أحاديث الشيعة وكتبهم ومجلداتهم الطويلة المنسوبة إلى أنبيائهم أي عبد الله وغيرهم من الأنبياء الذين لا حد لهم ولا عد، وجدت أي حصيلة جمعت لحاطب ليل، ألفت بين المفترق، وفرقت بين المؤتلف، وأسقطت الكثير من الحرافات، التي لا تأتي حتى على السنة العجائز، لما فيها-

فهؤلاء الأعلام الإسماعيليين الأعاجم، هم الطلائع التي ظهرت على أيديهم الفتوحات الفلسفية الباطنية، وأول من شقوا الطريق إلى غابات الفكر المجهولة والمهجورة، فطوعوا عويصها، واستأنسوا وحشيتها، وأحيوا ميتها، وصاروا يستلمون من الديانات السابقة، والفلسفات القديمة المنثرة ديناً جديداً غير معهود ولا مسبوق، على أنهم قد زودوه بوصلات تليفقية من أحاديث نسبوها كذبا وزوراً إلى الأئمة الأطهار من آل البيت كالإمام علي بن أبي طالب، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق رضي الله عنهم أجمعين، فإذا اعتاصت مسألة عقلية عليهم تخلصوا منها بقولهم: قال الإمام علي، قال محمد الباقر أبو عبدالله، حدث الصادق، دون سند معلوم ولا حجة مضمونة.

أما دور الدعاة العرب في المذهب الإسماعيلي كالقاضي النعمان، والحامدي، وعماد الدين إدريس، وغيرهم فقد توقف عند نقل الأمانة، وأمانة النقل، فكانوا الحفظة الأمانة لتراث الفكر الفارسي واليوناني والهندوسي وغيره، واستمروا كتلاميذ أوفياء لأساتذتهم من الفرس والعراق وبلاد ما وراء النهر، يدورون في فلك إنتاجهم الفلسفية من خلال النقل الحرقي أو الاقتباس أو الشرح أو التعليق، وغير ذلك.

=من تناقضات مضحكة، وحديثي هنا عن الجعفرية التي قولت لها أحاديث بلا قالب رغم حرص أتباعها على أن يكونوا أكثر عقلانية من الباطنية الإسماعيلية.

ثالثاً: من مظاهر الاختلاف العقائدي بين الإسماعيلية والإسلام :

من خلال ما رأينا، نجد المفكرين الإسماعيليين قد خرجوا بدين مسموح الهوية، فخلاصة نتائجهم: فلسفات متضاربة، وشعذات، وحسابات فلكية، وتوافقات رياضية، لا تدلك على منطق سقراط، ولا تأملات أفلاطون، لأنهم جمعوا بين المتناقضات، وصاروا كحاطب ليل، لا يباليون على أي شيء وقعت أيديهم، ولا من أي ناحية أتى مكتسبهم، فوقعوا جراء ذلك في تناقضات، قادتهم إلى ذلك النوع من التمزق العضوي والفكري الواضح.

١- النبي الحقيقي عند الإسماعيليين:

ومقارنة بسيطة بين الإسماعيلية وبعض قواعد الإسلام الصحيحة، ستلمس قدر المسافة التي أصبحت تفصل بين الإسماعيلية كعقيدة وفكر، وبين الإسلام الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم. وقد وجدت فيما سبق أن الصلاة عندهم أصبحت غير الصلاة، والزكاة غير الزكاة الواجبة في الإسلام... الخ بل والرسول غير الرسول لأنهم يعتبرون أن (محمد بن إسماعيل) هو سابع النطقاء، والسابع من النطقاء عندهم يأتي ينسخ شريعة من قبله، والسته النطقاء الذين سبقوه المراد بهم محمد والحسين، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وإسماعيل ابن جعفر، ثم الناطق السابع: محمد بن إسماعيل بن جعفر، ويعد الإمام (علي) النبي الصامت صاحب التأويل، وبعد محمد بن إسماعيل عد ستة أئمة ليأتي بعدهم السابع وهو (ناطق الدور) الذي ينسخ شريعة من قبله وهو المعز لدين الله الفاطمي، يقول فيه مصطفى غالب: "هو سابع الأسبوعين، أي ناطق الدور، لأن كل سابع هو ناطق الدور، وصاحب التشريع ولهذا أطلق عليه ابن هاني الأندلسي لقب الرسالة، وشبهه بمحمد لأنه ناطق مثله فقال:

"وكأنما أنت النبي محمد.. وكأنما أنصارك الأنصار"^(١).

وهلم جرأ، ولا يلتفتون إلى قول الله تعالى: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)

(الأحزاب: ٤٠).

٢- القرآن الحقيقي في عقيدتهم :

القرآن أصبح عندهم غير القرآن الذي نفهمه المنزل من عند الله تعالى، فالقرآن الحقيقي هو الذي (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعة: ٧٩)، ويقولون: أن هذا القرآن الذي بأيدينا ليس منزله عن التدنيس والرمي في الشوارع، ومعنى المطهرون: أي الأئمة في تأويلهم.

وعند البحث ستجد أن الإسماعيلية أصبح لها أكثر من قرآن، منها :

١- التأويل الباطن للقرآن الكريم الذي يمثل عندهم علم الحقائق، وقد سبق

شرح ذلك.

٢- "كتاب إخوان الصفا" الذي يسمونه قرآن الأمة المعتمد عليه في

تصوراتهم وعقائدهم، أما القرآن الكريم فيسمونه قرآن العامة، وهو أقل منزلة لأنه فقط خاص بعوام الناس وجهالهم لغرض تعلم القراءة والتسلية ومدارات المسلمين.

يقول الدكتور/ حسين الهمداني في مقال منشور: (الإسماعيليون يرون القرآن

كتاب العامة، ويرون الرسائل كتاب الأمة^(٢))، أي رسائل أخوان الصفا وخلان

الوفاء.

(١) "الأعلام الإسماعيلية" ترجمة المعز (ص: ٥٤١).

(٢) نقلاً عن كتاب "الأعلام الإسماعيلية" (ص: ١٣٤) لمصطفى غالب

وفي كتابه الصليحيون يقول: "فأخذ علماء اليمن (يعني: الإسماعيليين) بعد ذلك اتجاه الحامدي في درس "الرسائل" و"الجامعة" وفي اعتبارهم إياها بمثابة القرآن بعد القرآن^(١).

٣- كتاب "النصيحة" وهو قرآن العصر عند البهرة الداودية، ومؤلفه الإمام المطلق الواحد والخمسين طاهر سيف الدين يقول الباحث/ عبدالله الراشد: "إن أفراد الطائفة (يعني: البهرة) يحترمون القرآن الكريم ظاهرياً، ويؤولون آياته الكرمات ليستخرجوا منها معاني ما أنزل الله بها من سلطان، ولهم كتاب آخر يحظى بتقديسهم جميعاً وهو كتاب النصيحة لمؤلفه الداعي الحادي والخمسين (طاهر سيف الدين) ويعتبرونه قرآنهم"^(٢).

٤- وهناك ما يسمونه بقرآن "فاطمة" وهو كتاب "الجفر" ويقولون: "إن هذا الكتاب تضمن سورة الولاية التي أسقطها الصحابة من القرآن، لأنها خاصة بولاية علي، وفيه علم الأولين والآخرين، اختص الله به آل محمد"^(٣).

وقد تأثروا في هذا بالفكر المسيحي، الذي تعددت فيه الأناجيل، حتى وصل إلى أربعين ثم قالوا بأربعة أناجيل، وهذا التأثير جاء بفضل انفتاح (مذهب الحق) الذي أخذ من كل بستان زهرة ومن كل دين بذرة فأصبح يمثل دين الإسلام والنصرانية والمجوسية واليهودية... الخ، كما أشار إلى ذلك الإسماعيلي مصطفى غالب.

(١) انظر (ص: ٢٧٢).

(٢) راجع مجلة النور اليمينية في عددها (٥٦) نوفمبر ١٩٩٥م

(٣) نفس الأمر ينسحب على المذهب الاثنا عشري الإيراني حتى أنهم لا يولون القرآن الكريم أي اهتمام إلا ككتاب عادي ولا يحفظونه لأبنائهم إلا (تقية) إن وجد، وربما تجد أكبر عمامة لا تحفظ ثلاثين آية متتالية، لأنهم منتظرون القرآن الذي في خزانة أهل السرّ وسنة قرآن فاطمة!!!

رابعاً: مخالفتهم الصريحة لنصوص القرآن والسنة :

ومن نماذج الانحراف الإسماعيلي عن الإسلام وأثره في مناقضتهم الصريحة لنصوص القرآن، حيث نجد الله تعالى يصف نفسه ويقول: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الحشر: ٢٢-٢٤).

ويقول سبحانه: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(الحديد: ٣) .

بينما يصف الفكر الإسماعيلي الإمام علي -كرم الله وجهه- بصفات الألوهية وينسبون كذباً إلى الإمام علي أنه قال -وهو على المنبر-: "أنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا بكل شي عليم، وأنا الذي رفعت سماءها، وأنا الذي دحوت أرضها، وأنا الذي أنبت أشجارها، وأنا الذي أجريت أنهارها"^(١) .

ويقول الداعي المطلق/ إدريس عماد الدين، في الإمام علي أنه قال عن نفسه: "أنا أحبي وأميت، وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمة والأبرص، وأنبتكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم"^(٢) .

- والله يقول: (إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ* طَعَامُ الْأَيْمِ* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) (الدخان: ٤٣-٤٥) .

(١) "المجالس المؤيدية" المؤيد الشيرازي (ص: ١٤٧) وانظر "كثر الولد" للحامدي (ص: ٢٢٠) .

(٢) "زهر المعاني" للداعي إدريس (ص: ٧٧) من (المنتخب) لا يوانوف .

ويقول الإسماعيليون: "شجرة الزقوم: الانتساب إلى الأضواء والاجتناء من ثمرة الكفر والعناد"^(١)

- ويقول تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: ١٨٥).

ويقول الفكر الإسماعيلي: "الوعد بالثواب للمحسنين والعقاب للمخالفين السيئين (من المسائل السرية، والعلوم الغامضة) التي أكثر فيها العلماء الجدل والنقاش، وتحيرت في أمرهما عقول كثير من الناس، فمنهم من يعتقد بأن الثواب والعقاب في الدنيا قبل الممات، ومنهم من يرى أنهما يكونان في الآخرة، فلا يعرفونها ولا يقرون بها باعتبارهما من الأمور الغيبية الغير معروفة للإنسان العادي"^(٢).

نعم، اليوم الآخر لدى الإسماعيليين، معضلة من المعضلات، وقضية حارت عندها عقولهم، أما لدى المسلمون فلا إشكال، لأنهم أخذوا دينهم عن الله تعالى. ويقول تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء: ٥٦).

ويسخر الفكر الإسماعيلي من ذلك، فيقول: "كلما احترقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً، عادت فيها الرطوبة والدم لتحترق من جديد، هذا الاعتقاد يؤلم النفس، ويجعل الإنسان يسيء الظن برحمة الله وحنانه وعفوه وغفرانه"^(٣).

(١) "الدستور ودعوة المؤمنين للحضور" لشمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي (ص: ٦٨) من أربع رسائل إسماعيلية، ط. مكتبة الحياة بيروت.

(٢) "مفاتيح المعرفة" لمصطفى غالب (ص: ١٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ١٢٧).

ويوم القيامة والجنة والنار مجال للتندر عند الإسماعيليين: "إذا كان أمر القيامة على ما وصفتموه، وخلد الأبرار والفجار في النعيم والجحيم، فماذا بقي من ربوبيته؟

وفي أي شيء يستعمل قدرته؟^(١).

والله يقول: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣٣).

وفي الفكر الإسماعيلي أن خديجة هي التي سلمت النبوة لمحمد، وفي ذلك يقول إبراهيم الخامدي: "إنه (أي: محمد) لما تسلّم من خديجة رتبة النبوة والرسالة في الظاهر المحض، الذي هو حظ النطقاء قبل إسلام علي بأمر الله له ووحيه أن يستكمل محمداً لعلّي رتبة الوصاية والإمامة ويستودعها فيهم له، فشرحت خديجة عليه ما أمرت، وبينت له أنه وصيه ووارث علمه، والذي تجتمع إليه المراتب، وهو مستقر الباطن ومركزه، وأساس الدين، وأخذت عليه عهد الكفالة والوفاء بالوديعة لوصيته من بعده لأنه مقام النور والحجاب المشهور، والباب المستور، الذي اسمه في العصور والدهور، نهاية النهايات، وغاية الغايات... الخ"^(٢).

وفيهم المسلمون من كتاب ربهم، ومن هدي نبينهم أن الله وحده هو الذي فرض الصلاة، وأوجب الزكاة، وعلمه الله -بواسطة جبريل- الوضوء وفروض الصلاة، ونحو ذلك، بينما في الفكر الباطني نجد أن الذي علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أركان الدين إنما هم الأحبار والقسس والرهبان من اليهود والنصارى والمتحرفين.

(١) كتاب "الافتخار" لأبي يعقوب السجستاني (ص: ٨٢) ط. بيروت

(٢) "كتر الولد" (ص: ٢١٧، ٢١٦).

انظر ما يقوله إبراهيم الحامدي الذي نسب كذباً إلى رسول الله أنه قال: تسلمت من خمسه، وهو علم ما تسلمه من مراتب النطقاء الخمسة من قبله، فأول من وقع في يده إلى ابن كعب، ورباه بحقيقة الوصاية، التي هي حظ آدم، فعلمها وقام بها، ثم رفعه إلى زيد بن عمرو فرباه بمعاني الطهارة التي هي حظ نوح، فعلمها وقام بها، ثم رفعه إلى عمرو بن نفيل، فرباه بمعاني الصلوات التي هي حظ إبراهيم، فعلمها وقام بها، ثم رفعه عمرو بن نفيل إلى زيد بن أسامة، فرباه بمعاني الزكاة التي هي حظ موسى فعلمها وقام بها، ثم رفعه إلى بحيرا الراهب، فرباه بمعاني الصيام الذي هو حظ عيسى فعلمها وقام بها، ثم رفعه إلى حجة صاحب الوقت (التي هي خديجة بنت خويلد)، وذلك بعد مزواجه لها، وقد صار ماهراً في الشرائع ورموزها والمراد بها، فرفعت خديجة منزلته، وعلت رتبته في معاني الحج وفرائضه وسننه، الذي هو حظه وقسمه من دعائم الدين.

ثم أمرها إمام الوقت بتسليم وديعته إليه من الرسالة والنبوة، فهؤلاء النطقاء الخمسة الذين تسلم منهم، والخمسة التي هي بينه وبين ربه -أي: بينه وبين إمام زمانه- مربيه وكفيله، فهم: أبي بن كعب، وزيد بن عمرو، وعمرو بن نفيل، وزيد بن أسامة وبحيرا الراهب^(١).

أما المراد بالرب وإمام الزمان الذي أوحى إلى محمد، فهو أبو طالب، يقول الحامدي: "وقوله -أي: المؤيد الشيرازي- بأرباب أدوار تقدمت فيها الأنبياء والأسباب، يدل على أن هذه الأرباب المتقدمة على الأنبياء هم الذين أقاموهم، مثل: هنيذ مقيم آدم. وهود مقيم لنوح، ومثل صالح لإبراهيم، وأدلسوسي،

(١) "كتر الولد" للحامدي الباب الحادي والعشرين (ص: ٢١٠)، أيضا (بجالس المستنصرين) (ص: ٢٥) بتحقيق د/محمد كامل حسين ط دار الفكر العربي.

وخزيرة لعيسى، ومثل أبي طالب لمحمد صلى الله عليه وسلم. فهذا معناه في أرباب النطقاء، والأسباب هم الأوصياء والأئمة القائمون مقامهم من بعدهم وحدودهم، بيان ذلك قوله: أرباب أدوار فيها تقدمت الأنبياء والأسباب".

وتعدد الأرباب - هذا - جاء متأثراً بالعقائد الوثنية، مثل الهندوسية والبوذية

ولكنها هنا آلهة بشرية.

مسرد المراجع / من الكتب الإسماعيلية

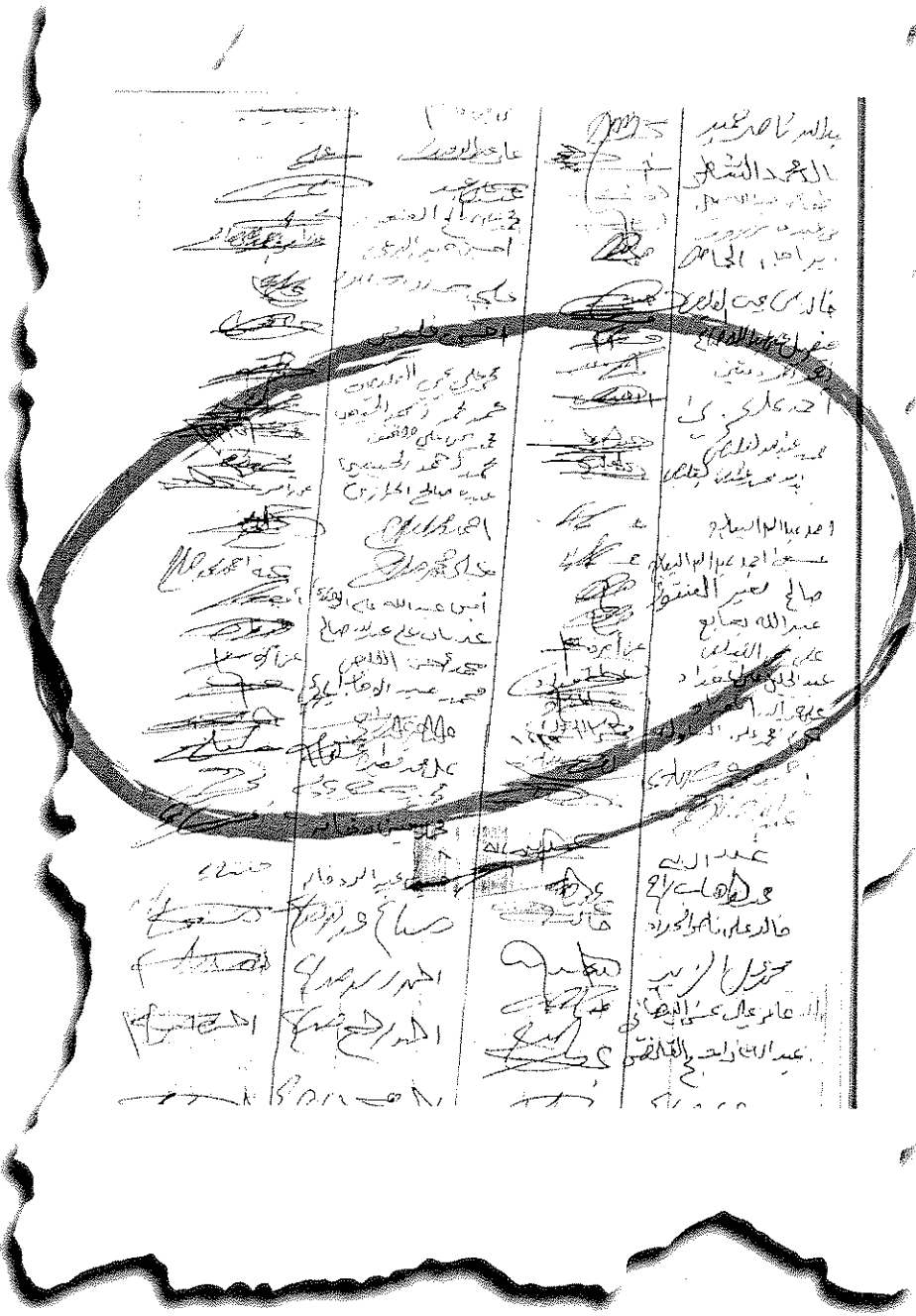
- | | |
|----------------------------|---|
| بجموعة دعاة إسماعيليين | ١- أربع رسائل إسماعيلية |
| للدكتور / مصطفى غالب | ٢- الأعلام الإسماعيلية |
| للداعي أبي يعقوب السجستاني | ٣- الافتخار |
| د/ عارف تامر | ٤- تأريخ الإسماعيلية |
| د/ مصطفى غالب | ٥- تأريخ الدعوة الإسماعيلية |
| د/ مصطفى غالب | ٦- الحركات الإسماعيلية في الإسلام |
| للقاضي النعمان | ٧- دعائم الإسلام |
| للداعي / علي بن الوليد | ٨- الذخيرة في الحقيقة |
| لمؤلفين مجهولين | ٩- رسائل إخوان الصفا |
| للداعي / إدريس عماد الدين | ١٠- زهر المعاني |
| لجعفر بن منصور اليمن | ١١- سرائر النطقاء |
| لحاتم بن إبراهيم الحامدي | ١٢- الشموس الزاهرة |
| | ١٣- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن |
| د/ حسين الهمداني اليعربي | |
| لجعفر بن منصور اليمن | ١٤- الكشف |
| لإبراهيم بن حسين الحامدي | ١٥- كنز الولد |

- ١٦- المجالس المؤيدة للمؤيد الشيرازي
١٧- المجالس والمسائرات للقاضي النعمان
١٨- المصايح في إثبات الإمامه للكرماني
١٩- مفاتيح المعرفة د/ مصطفى غالب
٢٠- المهفت الشريف للمفضل بن عمر الجعفي
- بالإضافة إلى ذلك دواوين شعرية معاصرة ورسائل ومذكرات ودستور البهرة وغير ذلك.

مراجع أخرى

- ١- الإسماعيلية عقائد ومذاهب لإحسان إلهي ظهير
- ٢- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور/ حسن إبراهيم حسن
- ٣- نظرية الإمام لدى الشيعة الاثنا عشرية لأحمد صبحي
- ٤- نهج البلاغة من أقوال وخطب الإمام علي شرح / محمد عبده
- ٥- القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام لطفه الولي

(ملحق الكتاب)
ملف أصول الوثائق
والصور



تابع وثيقة رقم ١

بلاغ و تحذير

إلى كافة مستوالي الدولة والحكومة ، ومجلس النواب والعلماء ، إلى كل من يهمه مصير هذا الوطن وسلامه عقيدته . نرفع هذا البلاغ من منطقة حراز وذلك بدافع الشعور بالمسئولية وأبرأاً للامة .

لقد ظلت منطقة حراز ولا زالت تمثل الهدف الإستراتيجي لأطماع الباطنية وذلك منذ نهاية الدولة الصليبية التي انطلق مؤسسها من جبل سمار المنيع ليستطو نفوذه وهيمته على اليمن وفرض مذهبه على سائر المذاهب ، وبنفس اساليب المكر والدهاء نجد احفاده اليوم يخططون ويخطوات بالغة الدقة والإحكام من أجل إعادة الهيمنة من جديد .

إن العقلاء والنهابين يدركون أهمية الإستفادة من دروس التاريخ ، فهذا الصليبي بدأ في بناء حلمه الكبير ، وهو فرد أعزل في وسط مقاومة حاشية من أبناء سمار ولكنه بأسلوب الخديعة والمكر ظل يكد على برائة قصده ونقاء دعوته وخلوها من أي أطماع سياسية ، في الوقت الذي ظل فيه يبحث عن التدخلات الأجنبية مقابل أخلاص العماله والولاء ، وقد نجح بالفعل في الحصول على حاجته من الرجال والعتاد من الدولة الفاطمية في مصر ، ومن ثم بسط نفوذه على سائر اليمن وفرض مذهبه على معظم مخالفيها ، إلى أن قبض الله بأنمة أعلام طهروا اليمن من رجسهم بعد ما دامع بيلة هي اليوم التي تعمل على تحقيق المعجزة الصليبية على يدها .

ومن هنا فإن درس البليغ الذي يجب الإستفادة منه هو أن إمكانيات احفاد الصليبي اليوم لبناء حلمهم تفوق إمكانيات الصليبي بما لا يقاس من الأموال والرجال والتنسيق الخارجي المشبوه . إننا وبحكم معاشرتنا لهذه الطائفة نمتلك من الأدلة والوثائق ما يكفي للتدليل على التنسيق المتكرر مع إسرائيل منذ عقد الستينات من خلال الزيارات المتكررة للمدعو السلطان محمد برهان الدين إلى تل أبيب والإرتباط بالدوائر الإستعمارية والماسونية وتكديس الأسلحة في شرقي حراز والأمن الخشنة ومحاولة الإستيلاء على القلاع النيعية في جبال حراز بحجة اكتشاف فيور لهم فيها والأزدياد المخيف للتواجد الأجنبي في المنطقة مثلاً بالهندو أتباع الطائفة بحجة الحج والزيارة وإغراق شخصيات من ذوي القوة والتفوق في الدولة بالهدايا الضيائية والعملات الصعبة والسلاسل الذهبية بهدف الحصول على الإعتراف بشرعية ممارستهم المشبوهة (وقد نجحوا في هذا للأسف) وكذا الإسهام في بناء ودعم الحزب الإشتراكي القائم على اكتافهم منذ ولادته ليكون أحد أهم أسباب التمكن .

إن بروتوكولات طائفة البهرة (الداودية) تنص على قيام دولة تنطلق من المحيط شرقي حراز زعامة رجل السلطان محمد بن هان الدين حيث تقول « وستنتهي الولاية من على كرم الله وجهه إلى محمد برهان الدين المعبود في الحق هو الإله الذي له كل شين من صلاة وصوم وزكاة وحج وكل أركان الإسلام ومنه إلى التعمير ولده الذي سيبشر به » إنه تمام الدور من آدم عليه السلام وهو الموسوم بالعظيم علي القدر سيد شباب أهل الجنة الذي سيملك الأرض وتكون بداية مطلق دعوت وهجورها من المحيط حراز « فإذا يريد مسنوقنا الحيا الله مرات ضمانهم أكثر من هذا ؟ »

إن حركات مشبوهة بسيطة حدثت في مصر لهذه الطائفة كانت كفيلاً بإيقاظ الصحافة على مختلف اتجاهاتها لشن حملة من أجل إيقاف اتباع هذه الطائفة المشبوهة عند حدها .

لقد أوشكت هذه الطائفة بحجم تصرفاتها أن تتحول إلى أقلية تعيد تعيها بعضاً على الملا وتعطي الولاية والبيعة في وضع النهار لزعماء هنود وتجمع الزكوات والجبائيات لتذهب لصالح حسابات خاصة في الخارج لغير يمينيين كل هذا يتم في بلد ينص دستور على وحدة العقيدة والإتجاه ، فتمنى بإسادة تلتقي الأقوال مع الأفعال ، واقتونا بركم متى أباح الدستور بحق الاعتقاد الوثني والترويج له على الملا ، وهل في الديمقراطية ما يعطي هذه الطائفة حق إحتلال المواقع العسكرية المحرمة والخطيرة .

إن أكثر من ثلاثة عشر عزله في حراز تقرع ناقوس الخطر وتحذر الحكومة من مغية التواطؤ مع عزلة شرقي حراز « دوة ومكارمة » التي تحولت إلى بؤرة لوثنية جديدة : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » . وقد أعذر من أنذر والله من وراء القصد ...

صاخر عن ، أعيان حراز والجبل البقظ

دفن العلوذ شريعة اول باخري ثانيه
 ليست حلة احمر كذا ولا تصوابه
 حبصوا الصلاة على الصيام واصبحت خوفايه
 حملوا الاعى وشعوه على رؤوس ثمانية
 فراه خوف رؤوسهم صلا يصح ثابته
 فوعون يحل ان يدوس على الرؤوس علابه
 لكنه خوف الحمر يعيش رجا ثابته
 حبوا العلوذ وحققوا لا ليس كذ ثابته
 ساكل احرم ان من عبوه غير ثابته
 او ان بين عروقهم يجري دم الضحايه
 كذا ولا حب الرصوف ودوحه العنانيه
 واقى بعث في الحصون عن الرعان الثانيه
 يوصي لتشييد الحصون وجعلها سلطانيه
 او ما كى العنزي ان يحض باحلى ثابته؟
 ويعود يوق بالعطاء صحتا ثابته
 حتى ينقل بينه دها وديا ثابته
 هذا الذي يوصي المأوى ويوصي الرهانيه
 او ما كاه بالها وثابته وثابته
 وهاتم تركن بانها له صحابه
 هي حرازيه الحروف ونظيها صحفانيه
 ونصيحة للثاودي ودعوة ربابيه
 ان كنت ترعب في النجاه فمسل حن الامكانيه
 سارع الى ترك الضلال وحطه في ثابته
 في... / ابو عمر

وثيقة رقم ٢

ل

المتمين
ولنا
حراز

الدمج التام غالب والدفع خسر عليه
لا داعي لعزيمكم الى غيل بين حاسد وكل ارفعوا الواصلون
لاعادة القبر فقد وصل اليها على ارضها صمان واكد لنا
ان الخروج الى صمان سيودي الى قتل لا تجد عاقبة باقله
اعاده مانتين خسر به عنا بالنسبة لبرئاد شبام حراز فامند
صدا ونتاج الموضوع بالحكم من لدينا المستوية اعلم

بعيدنا من علمه
١٤/٢/٢٩
علي
وزير الدفاع

وثيقة رقم ٤

رقم الوثيقة: ١٠٠١١١
تاريخ: ١٩٩٤
٨٤٣/٨٠
١٩٩٤/٧/٢٥

السلام عليكم

الأخ / النائب المسلم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يهدىكم وزارة الأوقاف والإرشاد توجيهاتها وتنتقل لكم التحية والتأييد في طلبكم
بشأن إعانتكم بأنه قد طال الأمد والرد بخصوص المسجد الذي فرغ بناءه طائفتم
الهيئة الاستشارية حول قيام بمرافق ما جعل الوزارة تكلف لجنة بالتحريز الميداني
الذي يقع المسجد المقترح حتى تتبين صورة واضحة لدى الوزارة والتي على أساسها
يتم التعامل مع القضية ، وقد كانت الخاتمة فاشحة على أساس ترسيم مسجد قائم قديماً
وأن التكلفة مأة مائة بالمكان ، وقد تبين لنا من خلال التقرير المرفوع من اللجنة التي
أن المكان لا يريد به مسجد قديم حتى يتم ترجمه وفقاً ما في الأمر أن هناك
قبراً صغيراً من الترميم ان يكون لأحد الجنود ان الموقع مسكوك كما تدل عليه
بعض المعالم وقد تمثيت به الطائفة المذكورة على أمل الاستيلاء على الموقع
نظراً لأهميته .

لا يوجد في المكان المخصص للمبنى كما ادعوا في طلبهم واستجابتهم
لاشأن الاستيلاء عليها لا من أجل الزينة أو العبادة أو تحقيق أهداف
أخرى .

في ضوء ذلك تم نقل ما في فنيك جهات كبيرة محتاجة لبناء مساجد ومؤسسات
والمساجد والقرى مستعدة لأن نحدد لهم المكان ونقدمهم على حسب احتياجاتهم
(في حينه) مع العلم ان الجهة المختصة لهذا المشروع (البحرين) .

وقد تم التمسك بكثيرة من المواطنين وكما نطلب من الوزارة عدم السماح بالتمسك
في ذلك المكان لعدم الحاجة اليه وأنه لا يبرر به وبه الله وإنما من أجل
الهدايا فقط من المواطنين .

والوزارة ان توضح لكم حقيقة تلك المحاولات للمبنى وما تخفى وراءها من أهداف
تأمل حكم الامارات بيهتمكم من التكلفة وفي العاقبة بالتعاون مع مسؤولي الوزارة
وعدم السماح بأن تجاوز من شأنه أحداث فتنة ويرفق لكم صورة من التقرير
ويطلب التوازي . . . والله من وراء القصد .

وزير الأوقاف والإرشاد

ر . خالد عبد الكافي الشهر
١٩٩٤/٧/٢٥

(١٥/٧/١٩٩٤م)

وثيقة رقم ٦

الرقم: ٧٧٢/٢
التاريخ: ١٤/٤/١٩٥٦
الموافق: ١٠/٩/١٩٥٥



الجمهورية العربية السورية
وزارة الدفاع
لوزين

الأخ/وزير الإدارة المحلية _____ المحترم
بعد المتحبه .

غير خاف عليكم كثرة الإلحاح المتكرر لطائفة المهجرة (مرفقة من إسماعيلية) والذي يهدف إلى تشييد مسجد في قمة (جبل شام - حران) مع العلم أنه لا يوجد في قمة الجبل أي تاطنين من السكان وتعتقد أن هذا الإلحاح المتكرر ليس ضابعه فعل الخير الذي يقصد به وجه الله من خلال تعميم دور العبادة التي نشجع انتشارها ، وربما يكون وراء ذلك أهدافا سياسية والتاريخ العابر للمنطقة (الموقع) خير شاهد على ذلك .

إن الموقع المختار الذي يراد تشييد المسجد عليه يمثل موقعا عسكريا ذو أهمية استراتيجية وأمنية لحماية وتأمين الطريق الرئيسي حافرا ومستقبلا . وكلما يمثل خطورة على الأمن لن نسمح بإنشائه هذا من جهته ومن جهة أخرى لوزارة الدفاع ليس من شأنها منح رخص بناء دور العبادة (المساجد) لأن المعنى بذلك وزارة الأوقاف .

أمل أن يكون الجانب الأمني في الموقع المذكور واضحا لديكم لأن استتباب الأمن مسؤولية الجميع وأداة تنفيذ مهمة القوات المسلحة وتقبلوا خالص التحية والتقدير .

عميد/الركن
بسم الملك عليهما السلام
وزير الدفاع

١٠/٩/٥٥

وثيقة رقم ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجمهورية العربية الفلسطينية
وزارة الدفاع والعمليات
مكتب الوزير

الرقم ٩٥ / ١٠ / ٩٠
التاريخ ٩٥ / ١٠ / ٩٠
المرقات

المحترم

الأخ / محافظ محافظة صنعاء
بعد التحية:

الموضوع: تاسين قبة جبل شيام / حراز

إشارة إلى الموضوع أعلاه .. وبناء على مذكرة الأخ / وزير الدفاع برقم (١٧٣/٢ / ١٩٢٠) بتاريخ ٩٥/٩/١٠ المتضمنة لإحاح طائفة البهرة الهادف إلى تشييد مسجد على قمة جبل شيام / حراز رغم عدم وجود سكان فيه، الأمر الذي يجعل الهدف غير مقصود به فعل الخير بتعمير دور العبادة، وأن الموضوع يكتمله أهدافاً سياسية كون التاريخ الغابر للتوقيع خير شاهد على ذلك .
بالإضافة إلى كون المكان المختار للمسجد موقعاً عسكرياً ذا أهمية إستراتيجية وأمنية لحماية الطريق والمنطقة ..

ونظراً لأن الجانب الأمني مسئولية الجميع - وكلنا يمثل خطورة على الأمن يلزم منعه، حرصاً على السلامة العامة ..

وعليه نرجو الموضوع إليكم لاتخاذ الإجراءات الأمنية والإدارية اللازمة من جانب محافظتكم ..
وتفضلوا بخالص تحياتنا

أخوكم/

وزير الإدارة المحلية

محمد حسن دهباج
٩٥ / ١٠ / ٩٠

لمكتب رئاسة الجمهورية
لرئاسة الوزراء
للأخ / وزير الدفاع
/ وزير الداخلية
/ النائب العام
/ مدير عام مديرية حراز
/ " " " " " "

مع التحية:

وثيقة رقم ٨



وزارة الداخلية

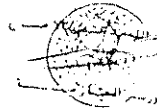
الإدارة العامة للشؤون المدنية

الرقم /
التاريخ ١١٧٧/١١/١٠
٤٤ / ١ / ١٠

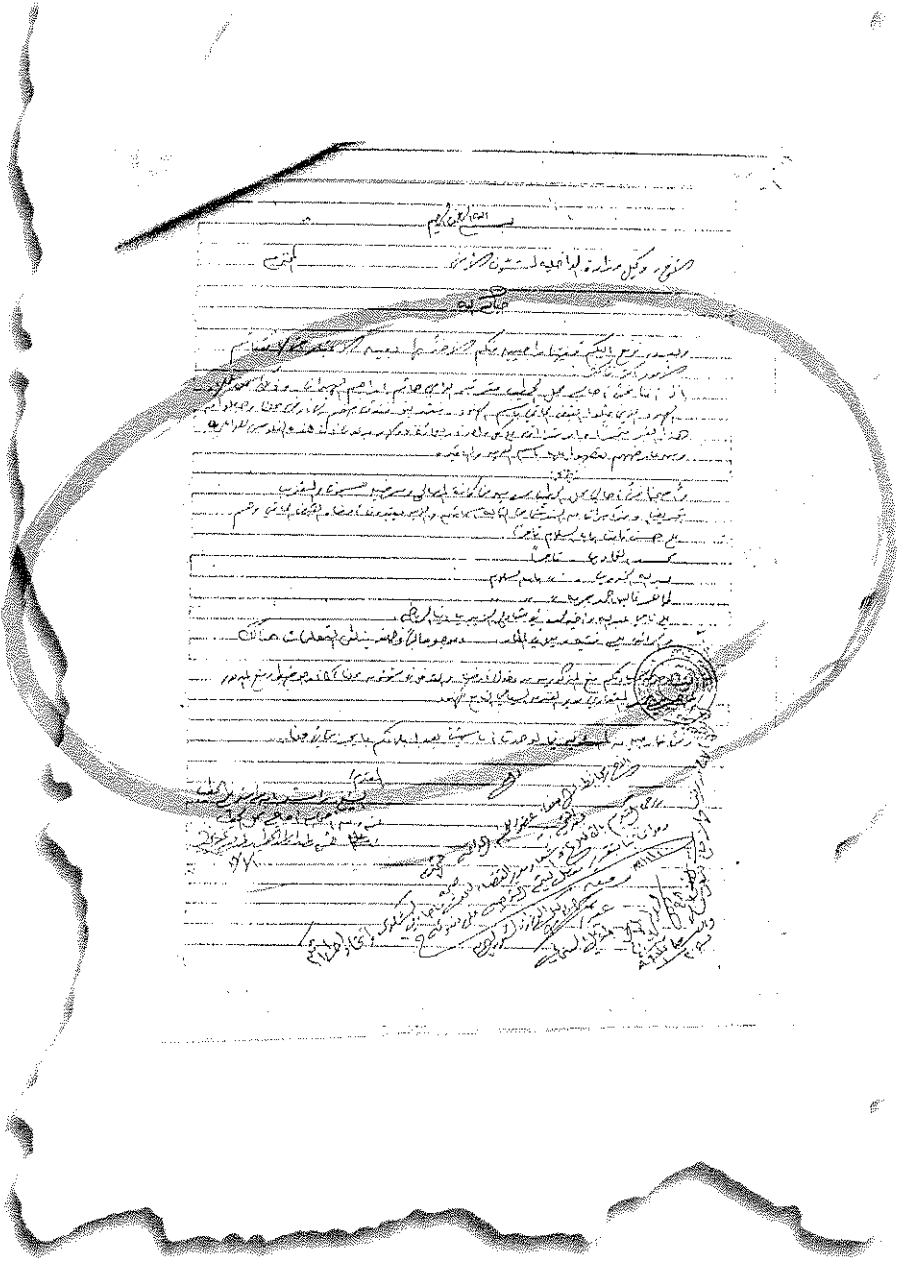
الأج / الدكتور يوسف نعم الدين
معد التسمية :-

بعدكم أن يرتفعكم إلى مجلس الوزراء في التسمية
بمسمى من الاستشارة ، أو أن الأمانة العامة
بالمستوى ، لا يتصرف جالسة بجانبه لمن يقدم
في دونهم الخريف ، وهم يتفحصون بكل حذوهم
وكما تفحصون ، فالذين يتسلف استلاس حرمهم
الاسلام ومسايرة اشاعته من المؤشرات الخارجية .

تفضلوا منادى الاستشارة ..



وثيقة رقم ١٠



وثيقة رقم ١٢

ڪوٺين پر: ۱ لکڻو ٿورن

من موضح
في خدمة الاولى الاجل، اذون دعرة الحان زاد الله على عبده واهله المظام سنة ١٣٨٩ هـ
بوسن طرف سبي عدية السلام عرض تويابته بالتمام وتمام (روبيد)
عرض ڪرون جهون عهد سيدنا طاع تاريخ

ڪوٺين ٺاهينت پر: محمود شيخ المصباح

من آوڈر ڪرنا انو مسڪمل نام انبه ابا راس:
.....
.....
.....

وثيقة رقم ۱۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الجمعية البنفسجية لموضع

ايصال استلام

رقم الايصال

حفظه الله تعالى

وصل من الاخ الكريم

للأزواج التالية

المبلغ

الجهة والاسم	ولائم الفرح او التيمم	التكاح	للبنات	العقبة	الحانة

والسلام

١٣

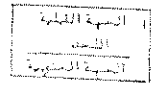
امضاء الامين

وثيقة رقم ١٤

البيت طابقي للقطعة من صانعة القبر . . . وهذا يريدكم أن تشعروا التعداد في الجانب الغربي . . .
 أن أن يكون رأس البيت نحو القبلة ووجهه إما طرح في لغته من الجانب الغربي . . . قبل
 تفهيم ما يريدكم ؟ التي بهذا القدر يريد أن توصيها بواجبكم - أم أن يريد ٢٢
 والصورة في ذلك هي تفهيم : إن أن يكون القبر كناية من أهل البيت وما عليه مائة السنين
 حرمها بالخط المستقيم كما هي :



عرب . . . أو يكون كما أريد بكم أن تفهيموه :



ليل أنتم التي ما أريد بكم فاحسبون وبنية البيت التي ناحية الغرب (جهة بيت
 القدس) . . . والجهة الله . . . ما جذء التفاسير . . . ما أعفها . . . وما يعقبا الانعاشون
 الله والله أو عمل الأصابع من الذين ما ليس فيه . . . كما إذا أنتم صانعون . . . وهل صحيح ؛
 انكم صانعون من القوار أو كمنهوا ثلاث مشات من التراب كما فعله أهل الحب النبوا ٢٢
 * وهل يدل التفسير لله والشهابيل تفهيم . . . أم ما في قول الشيخون . . . شكركم الله يا ناصر
 بتوا لئان هم السندون التفسيرات ؟

المسؤولين

الشيخ علي غالب الاحمسي وحاشائه

وثيقة رقم ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَذْكُرُوا وَأَفْتِكُوا يَا إِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ
وَارْتَدُّوْنَا إِلَى الْحَقِّ الْيَقِينِ

السلام عليكم

نحن افراد فرقة البهجة النازية التي من فرقة اسفيرة

من فرقة الاسلام وفي بجي (الهند) مركزها نحن نعرض لديكم
بعض تلك الاعمال التي يجهونا عليها سيدنا محمد برهان الدين -
و نعتقد يقينا ان هذه الاعمال ليست من الاعمال الإنسانية بل هي ان
تكون من الاعمال الاسلامية ، مع ذلك نعرضها لديكم لتفكروا
و تذكروا فيها و ترشدونا إلى الصواب -

وثيقة رقم ١٦

في الجوانب الإسلامية ويا زعماء المسلمين ويا علماء المؤمنين

الذين هم في الإسلام والذين هم في القرآن والذين هم في

من يفتنونهم بغير علم أيضاً بل يجب على أفرادها بكل الجمل لا يستطيع

أن يحكمهم بهذا فيلو يعرف لانه ابتد علينا ابتد والاخذ

• أن بكل مجمل وكل فصل يجري من سيدنا من الحق خطا

• وهو عين القرآن الجيد والحديث الشريف فلا يجوز

إني شك فيه و محرم أن يسئل فيه أحد أي سؤال

فإن حضرنا لديكم مستغنين استغاة المظلومين المهوورين موقنين

ان تفكروا في امرنا هذا وان ترشدونا الى ما هو عين الصواب

هل نحن مضيون في هذه الاستغاة ؟ نم غفلون ؟ فان تكن مخطئين

(اعاذنا الله من الخطأ) فاعفوا عنا واصفحوا وان تكن مصيبين

فارشدونا واعينونا وحذوا لنا من الذين يظفوننا اخذ المصفين

فهذه هي ثقة المصدرين من مشر المظلومين والمظلومات من

المؤمنين والمؤمنات ونحن اخوانكم المظلومين ست مائة الف من

فرقة البهرة الداودية في الهند وغيرها من البلاد الافريقية والسوية

والعربية والاوربية . . هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته -

من پروكرسيو مسلم يوتهم ليك بمين الهند

في مطبعة على پريس مالياكازون (الهند) ۱۳-۶-۷۵ ع

تابع وثيقة رقم ۱۶

(١) صدر علينا حكم سيدنا المذكور ان نلتق تصاوره وتصاور
والده المرحوم السيد طاهر سيف الدين في بيوتنا و دكاكيننا و محضماننا
الدينية و الدياوية حتى المساجد ، و يامر سيدنا بكونه في كل
فأى دكان او بيت او محفل لا يكون فيه تصاوره يعذب أهله
بالرأء و المقاطعة الاجتماعية تعذبا يرحف به القلوب . . . و من
الأسف كل الأسف ان تلك التصاور تزين بالازهار و تبخر
و النساء يطنن حولها و يعظمنها .

(٢) في محلة بندي بازار (بمنى) كان لنا مسجد يسمى « نور مسجد »
و بنى سيدنا في جنبه مزار والده المرحوم و شد على قمره قبة زاهية
مرددة بالذهب و الجواهر الثمينة فلما جل توسيع الغطاء حولها عدم
« نور مسجد » مظهرها ان قبة الذي اعظم حرمة من المسجد .

(٣) لقد اجرى الخوه خزيمة في المدارس نظام الصغار فاعيدت
فيها الحروف الهجائية ترتيبا خصيصا لطلاب فيه شائات والده على
هذا المثال . . . مثلا :

ا : اب مشفق طاهر سيف الدين ك : كعبة المصلين طاهر سيف الدين
خ : خير الانام طاهر سيف الدين ق : قاضي الحاجات طاهر سيف الدين

تابع وثيقة رقم ١٦

صل على هذا، ولا شك في أن مثل هذا الانقلاب لا يخص بها إلا
 رسول الله العظيم أو رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم -

(٤) أمرنا سيدنا تاج الدين جوامان سجد بديه وتحضر لديه
 جوباً وقبل يديه ورجليه مرغين خدودنا لديه . . . حتى النكاح
 المستورات يجرن على هذا الفعل الفنيع فيسجدن لديه ويقبلن يديه
 ورجليه ويمرغن خدودهن متبرجات بزينة ما الخشها . . . مع
 لهم اليقين ان السجدة والتعفير لا تيموز إلا الله الواحد القهار . . .

(٥) لا يأذن لنا سيدنا لعقد النكاح الا بعد جهد جهيد وبذل
 مال وافر عتيد غير زهيد ويقول كل نكاح يعقد بغير اذن حرام
 واطله مرتكب زنى . . . و اى شخص مننا عقد نكاحه قاضى
 المسلمين فهو يفتيه بأمر سيدنا بالبراءة والمقاطعة الاجتماعية

ويخرج من المساجد والمجالس والجمعات الدينية والديارية ولا
 يدفن في المقابر، وفي ارضى بور (الهند) الآن مذ ستين وثلث رف
 مائات من ذكور و اناث متظرون لإذن سيدنا للزواج وليكن
 لا يأذنه لهم قائل انهم كافرون والله يعلم انهم مسلمون مؤمنون بالله
 باليوم الآخر فكنى بالله شهيداً . . .

تابع وثيقة رقم ١٦

٦) ولا يعل هذا كرم من حيث بنته اخرجت من بيتها مثل حنة
امرأة تسمى امة الله زوجة علي ادبجي يربها في اخرجت من بيتها
وطرحت على الحرة والآن تاريخ الرابع عشر من
سنة ١٩٧٤ لم يأذن سيدنا لدفن بنت حنة في
مقبرته وما كان ذنبا الا ان تكاح والده عاشق حسين
قاضى المسلمين -

٧) سيدنا يجمع اموال الزكوات والفقرة والخس والصلة
والكفارات وغيرها ويستأثر بها وينفقها على امله وشعبه
بل ينفق هذه الاموال المقدسة اموال المؤمنين في شراء الاكلات
مثل اميسدر ايل (بمبق) ويشرب فيها الخمر ويكون فيها الرقص
الغرياق اتمام اللهور والللب والحرمان وكل هذه الماهي
والناهي يستجيزها وتا واهل بيته سلطان برادرس و يزعمون
ان خلفاء الاسلام والائمة استباحوا مثلها (معاذ الله) .
٨) وبار سيدنا يجمع الاموال الضخمة الوف الوف للمصانع
والقبايب الشاحنة المينة على القبور والضرايح وفي مجالس ذكر الله
في المحرم الحرام وشهر رمضان تجبي تلك الاموال جبرا
وتقام الحاقم على اسم والده المرحوم يجبر المؤمنون على صلوة
ركعتين على نيته في يوم عاشوراء وليلة القدر، ومن لم يفعل ذلك
يعذب بالبراءة والمقاطمة -

تابع وثيقة رقم ١٦

٩) سيدنا عشرون مصنعاً كبيراً في الهند و في غيرها من البلاد
الباكستان وغيرها مثلها ولاجل اجرامها و يأخذ الرف الوف
رباني من البنوك على الربا مع ان الربا محرم .

١٠) إدعى والده طاهر سيف الدين في العدالة الهندية في منازعة
جائده بهائي كله كيس ، دعوى كاذبة و هي ان له حقا في تبديل
القرآن والحديث و انه « اله في الأرض ، و ان له اختيارات مثل
اختيارات الرسول النبي الكريم صلى الله عليه و سلم (معاذ الله) -

١١) يملنا سيدنا ان الطواف بيته الواقع في بيق و هو
سنى محل ، كالطواف بالكعبة الحرام ، و يقول ايضا ان تقبيل
يده كقبيل الحجر الأسود و ان زيارته تبارى الحج و زيارة
المسجد الحرام في المدينة المنورة -

١٢) يأخذ البيعة من اتباعه من كل ابن و بنت . يبلغ خمس عشرة
من عمره مستوثقا منهم انه هو الداعي المطلق و قبول أوامره
و نواهيه واجب ، و هو مالك رقاب الجميع و مالك انفسهم و أموالهم
كلها ، و عتق مضميه في ابي راس . تحرم على الماضي اذواجه و أمواله و
بل تسليخ ، و هو مستحق لاجل التارخ .

تابع وثيقة رقم ١٦

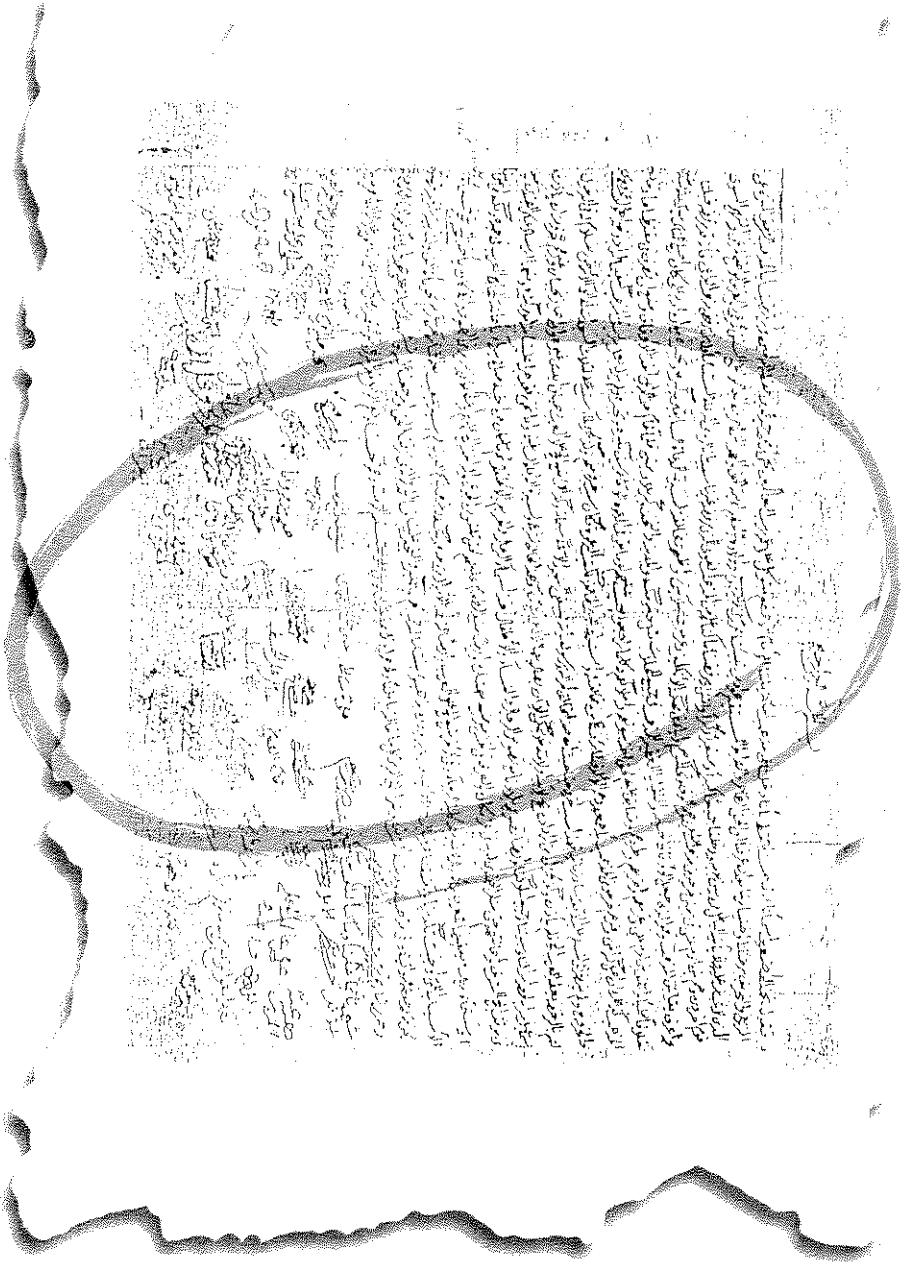
بأخذ العلم بالدين والتمسك به والالتزام به والالتزام به
للدين، ويعمل على كسب الأجر والتمسك به والعمل به
بجاء وما هو عموماً

١٤) هذا هو ليس لاني شخصاً متناً بل يشمل كلنا عن أسباب هذه
الاعمال والاحكام المذكورة الشريعة بل يعمل عليها طاعة أو
مكرها . . . وان نسل أخذ منا عذب بالزناه والمقاومة الاجتماعية
ويؤذي بكل الأبناء لئلاً وطناً ونسباً وشتياً، وضرباً هو طرداً،
وسلباً لامواله وملكاً لحرمة وتطليقاً لزوجه وتطليقاً لأزواج
أولاده وتفرقة بينه وبين احبابه واقرباه، ومنعاً واخراجاً من
المجالس والمساجد والمقابر والمزارات ومنعاً للدفن لجنه في مقابر
البهرة التأودية، وان دفنت اخرجت جثته من القبر . . . ومنعاً
عن النكاح حتى يضيئ عليه الارض بما رحبت . . . ولقد تقام
هذه الكارثة الى مبلغ عظيم الى ان طلباء الجامعة السيفية (سورت
الهند) فعلوا كل هذه الافعال مع اساتذتهم العلماء الفضلاء الاربعة
مع كونهم خدموا في نشر العلم والادب الى خمسين سنة حتى قتلوا
استاذ الاساتذه الشيخ سجاد حسين شهيد وهو ابن تسعين سنة ضربه

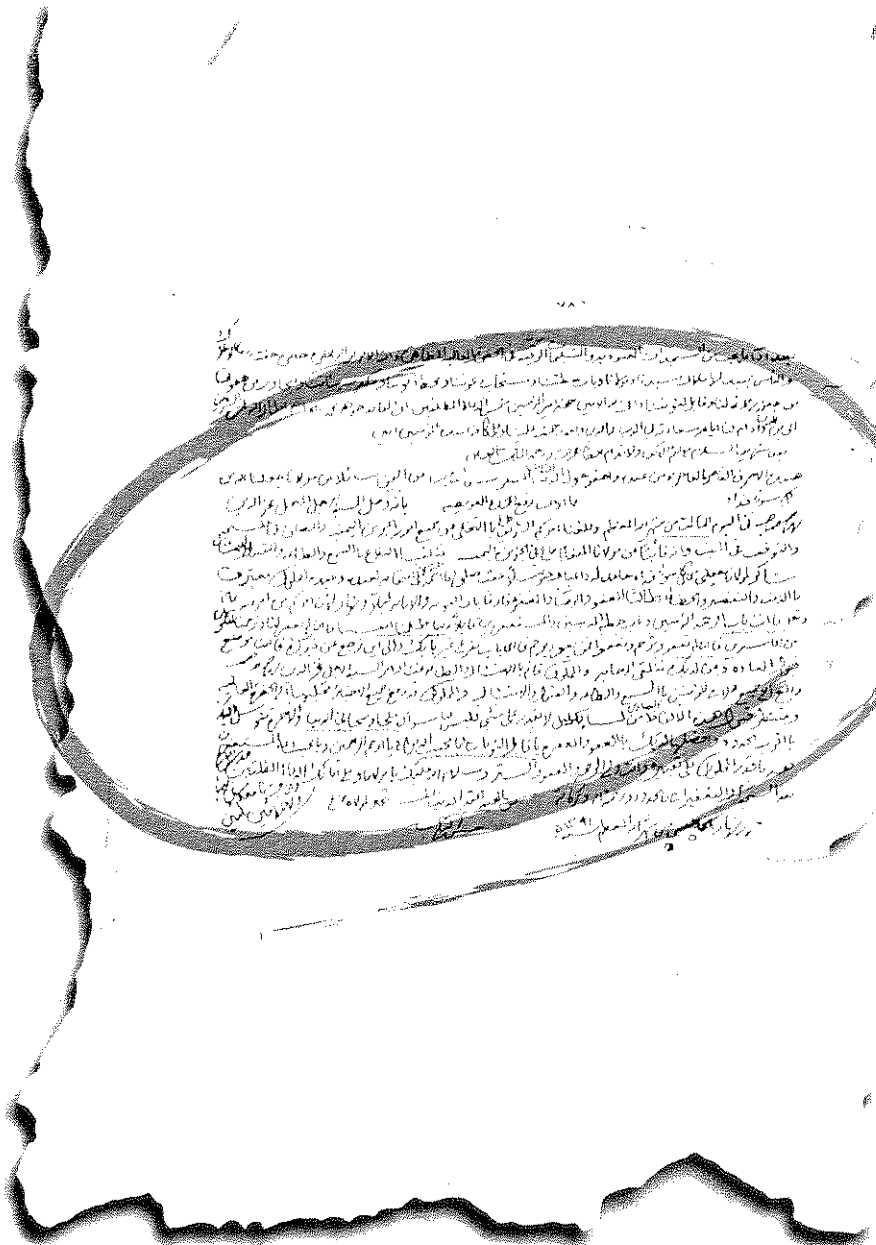
تابع وثيقة رقم ١٦

شين ويطا وركه راوا، ضلله جلد تمتموا ان كينوم بحق، تولى الحق الا انى المقعدة
 سنة ١٢٩٤ هـ فى سورف والحو الله بالانصاف له عدله ولم يتعمم بالمع
 على اهل هندا حتى ضربوا المسلمين بالاذة، واهل رفاة الة
 ونهبوا اموالهم ونهبوا كتبهم ونهبوا ايضا كبراى الدين السكاكين
 واليسوت فى بيمى وفى سورت وفى اودى بور (الهند)
 وبالخصوص فى بلد كليا كوت ضربوا النساء والسيان وفتكوا الحرم
 متكا فاحشا . . . وبالاخص فى اودى بور فى اليوم السادس من
 المحرم الحرام سنة ١٢٩٥ هـ دخلوا اعى اتباع سيدنا فى مسجد متعلين
 وقد اخفوا السكاكين بالله، فى جيوبهم فضربوا وخذشوا
 وشذروا مائات من المؤمنين والمؤمنات اطفالا صفارا وكبارا
 وكورا وانا مع كفهم مشغولين فى ذكر الله وذكر الحسين
 عليه السلام وفتكوا حرمة المسجد ايضا حتى ابتلت الفرش بالدماء
 وكسروا الامتعة والابواب الكهربية فى المسجد . . . حتى قتلوا
 واحدا منهم رحمه الله وغفر له والمقتول ابن حسن وسعين وكل
 هذا جرى بحضور من الشرطة المرتشين واعانتهم لان الحكومة
 الراجستانية تدمرت سيدنا ومحاماه له ليدله لها الوف الوف قتلا
 للعدل والانصاف ظلما وعدوانا ومثل هذه التهتكات والظلم
 والعدوان جار الآن ولا ندرى الى متى يجرى ١٩

تابع وثيقة رقم ١٦



وثيقة رقم ١٧



وثيقة رقم ١٨

بسم الله
سيادة الاخوة افاضوا مني
المحترم يرحم الاطلاع والقرآن
ما يرام انزال زاده العرش علم
دولكم السيد فسر العرش والقرآن
بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة رئيس الوزراء الشاه علي محمد الهادي
محمد طه رحمه الله ما سادت انما نسكوتنا مما احركت الجود في سنة الف ليلة الف ليلة
وقاموا اليهم التوجيه والتميز العصريين في سنة الف ليلة الف ليلة

احسانا بانه ولو صدره وشكوا وكرهنا استلاوي وصحة الاموال
وزارة الاوقاف والحفاظ عطفنا على ابراهيم سيادة رئيس المجلس التنفيذي لثقتنا
لكشف وان فادة هبات العامل ربي بلا شك انهم انما اذرة البرية والماثل ولم يستأ
اب اعرف ان سنة الف ليلة الف ليلة است مشير في الدين

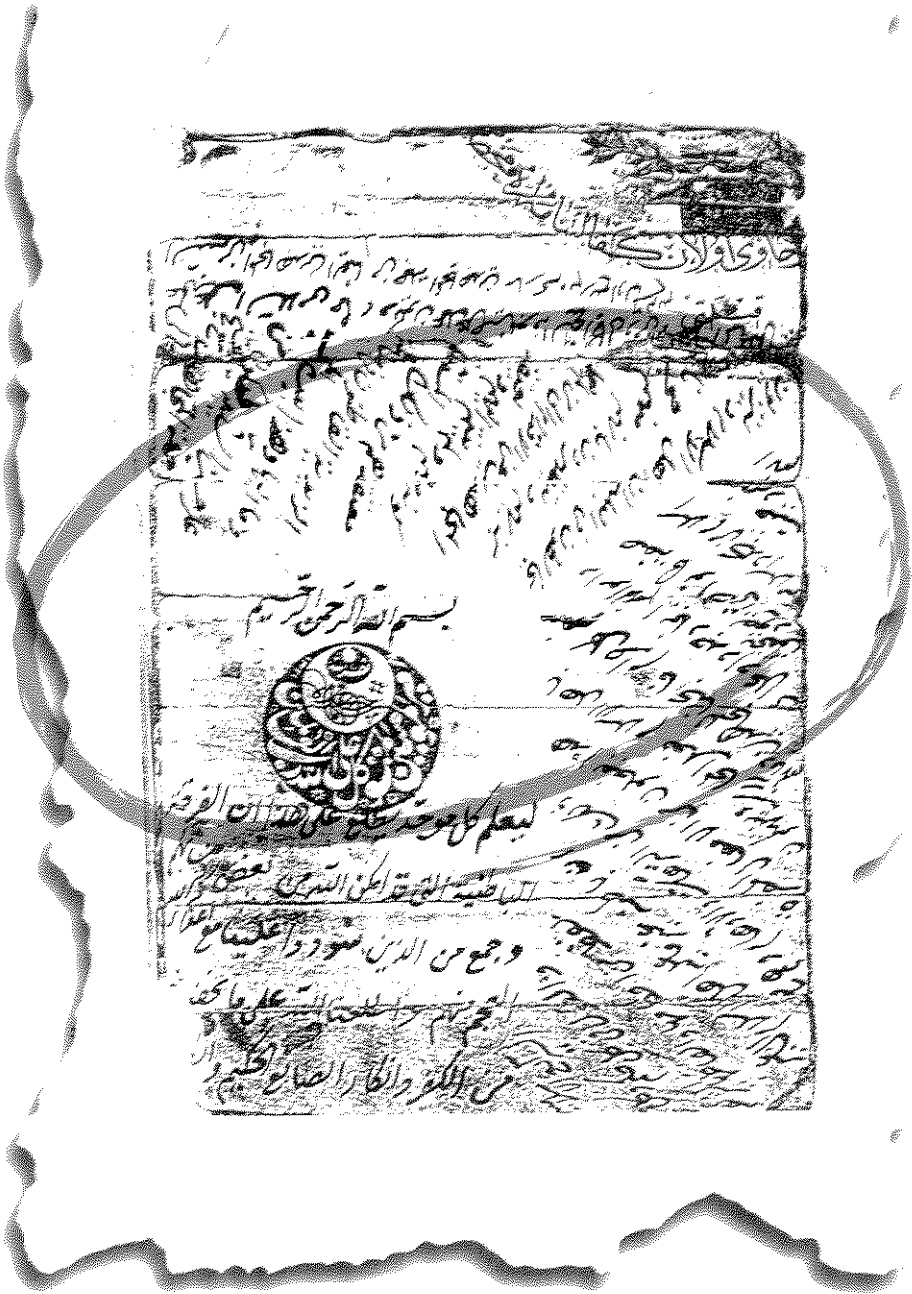
والذوق ابراهيم الرئيس اعرف العرش بكلمة على الحكومة التي ورثت من اجدادنا
ويستفيد من هذا انما الحكومة قدمت لهم لسانا لسانا وهم يشعرون في
الذي المطلق ويعلمون انهم انما في السنه والعامين المسلمين تحت سنه الف ليلة
وسنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة والاسلام يصير من
من سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة واصوا انما في سنة الف ليلة الف ليلة
انهم في الدين وفي سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة
في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة
عزز في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة في سنة الف ليلة الف ليلة

احسانا بانه ولو صدره وشكوا وكرهنا استلاوي وصحة الاموال
الشيخ علي الديناني
محمد طه رحمه الله
١٩٠٦/١٠/١٧

وثيقة رقم ١٩

Handwritten Arabic text, mostly obscured by a large, dark, irregular scribble or redaction mark that covers the central portion of the page. Some faint text is visible above and below the scribble.

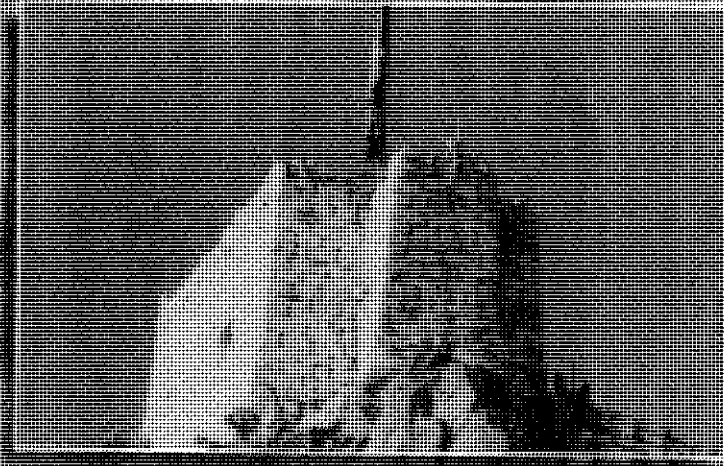
وثيقة رقم ٢٣



وثيقة رقم ٢٧



**شعار الإسماعيلية وهو شعار قديم للفاطميين في اليمن
ويختبر في الصورة محاربو الإسماعيلية والسلطان فوق الجميع**



العلم الإسماعيلي الأكبر على قمة حسن العليبي



رجل وامرأة .. جنباً إلى جنب



على الرقاب مع تشيد ((طلع البدر علينا))



تتطلب تربية الأطفال



5

استخدام على استخدام



**تقدیس وافتتاح پینڈی میں اسمہ محمد
برہان الدین**



6

ما بال هذا التألم لا يكتفي نفسه من لفتح الشمس



شم الداعي لا يعطى بها سوى القربون

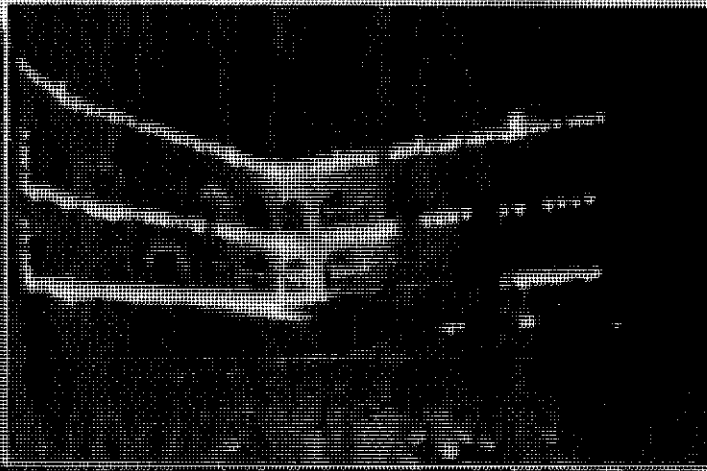


7

يجتوبون على ركبهم عند مرور الداعي



مبنى القيس الحاتمي بمنطقة وعليه شعار الإسمايلية



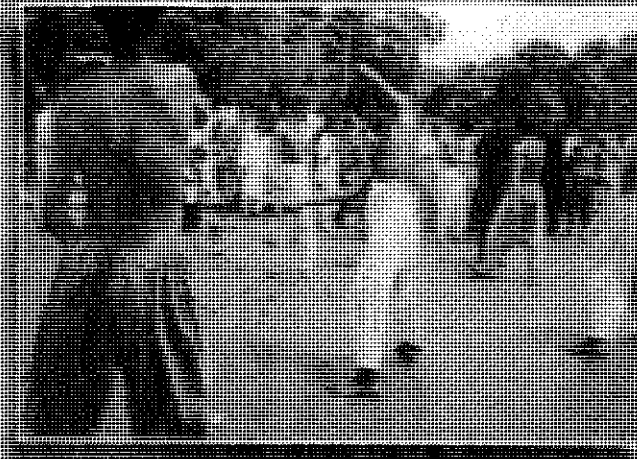
أحد القنات الرئيسية (البهرة) في العاصمة صنعاء



مصر أيضا برتبة لاجيء امر القاطنين



9 محمد يرفان الدين مع أحد أقرانه



الأثنا عشرية مساءً في ميدان الخرافة



10 إذا لم تسلم مساء الشيعة فمساء لعصابة الحسين